منشورات جمعية رباط الفتح

مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

1830 - 1912


عبد الإله الفاسي



منشورات جمعية رباط الفتح

مدينة الرباط وأعيانها
في القرن التاسع عشر
وبداية القرن العشرين
1912 - 1830

عبد الإله الفاسي

أصل هذا الكتاب رسالة جامعية في التاريخ المعاصر تحت عنوان : أعيان مدينة الرباط في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1830-1912، نوقشت بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بتاريخ 1988/5/26 لنيل دبلوم الدراسات العليا . وتكونت لجنة المناقشة من المرحوم جرمان عياش رئيسا والأستاذ إبراهيم بوطالب مقررا والأستاذ محمد المنصور عضوا ، ومنحت للمرشح الشهادة المذكورة بميزة حسن جدا .

وبعد طبع الكتاب ارتأيت أن أستبدل العنوان المذكور بعنوان آخر هو : مدينة الرباط وأعيانها في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين 1912/1830 . لأن في العنوان الأول إغفالا للمدينة مع أن المتن يتضمن استعراض وظائفها وذكر أهميتها وبعض أدوارها .

شكــــر

أتقـدم بالـشكر الجـزيل والإمـتنان الـكبـيـر الى الوجـيـه المحسن السيـد إبراهيم فرج حاجب صاحب الجـلالة نصره الله ونـائب رئيس جمـعيـة رباط الفتح ، الـذي أبـى إلا أن ينـقـل هـذا العمل - بعد اطلاعـه عليـه - من حالة رسـالة جـامـعـية مـرقـونة منسية فوق الرفوف ، إلى كتاب مطبوع في متناول كل من يريد قراءته تعـزيزا للمكتـبـة التـاريخـيــة الوطنيـة وإغنـاء للدراسـة المونوغرافية لمدينة الرباط .

وأوجـه شكري كـذلك إلى السيـد عـبـد الغني عـاشور مـدير مطابع الأطلس على مسـاعـدته المادية وإلى جمـعية رباط الـفتح العـتيـدة على احـتـضانهـا هذا العـمل ، وكذلك إلـى كل من سـاعـد على إخراج هذا الكتاب تقنيا ومطبعيا .

الرمـــوز

- الرموز العربية

خ . م. : الخزانة الملكية بالرباط
خ . ع. : الخزانة العامة بالرباط
خ . ص. : الخزانة الصبيحية بسلا
ج : الجزء
ص : صفحة

- الرموز الأجنبية

- Ar. A.E.F. : Archives du ministère Français des Affaires Etrangères
وثائق وزارة الخارجية الفرنسية
- Ar. Vinc : Archives du ministère de la guerre `a Vincennes
وثائق وزارة الحربية بفانسين
- Ar. Mar. : Archives Marocaines : (revue) سلسلة الأرشيف المغربي
- bul. com. Af. Fr. : Bulletin du Comité de l'Afrique Française
دورية إفريقيا الفرنسية
- bul. of : bulletin officiel : الجريدة الرسمية
- Corres. com : correspondance Commerciale
المراسلات التجارية لوزارة الخارجية الفرنسية .
- Corres. pol. : Correspondance politique
المراسلات السياسية لوزارة الخارجية الفرنسية .
- T : Tome
- Vol : Volume
- Rt : Rabat

* * * * *

بسم الله الرحمان الرحيم

المقدمة

وقع اختيار سنة 1830 بداية للموضوع ، باعتبارها كما لا يخفى عن المهتمين بالتاريخ ، سنة تحول في المسار التاريخي لأقطار شمال غرب إفريقيا بعد الغزو الفرنسي للجزائر ، فلقد كان احتلال هذه الأخيرة ضربة وجهت لهذه الأقطار على الخصوص، مما جعل المغرب - وهو أقرب جار مسلم للقطر الجزائري- يقدم كل المساعدات المادية والمعنوية له ، وقد أسفر عن ذلك من النتائج ما لا يخفى ، سواء في وسط المدن والبوادي أو في المخزن المركزي ، أو المحلي ، وهي نتائج تضرر منها الاقتصاد والمجتمع ، وبكيفية متزايدة كلما مر القرن التاسع عشر بسبب ازدياد تنافس الدول الأوربية على إحراز قصب السبق في البلاد . وقد شمل ذلك التنافس الدول العظمى بعدما أقدمت عليه فرنسا تجاه القطر الجزائري ، وبعدما سلكت سياسة غزو المغرب غزوا عسكريا ذا طابع خفي من الناحية الشرقية ، وغزوا تجاريا من الناحية الغربية أي عن طريق الموانئ .

وما يهمنا هنا هو أن نعرف آثار هذا التسرب الأوربي على المجتمع المغربي ، متمثلا في محاولة التعرف على الوسط الحضري لمدينة مغربية هي مدينة الرباط .

وتحليل هذا الوسط الحضري ودراسته يتوخيان التعرف على فئة اجتماعية معينة فيه ، هي فئة أصحاب القرار وأهل الحل والعقد. إنها فئة الأعيان بما تضمنته من ذوي الرأسمال المادي والرأسمال الرمزي. لكن حصر هذة الفئة لا يتأتى إلا بإقامة تصنيف اجتماعي في هذا الوسط الحضري ،أي ترتيب كل الفئات الاجتماعية التي عاشت فيه لمعرفة موقع فئة الأعيان منها.

يمتد الموضوع الى سنة 1912 أي خلال فترة تزيد على ثمانين سنة، لقد حدثت تطورات عميقة وأحداث سياسية وتغيرات اقتصادية أدت الى إعادة تشكيل فئة الأعيان بمدينة الرباط باستمرار طيلة القرن التاسع عشر ، على الرغم من محافظة بعض الأسر على مكانة مرموقة لمدة طويلة وربما طيلة القرن ، فلمعت أسماؤها في مناصب القيادة والحسبة والنظارة والأمانة ، أو في ميادين التجارة .

أما عن سنة 1912 التي ينتهي عندها الموضوع فلقد اختيرت كنقطة نهاية ، لأنها طبعا تعد حدا فاصلا بين حقبتين واضحتين ، ذلك أن فرض الحماية أحدث في مدينة الرباط انقلابين اثنين : الأول عام وهو أن سلطات الحماية أصبحت صاحبة القرار طبعا في المدينة كما في سائر أنحاء البلاد التي وقعت تحت السيطرة الفعلية لها . واتخذت الرباط مقرا لإدارتها . والثاني خاص وهو أن الرباط أصبحت عاصمة للبلاد، ويعني ذلك انتقال السلطان ومخزنه اليها، أي حلول هيأة رجال الإدارة والحكم بها ، فأصبحت مقرا لسلطتين الاستعمارية والمخزنية . وكان لكل ذلك انعكاس على البنية الاجتماعية للمدينة . فمن جهة أولى أصبحت السلطات الاستعمارية ترى من مصلحتها التعاون مع أعيان خاصين، قربتهم اليها عن طريق تمثيل السكان في المجالس البلدية، وعن طريق بناء مدارس خاصة لأبناء الأعيان ، الى غير ذلك .

ومن جهة أخرى أصبحت عائلات الوزراء وأعضاء المخزن ذوي الأصول غير الرباطية في مرتبة اجتماعية أعلى مما كان يمثله الأعيان الرباطيون ، سواء كانوا رجال مخزن محليين أو غيرهم من كبار التجار والعلماء ومن شابههم.

يظهر أن الفترة التي تحتضن هذا الموضوع عرفت تحولا حاسما في تاريخ المدينة ، وفي تاريخ البلاد بصفة عامة . لكن قبل دراستها كان لابد من تمهيد ، فيه كثير من التوضيحات لفهم التطورات اللاحقة . وهذا التمهيد يشتمل على مقدمة تاريخية ضرورية تعطي نظرة عن تاريخ

المدينة باختصار، من بدايتها الى حدود وفاة السلطان مولاي سليمان سنة 1822. وفائدة هذه المقدمة التاريخية مزدوجة ، فمن جهة أولى توضح مدى أهمية المدينة عبر القرون ، ومن جهة ثانية تبين الأحداث القريبة التي وقعت في عهد السلطانين محمد بن عبد الله والمولى سليمان، ومدى تأثيرها على مجريات الأمور في الفترة المدروسة ، وبالتالي مدى استمرار العلاقات بين الفترتين على أصعدة متعددة ، نذكر منها حسن العلاقة أو سوءها بين المدينة والسلطان ، ومدى بقاء بيوتات العهد السابق نفسها في المكانة والشهرة ذاتهما .

ورأيت أن أتبع هذه المقدمة التاريخية بوصف شامل لوظائف المدينة باختصار في الفترة الأولى من القرن الماضي ، لنقف على أدوارها المختلفة ، باعتبارها أرضية لهؤلاء الأعيان الذين عاشوا فيها.

وقد جمعت هذه المقدمة التاريخية والحديث عن وظائف المدينة في باب أول . أما الباب الثاني فقد خصصته للحديث عن الأعيان في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان ، باعتبار خصوصية المقومات والأوضاع التي سادت في النصف الأول من القرن والتي تعرضت للتغيير في النصف الثاني منه . ولكن قبل التطرق الى الدراسة التفصيلية لاصناف الأعيان وأدوارهم خصصت فصلا للحديث عن سكان الرباط وفئاتها الاجتماعية وأحيائها السكنية والحرفية ، بينما أفردت خمسة فصول داخل هذا الباب للتعرف على أصناف الأعيان بالرباط في عهد السلطان المذكور . وهم رؤساء البحر ورؤساء الأودايا وكبار التجار وأعيان السلطة وأصحاب الخطط الدينية الذين لم يخرجوا عن نطاق الأسر الرباطية من عمال وقضاة ومحتسبين ونظار . وأظهرت الجداول الخاصة بكل صنف من الأعيان مدى استمرار العائلات نفسها في المناصب الكبرى . وختمت هذا الباب بمحاولة التعريف بدور الأعيان في الانتفاضات الاجتماعية والسياسية التي عمت المدينة خلال النصف الأول من القرن .

أما الباب الثالث فقد اختص بتطور فئة الأعيان في النصف الثاني

من القرن وبداية القرن العشرين الى حلول الحماية سنة 1912 ، فسعيت فيه إلى دراسة القطيعة أو الاستمرار في صنف عائلات السلطة معززا ذلك بجداول ، ومحاولا معرفة مكانة العلماء والأشراف والمرابطين الرباطيين من بين الأعيان في فصل ثان .

و لاحظت تصاعد عدد التجار و الأمناء في فصل رابع ، و خصصت الفصل الخامس للأعيان الرباطيين الذين عملوا خارج مدينتهم، و أفردت الفصل السادس لمواقف أعيان الرباط من التسرب الأوربي.

أما الباب الرابع والأخير فقد اهتم بالخصائص السوسيولوجية العامة لفئة الأعيان و علاقاتهم، بينت فيه العناصر المشتركة و مظاهر الاختلاف التي جمعت أو فرقت بين الأعيان كفئة اجتماعية ، و في الفصل الأخير من هذا الباب أوضحت العلاقة التي جمعت بين الأعيان و العامة و أوجه التشابه و الاختلاف بينهم و بين أعيان بعض المدن الحضرية الاخرى .

و كان اختيار المنهج مشكلا في حد ذاته لصعوبة التوفيق بين عناصر الموضوع التي اتسمت بالتعدد والاختلاف والتي يكون بعضها ما يشبه مواضيع مستقلة ، وبين المسار التاريخي الذي يشمل مراحل تغيير بالنسبة لبعض العناصر دون غيرها . ومما زاد في هذه الصعوبة مسألة المصادر والمراجع :

إن ما كتب عن مدينة الرباط قليل جدا، سواء بلغة الضاد أو باللغات الأجنبية . ويمكن اعتبار كتاب جاك كايي Jacques Caillé ،المعنون بـ La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français أحسن ما ألف لحد الآن عن تاريخ المدينة ، وإن كانت الصفحات المتعلقة بالقرن التاسع عشر إلى حدود الحماية لا تتعدى الستين . ولكن عيبه كجلّ الكتابات الأجنبية أن المؤلف لم يعتمد على الوثائق المغربية سواء في كتابه هذا أو في كتابه الصغير: La petite histoire de Rabat أو في مقالاته الأخرى المتعلقة بالمدينة . وهذا ما جعل كتاباته تتسم بالنظرة

الأحادية، بينما اكتست المؤلفات الأجنبية الأخرى عن المدينة مظاهر مختلفة فهي إما ذات صبغة مغرضة مثل كتاب الدكتورموران Mauran Le Maroc d'aujourd'hui et de demain. الذي يظهر فيه حقده ونظرته الاستعمارية الواضحة وإما كتب اهتمت بفترة الحماية اكتست طابعا سياحيا أو أشادت بأعمال الحماية .

أما المؤلفات باللغة العربية فهي لا تكاد توجد . فبعد تاريخ الضعيف الذي ينتهي سنة 1818 أي في الفترة التي يبتدئ عندها موضوعنا تقريبا (وهو يعد "منجما" للمعلومات عن الرباط خلال القرن الثامن عشر الى حدود السنة المذكورة) ، لا نجد عن تاريخ المدينة إلا معلومات متناثرة قليلة عند استقصاء الناصري أو إتحاف ابن زيدان، وحتى المخطوطات عن الرباط نادرة لا تتعدى المخطوطين أو الثلاثة ، و ليست هذه المخطوطات تآليف تاريخية على غرار ما للضعيف و الزياني و الناصري، وانما هي كتب تراجم ، أهمها كتاب الاغتباط لمحمد بوجندار و مجالس الانبساط لمحمد بن علي دينيه ، وقد تم نشرهما مؤخرا . ولكنهما - وهما يتناولان أعيان الرباط في فترات تاريخية مختلفة - قد عنيا فقط بصنف واحد من الأعيان هم العلماء تقريبا، دون الاهتمام بأحوال رجال السلطة والتجار وغيرهم ، مما جعل نفعهما مقتصرا على العلم والعلماء بمن فيهم القضاة والمفتون والمدرسون والخطباء والعدول ، أي هما أنفع للمؤرخ المهتم مثلا بالحركة العلمية بالرباط خلال القرن الماضي وما قبله أيضا .

وقد اقتدى الأستاذ المرحوم عبد الله الجراري ، بالنهج نفسه الذي سلكه بوجندار ودينية في التأليف عن أعلام الرباط في سلسلته شخصيات مغربية ، وإن كانت تآليفه تكتسي صبغة التوسع وتسليط أكثر الأضواء على مؤلفات الشخصية الواحدة وحياتها.

واعتبارا لكل ما سبق، كان لابد من البحث عن مصادر من نوع آخر، تلك هي الوثائق وعليها كان الاعتماد الأكبر، هي إما وثائق

رسمية ومخزنية توجد في الخزانة الملكية وفي الخزانتين العامة والصبيحية وفي مديرية الوثائق الملكية ، وإما في خزانات الخواص . وهذه الوثائق عبارة عن مراسلات بين سلاطين الفترة والمسؤولين في الرباط ، وعن كنانيش متعددة ، منها ما يخص مرسى العدوتين، وهي تعطي معلومات عن أصناف معينة من الأعيان كالأمناء والتجار ، وما يخص مستفاد المدينة وعن جوانب متعلقة بالموضوع وأسماء العائلات الرباطية التي شغل أصحابها منصب أمين المستفاد بالرباط ، ومنها ما يتعلق بكشف وخلاصة الرسائل الصادرة والواردة على السلطان ، وهي من الأهمية بمكان نظرا لتنوع مواضيع التراسل التي لابد أن يعم نفعها الموضوع خصوصا وأنها تغطي عدة سنوات ، وبالأخص في العهد الحسني. ومن هذه الوثائق كنانيش خاصة ببعض البيوتات وجدت بالصدفة في رفوف الخزانةالملكية بالرباط مثل كنانيش عائلة فرج التجارية . وقد تكون الوثائق مجرد كنانيش وتقييدات للحركات السلطانية تتضمن مع ذلك إشارات خفيفة مفيدة للموضوع . ولوحظ أن بعض المراسلات تناولت قضايا ونوازل عرضها القضاة أو أحد طرفي النزاع ، مما يمكن الباحث من الاطلاع على بعض الجوانب الاجتماعية والقانونية لذلك الوقت .

على أن كل هذه الوثائق - مهما تعددت - غير كافية لإكمال جوانب مهمة من الموضوع تتعلق على الخصوص بالحياة العائلية والشخصية للأعيان ولانجد معلومات عنها إلا في أوراق العائلات وفي رسوم ملكياتهم وفي مراسلاتهم . وقد أمكن الاطلاع على بعض النماذج منها لدى آل السويسي وبركاش ، وفرج ، والزعيمي . ولكن التوغل في هذا النوع من الوثائق يتطلب من الوقت والجهد والحظ وكرم أصحابها مالا يفيد إلا قليلا .

ونظرا لوجود بعض التغرات التي لم أستطع سدها بما توفر من المصادر السالفة، حاولت الاستفادة من وثائق وزارتي الخارجية والدفاع الفرنسيتين بمقرهما بباريس وفانسين، وعلى الرغم من

الاستفادة من كثير من التفاصيل وتكميل بعض ما غمض من النقط المعينة وجدت أن المعلومات الخاصة بالرباط لا تحظى الا بالقسط القليل فعلى سبيل المثال لا يوجد في وزارة الخارجية الفرنسية سوى مجلد واحد يضم المراسلات والتقارير الخاصة بالرباط ، إضافة الى مراسلات قليلة متناثرة في مجلدات تخص المغرب عامة في القرن التاسع عشر، بينما توجد عدة مجلدات عن الصويرة مثلا أو الدار البيضاء أو طنجة زيادة على استغلال أغلبية هذه الوثائق من طرف جاك كايي ولو جزئيا .

البــــــاب الأول
مدينة الرباط : ماضيها ووظائفها

الفصل الأول :
المدينة جغرافيا وتاريخيا

1- الموضع والموقع

إن الموضع الذي تقوم فيه مدينة الرباط جزء من المنطقة الطبيعية ذات السهول الأطلنتية المرتبطة بالمسيطا المغربية ، المتكونة من سهل تحاتي ، ناتج عن تآكل السلسلة الفحمية ، لكنه في الشمال قريب من منخفض سبو، المتكون أساسا من الرواسب الحديثة ومن غطاء سميك من رواسب الدهر الرابع ، وكان هذا الغطاء موجودا في المضيق الإفريقي الجنوبي، في الحقبة التي كان شمال المغرب يلتحم فيها بشبه الجزيرة الإيبيرية قبل نهاية الدهر الثالث .

وتوجد مدينة الرباط على الضفة اليسرى من مصب أبي رقراق وعلى شاطئ المحيط الأطلنتي في خط عرض 37.81673 درجة شمالا ، وفي خط طول 10.19555 درجة غرب خط غرينويتش .

وترتفع المدينة في أقصى غرب المحور الكبير الذي يصل السهل الأطلنتي ببقية البلاد بواسطة مضيق تازة . وفي القديم كانت المدينة توجد خارج الطرق الكبرى التي تربط مختلف مناطق المغرب ، ما عدا في فترات محدودة .

وفي العهد الروماني ، كانت توجد في تخوم البلاد المحتلة فكانت آخر مرحلة في الطريق الفاصلة بين طنجة والجنوب الغربي ، وبدون ارتباط مباشر مع طريق المواصلات الواصلة بين طنجة وليلي ، وقد ذكر بلينPline [1] بأن سلا في القديم كانت تجاورها القفار وتعيش فيها قطعان الفيلة [2]

لم يكن من شأن هذا الموضع ان يسهل تطور مدينة كبيرة ، ففي أوائل العهد الإسلامي ، وفي القرون الغامضة من تاريخ المغرب ، لم تكن الطرق الكبرى تمر عبر منفذ أبي رقراق ، ما عدا التي تأتي من طنجة الى سوس . ومنذ القرن الحادي عشر أصبحت طريق فاس مراكش عبر تادلة أهم طرق المواصلات بالمغرب ، وكانت في عهد الدول القوية

---

1 - Pline : Histoire naturelle p, 30

2 - لا يتفق الجميع على هذا الرأي .

تضمن كل الاتصالات بين العاصمتين فاس ومراكش ، لكن في فترات الفوضى ، عندما كان الأمن ينعدم ، تنغلق تادلة الثائرة في وجه المخزن. وللانتقال من عاصمة الى أخرى كان لابد من المرور بالرباط وحتى من هذه الأخيرة لم يكن الذهاب إلى مراكش ممكنا عن طريق الداخل أي مرورا بوادي زم .

يوجد جنوب الرباط سهل تحاتي من الصخور الأولية ، وهو حقل كثير الانكسار، تقطعه خوانق وأخاديد وتلال ، وهو منطقة صعبة الاختراق ، مليئة بالعراقيل ، وهكذا نجد أن موضع الرباط كان ، في عدة فترات ، ذا أهمية واضحة ، فهو يشرف على المجرى الأسفل لنهر أبي رقراق الذي كان وحده يتيح الربط بين شمال البلاد وجنوبها ، وكان من الضروري أن يحكم السلاطين سيطرتهم عليه ، وإلا وجدت البلاد نفسها مقسومة بين جزئين منعزلين . وبدون شك كان هذا سببا في تشييدهم لحصن عند مصب أبي رقراق ، وبفضل هذه الظروف الاستثنائية تمكنت الرباط من أن تلعب دورا مهما في عدة فترات .

من الناحية البحرية يجب قبل كل شيء إثارة مسألة عدم صلاحية الشواطئ ، فالساحل الأطلنتي لا توجد به موانئ طبيعية كثيرة ، ومعرض للرياح العنيفة زيادة على وجود الحاجز 3 ، فعلى مقربة من اليابسة يوجد عمق عال يمتد على عرض ميل بحري تقريبا في منطقة الرباط ، ومفعول ذلك هو اضطراب البحر نتيجة التقاء الأمواج بالعمق العالي فتتدفق في هيجان كبير على الشاطئ.

كان من شأن منفذ أبي رقراق أن يقنع بإنشاء تجمع سكني، وقد قام هذا التجمع فعلا على ضفتي النهر : في الشمال سلا وفي الجنوب الرباط . وتحد مدينة الرباط في الغرب والشمال ، والشمال الشرقي بالمحيط الأطلنتي وبنهر أبي رقراق . ويتقطع الشاطئ الصخري الى أجزاء صغيرة تشرف عليها الأجراف التي يبلغ علوها سبعة أو ثمانية أمتار . ونهر أبي رقراق متواضع نسبيا ، لكن المد يكون كبيرا في عالية

---

3 - نعني به la barre عند الفرنسيين .

النهر ، ويمثل في مجراه الأسفل بين الرباط وسلا مساحة عريضة من المياه هي الجزء البحري للواد . ويرسم مصبه ذراعا صغيرا نحو البحر حيث يبقى الماء مالحا .

ويمثل الجزء البحري للواد حدا واضحا جدا بين الرباط وسلا ، إنه عبارة عن حفرة عميقة بين المدينتين ، وفي جهة الرباط تشرف حافة شديدة الإنحدار على سرير النهر ، وفي جهة سلا نجد العكس حيث لا توجد حافة لكن ضفة مستوية برمال ورواسب فيضية آتية عن طريق البحر أو النهر تقلص من عرض مجرى الماء . والضفة الجنوبية مقعرة ، ويمنع تيار النهر الرواسب الفيضية من التوقف ويوجهها الى الضفة الشمالية حيث يزيد من تحدبها .

في أقصى غرب الضفة الغربية على مصب النهر والمحيط ترتفع حافة عالية تحتلها قصبة الاودايا . وأعلى نقطة فيها تبلغ 40 م فوق مستوى البحر . وتستمر هذه الحافة نحو الشرق وتتبع دائما جوار الواد حتى مرتفع صومعة حسان . وفي هذا المكان تتماثل مع مجرى أبي رقراق حيث تشرف على عمق الواد وحيث توجد مستنقعات مالحة .

ويمنح المجال الموجود بين المحيط الأطلنتي والضفة الجنوبية لنهر أبي رقراق موضعا قابلا لاقامة مركز حضري ، وإن موقع الرباط يشمل ثلاثة حدود طبيعية : المحيط والنهر والجرف الذي يلامس الشاطئ الجنوبي لوادي النهر [4].

2 - الممكنات الفلاحية في الرباط ونواحيها

للتعرف على المنظر الزراعي الذي كان يحيط بمدينة الرباط يجب تصور خريطة للرباط وناحيتها على الأقل في بداية القرن التاسع عشر

---

4 - المقدمة الجغرافية من كتاب جاك كايي - J.Caillé : La ville de Rabat jusqu'au protec - toratFrançais , Paris, 1949

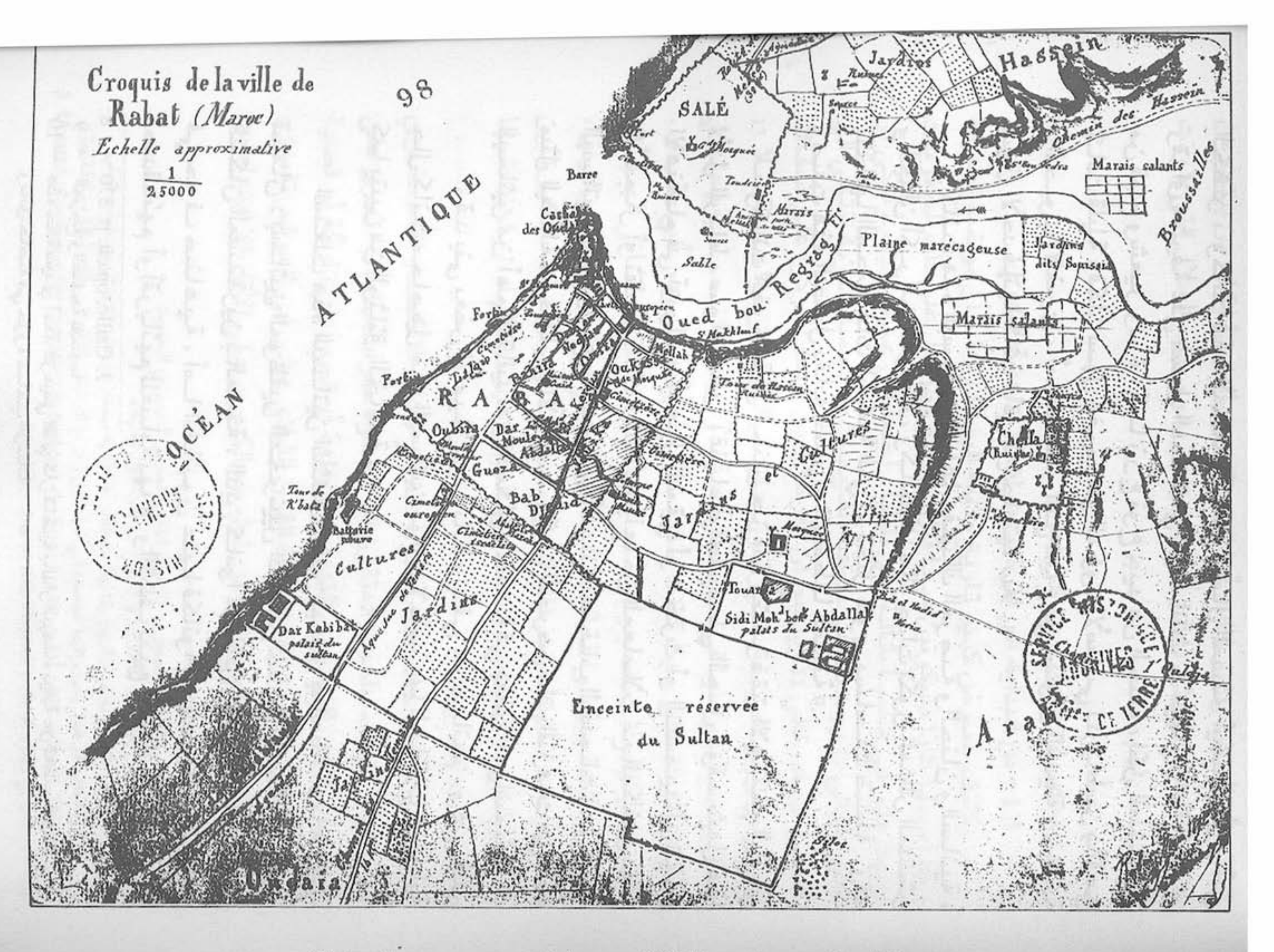
ولا يظهر أن مثل هذه الخريطة موجود لكن توجد خريطة ترجع الى أواخر القرن أنجزت من طرف أحد ضباط البعثة العسكرية الفرنسية التي حلت بالرباط في عهد السلطان مولاي الحسن 5 وهي تعطينا نظرة على الشكل العام الذي كانت توجد عليه المدينة وضاحيتها الفلاحية القريبة .
وعلى الرغم من رسم هذه الخريطة في أواخر القرن فمن الملاحظ استمرار وجود مساحات شاسعة مخصصة للزراعة في المكان المنطلق من حسان الى تواركة ، ثم جنوبا من سور باب الأحد نحو تمارة 6 وهذا يدل أيضا على ضعف التمدين .

وفي هذه الأراضي ما هو مخصص لزراعة الحبوب ، لكن الغالب عليها الزراعة البساتينية من خضر وأشجار فواكه فيما يسمى بالجنانات أو العرصات ، التي لم تكن تعطي سوى موارد تكميلية ولا تكفي بأي حال من الأحوال لتغذية السكان الذين كانوا يعتمدون في معيشتهم على الضواحي ، التي تبعد عن المركز بمسافة تتراوح ما بين عشرة وخمسين كلمترا . وعلى كل حال كانت للمدينة على مر القرون منابع قادرة على تغذية سكانها ، فالتموين بالحبوب والفواكه والخضر لم يلق صعوبة ما . فبعد الاحتلال الروماني كانت زراعة القمح والكروم منتشرة في ضاحية سلا ، واستمر ذلك بعد دخول الاسلام . ولقد مكن الطمي الخصب الأحمر المكون للقشرة العليا للتربة من زراعة القمح والشعير، ووجدت مراع جيدة على ضفاف أبي رقراق للأغنام والأبقار، أما الولجة فهي بقعة ممتازة للزراعة البساتينية وأثارت إعجاب الأجانب ومنهم شينيي Chènier 7 وخلال قرون أحاطت الأسوار الموحدية بالحقول وأراضي الكروم التي احتل فيها العنب درجة كبرى .

لقد كانت البقع التي تحتلها اليوم الأحياء الجديدة بمدينة الرباط مساحات زراعية مكونة من عرصات امتلكها أغنياء أهل الرباط ، وكانت المزروعات هي أشجار الليمون والفواكه الصيفية تختلط بزراعة

---

5 - خريطة شلومبرجر : Chlumberger ضابط في البعثة العسكرية في الرباط رسمهما سنة 1892، المصدر : وثائق وزارة الدفاع الفرنسية . أنظرها يساره .
6 - ما يسمى اليوم بحي المحيط وديور الجامع والقبيبات وأكدال .
7 - انظر : Louis Chénier : Recherches Historiques sur les maures



خريطة للرباط ترجع الى سنة 1892 رسمها شلو مبرجر Chlumberger
ضابط البعثة العسكرية المستقرة بالرباط آنذاك.

الخضر ، وكانت هذه المساحات تمتد شمال المدينة أيضا بجوار أبي رقراق مشرفة على السهل المستنقعي ، وقد انتشرت فيها زراعة الحبوب من قمح وشعير وذرة . كما زرع نوع جيد من الحناء ، لكن المحاصيل كانت قليلة ، فكان سهل الغرب هو المزود الأساسي للرباطيين بالقمح والحبوب الأخرى ، أما الخضر التي تباع في أسواق المدينة وخاصة سوق الأحد فإنها كانت تأتي من جارتها سلا. 8

كانت هذه البساتين أنواعا ، فهناك العرصة والجنان والسانية ، والجنان أكبر من العرصة ، وكانت هذه الوحدات تكون المنظر المنتشر تتخللها المجموعات السكنية التي لم تحتل سوى مساحات ضئيلة . وقد وصفت هذه الحقول بغابة خضراء تتوسطها المدينة 9.

وكانت العرصة أو الجنان جزءا لا يتجزء من الاهتمام اليومي لأهل الرباط ، سواء كانوا أغنياء أو متوسطي الحال . وقد شمل هذا الاهتمام في آن واحد أعمال السقي أو الحرث أو التسميد أو تلقيح الأشجار أو تقليمها . كما شمل أنواعا من المعاملات مع المكلفين بهذه البساتين مثل الرباع والحارس وأحيانا أصحاب الخدمات الموسمية مثل العتالة أو حفاري الآبار ... وكان الحرص على النزهات في هذه البساتين من أهم التقاليد لدى السكان وخاصة في بعض المواسم .

وقد بنى بعض الأعيان دورا بالطوب في عرصاتهم ، وعلى كل حال كانت محاصيل هذه البساتين موارد لا بأس بها للعائلات الرباطية كما يتبين من الوثائق الخاصة .

استغلت هذه البساتين استغلالا غير مباشر بواسطة الرباع وهي قسمان : بساتين الموظفين المخزنيين العاملين خارج الرباط وبساتين السكان المستقرين بالمدينة ، الذين كانوا موظفين أو تجارا أو عملوا في حرف صناعية ، أما الغائبون عنها فكانوا يعهدون بها الى أحد أصدقائهم أوأقربائهم للعناية بها 10 والتكلف ببيع الثمار وجلب دواب

8 - J. Caillé. op.cit. p. 370

9 - المرجع والصفحة نفسهما

10 - هذه حالة سيدي أحمد الزعيمي الذي كان قاضيا بالدار البيضاء نيابة عن قاضي الرباط : وثائق خاصة في حوزة صاحب الرسالة .

السقي أو الحرث وغير ذلك . أما المستقرون بالمدينة فكان من بينهم من يتعهدها بنفسه مثل بعض أهل الحرف ويقوم ببيع الغلال التي كونت موردا آخر لهم .

3- لمحة تاريخية عن الرباط

1.3 - من البداية الى فترة الهجرات الأندلسية الكبرى

يكتنف غموض كبير تاريخ مدينة الرباط ونعلم أن موضع المدينة وضاحيتها كانا مسكونين فيما قبل التاريخ كما تدل على ذلك الحفريات حيث عثر في هضبة شالة على بقايا راجعة الى عصر الباليوتيكي أو النيوليتيكي [11] ووجدت في منطقة القبيبات جمجمة بشرية تنتمي الى العصر النيادرتالي [12] ويرجح أن القرطاجيين أسسوا مركزا على ضفاف أبي رقراق ويكاد يتفق المؤرخون على أن الرومان بنوا مدينة سلا [13] كما يرجح أنهم بنوا في موضع قصبة الأوداية مركز حراسة يحتوي على مرقب للسفن حيث كانت سفنهم تأتي للرسو في نهر أبي رقراق . وقد غير الإسلام مصير موضع الرباط . فمنذ القرن الثاني الهجري نشأت مملكة بورغواطة المبتدعة بين نهري أم الربيع وأبي رقراق ، فأصبحت المنطقة منذ ذلك الحين مسرحا لصراعات متكررة بين البرغواطيين والمسلمين واتخذ هذا الموقع ميزة الجهاد ، واحتفظ بها خلال مئات السنين [14] .

وثبت أنه وجدت قلعة أو رباط في مكان الانكسار الصخري للأوداية ، كان المسلمون المتقون قد اتخذوه مقرا للعبادة والتمرن على الجهاد ، وتشير النصوص القديمة إلى قلعة أو قصر بني تارگة أو قصبة الأمير تاشفين وجدت عند نهاية القرن الثاني عشر في الموقع نفسه ، لكن تاريخ الرباط لم يعرف في خطوطه الكبرى على الأقل،الا ابتداء من

---

11 - الأول يعني العصر الحجري القديم والثاني العصر الحجري الحديث .

12 - النيادرتال كان بين 35.000 و 150.000 سنة قبل الميلاد .

13 - الأقوال متضاربة في تاريخ بنائها مع ذلك . فالفقيه محمد بن علي الدكالي صاحب كتاب الإتحاف الوجيز يقول إنها أسست في عهد ابن زيري الزناتي الإفراني ملك شالة وتادلة قبل دخول الاسلام . انظر أيضا : J. Cousté : les grandes familles indigènes de Salé : p. 6

14 - J.Caillé : La petite Histoire de Rabat p. 10.

الموحدين.

في سنة 545 هـ/1150 أسس الخليفة عبد المومن على الضفة اليسرى من مصب أبي رقراق قلعة ضمت قصورا ومسجدا ومرافق أخرى. وتنطبق أوصاف هذه القلعة على قصبة الأوداية كما لاحظ جاك كايي ، باستثناء مبنى المتحف والبستان المحيط بها ، وقد سميت بالمهدية تخليدا لذكرى مؤسس المذهب الموحدي .

ويتحدث المؤرخ الموحدي ابن صاحب الصلاة في تاريخه المن بالامامة 15 عن المهدية التي سماها بالمدينة ، مما يدل على أن بنايات كثيرة أحاطت بالقصبة ، وربما كانت نواة أولى لمدينة الرباط ، ولعلها كانت تجمعا صغيرا هدفه حشد الجنود عند الأسوار قبل التوجه الى إسبانيا الى الجهاد 16. وكانت مهدية في آن واحد رباطا ومقرا أميريا حيث استقر بها عبد المومن الموحدي مرارا كما يستفاد من مؤرخي الفترة .

وعند نهاية القرن الثاني عشر كملت مدينة الرباط فأصبحت حدودها واضحة وهي السور العظيم بأبوابه المعروفة باب العلو وباب الأحد وباب الرواح وباب زعير 17 .

ويتفق المؤرخون على أن يعقوب المنصور الموحدي هو مؤسس المدينة ، لكن من الممكن أن تكون الفكرة الأولى راجعة لأبيه أبي يعقوب يوسف ، وأن المدينة الجديدة التي انتشرت على 428 هكتارا بقيت معسكرا للمجاهدين من الجنود . ويؤكد المؤرخون أنها كانت تضم أزقة واسعة وأحياء منظمة وقصورا كبيرة . فقد قال ابن الأثير : « بني يعقوب المنصور مدينة محاذية لسلا من أحسن البلاد وأنزهها» 18 ووصفها ابن خلكان :«إنها مدينة عظيمة سماها رباط الفتح 19 على هيأة

---

15 - نقلا عن عبد الله السويسي : تاريخ رباط الفتح ص 53 الرباط 1979.
16 - J. Caillé : La ville de Rabat ... p. 11
17 - أيضا .
18 - محمد بن علي الدكالي : الاتحاف الوجيز ، منشورات الخزانة الصبيحية ، 1986 تحقيق مصطفى بوشعراء. صفحة 75.
19 - يقصد يعقوب المنصور الموحدي .

الإسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم وإتقان البناء وتحسينه» .

أما فيما يخص بعض السكان الذين قطنوها ، فقد قال الحسن الوزان إن المنصور لما اختطها جعل عليها من أمناء المصامدة من ينظر في أمر نفقاتها وما يصلحها من الفرق الاحتياطية والقوات العسكرية ولم يزل العمل فيها مدة خمس عشرة سنة [20] .

ربما كان النصف الثاني من القرن السادس الهجري / النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي ، أحسن حقب تاريخ الرباط ، حيث ظهر رباط عبد المومن ومدينة يعقوب المنصور كتجسيد للإيمان الذي كان يذكيه الخليفتان ، ورمزا للإنتصارات المحققة في إسبانيا .

لكن ازدهار المدينة ذبل بعد القرن السادس الهجري / القرن الثاني عشر الميلادي فتوقفت عمليات الجهاد انطلاقا منها منذ بداية القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي . واعتمادا على ابن خلدون خضعت الرباط وسلا للأمير المريني أبي يحيى بن عبد الحق منذ سنة 647 هـ /1249 ، لكن بعد ذلك وقعت المدينتان في يد الموحدين المتأخرين ثم في يد المرينيين ، ويعرف [21] بأن أبا يحيى لما استولى عليها سنة 649 هـ /1251 تقريبا عهد إلى ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بحكمها مع ضواحيها ، وبعد سنة نظم الخليفة المرتضى حملة جديدة ضد بني مرين ، وانتزع منهم الرباط وسلا ، وأعطى قيادتهما إلى شيخ موحدي كبير هو أبو عبد الله ، لكن يعقوب بن عبد الله هاجم الرباط واستولى على القصبة بصفة مباغتة ، واضطر الحاكم الموحدي الى الفرار نحو أزمور متخليا عن خزينته ونسائه ، وانتهى الوجود الموحدي من مصب أبي رقراق.

أدت هذه الصراعات الى تخريب المدينة التي لم تعد سوى حصن ، لكن المعارك التي جرت تحت أسوارها تبين أهمية الموقع الي شيدت

---

20 - عبد الله الجراري : اعلام الفكر بالعدوتين،الرباط 1969 ج 1 ص 8

21 - J. Caillé : La ville de Rabat ... p. 179

عليه .

منذ بداية المدينة ، وخلال السنين الخمسين وخاصة في عهد أبي يوسف كان الجهاد بين سنتي 545 هـ و 598 هـ /1150 و 1200 م هو مبرر وجود التجمع السكاني للرباط ، ولكن بعد أن كان الصراع ضد المسيحيين الهدف الأساسي لنشاط رباط عبد المومن ويعقوب المنصور لم تعد تشارك المدينة أبدا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر إلا بكيفية نادرة وحادثة ، ولم يعد المتطوعون في جوازاتهم إلى حملات إسبانيا يتجمعون بانتظام كما في عهد أوائل سلاطين الموحدين .

كانت الرباط خلال القرن الثالث عشر محطة للملوك المرينيين ، فقد حل بها أبو يوسف عدة مرات ، وفي محرم 676 حوالي 1276 م جمع منها الجنود للذهاب إلى إسبانيا ومنها أيضا نظم الحملة الرابعة إلى أرض الكفار سنة 682 هـ / 1283 م [22] . وفي سنة 684 هـ / 1285 م أرسل السلطان كل سفن المدينة مع سفن موانئ البلاد لمصارعة الأسطول المسيحي . ويتحدث ابن خلدون عن بناء أبي يوسف مسجد شالة الذي دفن فيه خلفاؤه وقد نقل إليه جثمانه من الجزيرة الخضراء التي قتل بها . وعرفت الرباط استقرار عدد من خلفائه مثل أبي يعقوب سنة 687 هـ/ 1288 م وأبي ثابت سنة 707 هـ/1308 م وأبي سعيد سنة 711 هـ/ 1312م ، الذي قضى بالمدينة مدة درس خلالها وضعية المنطقة وصفى كل المشاكل القائمة ، وأنشأ جيشا من أجل الجهاد ، واهتم ببناء أسطول في أوراش سلا ، وأسس أبو الحسن المريني في هذه المدينة مدرسة كما بنى أبو عنان عدة منشآت مازالت موجودة .

عند الانهزام في معركة ريو سلاضو Rio-Salado في إسبانيا تقلص الوجود المريني في العدوة ، فأهملوا شيئا ما رباط الفتح ، وفي نفس الوقت كانت المدينة تساهم في الصراعات الداخلية ، ففي حوالي سنة 777 هـ/ 1376 م استقر أبو العباس أحمد المريني ملك فاس في مصب أبي رقراق مع جيشه ثم انطلق لمتابعة خصمه عبد الرحمان سلطان مراكش وأرغمه على التوجه الى الجنوب .

---

22 - المرجع والصفحة المذكورتان .

إن تدهور دور الرباط استمر في القرن الخامس عشر ، ومع ذلك وحتى قبيل موت أبي سعيد المريني حوالي سنة 882 هـ/1477 م ظل مصب أبي رقراق من المناطق النادرة التي ساد فيها الهدوء النسبي تحت حكم المرينيين وعرفت الرباط التي كانت محطة بين مراكش وفاس صراعات من أجل الحكم ، ففي الرباط وسلا نصب السلطان الصغير عبد الحق الذي صارع أنصاره القائم عليه محمد بن أبي محمد وأحمد اللحياني ، الذي قام بمكناس وأتى إلى الضفتين قصد الاستيلاء على المدينتين . وفي سنة 863 هـ /1458 م أتى أبو زكرياء الى قصبة أبي رقراق للقضاء على تمرد عرب تامسنا .

وفي هذه الفترة ظهر أن الرباط ظلت في معزل عن أزمة الزوايا ، في حين أنشئت في سلا زاوية من طرف المتصوف الكبير الجزولي [23].

لم يعد المؤرخون يتحدثون عن رباط الفتح لمدة خمسين سنة ، لكن في القرن السادس عشر زار الحسن الوزان المدينة وجاء بعده مارمول ، ويبين وصفهما أن المدينة جردت من رونقها القديم وساد الخلاء داخل السور الهائل ، ولم تعد بها سوى مائة دار أو ست مائة كانون متجمعة في حيين أو ثلاثة أحياء قرب الحصن ، ومشتملة على بعض الدكاكين الصغيرة ، وظلت القصبة حسب تعبير الحسن الوزان حصن المدينة ، وكانت قيادتها في يد حاكم المدينة وكان لبني وطاس حامية بها احتسابا لهجوم ما من طرف المسيحيين . وقد قال الحسن الوزان : «من ملك الرباط سهل عليه الاستيلاء على مملكة فاس» [24] .

وصمدت مدينة الرباط في القرن السادس عشر ، وظلت قصبتها حصنا في عهد السعديين ، مع حامية تحت أوامر حاكم المدينة .

وهكذا عاشت الرباط لمدة ثلاثة قرون ونصف متواضعة وظلت إلى حد ما خارج الحركات الكبرى التي هزت البلاد . ومع ذلك حاول المرينيون الذين قلدوا الموحدين في عدة جوانب أن يحافظوا في مصب أبي رقراق على تلك الصبغة المقدسة ، وقد بذلوا جهدهم لكي يكون لهم رباطهم أيضا . وكانت شالة تجسد سياستهم الدينية [25] .

23 - A. Cour : La dynastie de Béni Wattas p. 61

24 - J. Caillé : La Ville de Rabat ... p. 182

25 - أيضا . ص 183.

من سنة 1260 م الى صدر القرن السابع عشر ظلت الرباط تعتمد على القصبة في الدفاع عنها وحماية السكان المتجمعين حول الأسوار .

وفي القرن السادس عشر كانت الرباط مدينة صغيرة ، اعتمادا على الوزان ومارمول ، ومع ذلك كانت في عهد آخر الوطاسيين وأوائل السعديين مدينة ، على الرغم من تسميتها أحيانا بقصبة سلا ليس إلا . وقد قدر عدد سكانها بين 3000 و 4000 نسمة (باعتبار خمسة أو ستة أشخاص في كل كانون من الكوانين الستمائة حسب مارمول) والتجأ إليها عدد من اليهود سنة 1422 م [26] .

لكن الحقيقة أننا نجهل جهلا كبيرا وعميقا مدى الأهمية التي كانت للمدينة لندرة المصادر . فربما كانت أكثر مما يتصور خلال القرن السادس عشر ، فقد بني بها مسجد كبير ونافورة ومدرسة وعدد من الأزقة مثل زنقة باب شالة وزنقة الدورا وبني بها حمام وقطن السكان عدة أحياء من المدينة الحالية [27].

3. 2 جمهوريات أبي رقراق

في بداية القرن السابع عشر أصدر ملك إسبانيا فليب الثالث وبالضبط في 4 غشت 1609 قرارا بطرد مسلمي بلنسية ، وفي 3 دجنبر من السنة نفسها صدر قرار ثان لطرد موريسكيي ممالك غرناطة ومورسية والأندلس ، وكذلك لطرد سكان مدينة هورناتشو Hornachos الموجودة في الاسترامادور في إقليم باداخوس .

وكان الهورناتشيون ذوي عقيدة قوية ، وكانت ثرواتهم كبيرة . ولما كان ممنوعا على مسلمي الأندلس حمل السلاح استطاع الهورناتشيون الحصول على حق حمله مقابل 30.000 دوكا دفعوها للملك فيليب الثالث ، وقد تعرض مسلمو الأندلس إلى كثير من أنواع التعذيب والتضييق ، فقد ألزمهم الإسبان المقام في أحياء منعزلة ومنعوهم من حق شراء الأراضي ، وتعرضوا لديوان التحقيق الذي حكم عليهم بالتعذيب الوحشي والقتل والحرق إذا ما ثبت أن أحدهم تكلم

---

26 - أيضا . ص 183.
27 - أيضا . ص 183 .

باللغة العربية أو امتلك كتابا عربيا أو ارتدى لباسا يوم الجمعة أفضل من لباسه يوم الأحد [28].

ولما أتى المسلمون المطرودون من إسبانيا استقر قسم كبير منهم بالضفة اليسرى من نهر أبي رقراق عند قدم القصبة .

وقد ذكرنا أن الرباط كانت قصبة غير مهمة في هذه الأثناء . وكان أهلها قد بايعوا زيدان السعدي الذي كلف قائده في الرباط باستقبال الهورناتشيين .

وبعد الهورناتشيين جاء الأندلسيون الآخرون في موجات بين عامي 1609 و 1614 ، فازدحمت الرباط والقصبة بهم ، وقد أطلق عليهم اسم الموريسكيين ، وهو لقب عم طائفة المسلمين الذين اضطروا إلى التنصر في إسبانيا . وتسموا كذلك بالعرب الأصاغر [29] .

وقد عرف الهورناتشيون بالثراء كما قلنا ، وحملوا معهم أموالهم، وتعاطوا بسرعة للقرصنة ، وأراد السلطان استخدامهم في جيشه وكلف القائد فاضل الزعروري الأنصاري بتسليحهم .

وهكذا وجدت على ضفاف أبي رقراق ثلاثة تجمعات متميزة : سلا القديمة وهي مدينة سلا الحالية ، وعلى الضفة اليسرى القصبة أي ما يسمى اليوم بقصبة الأودايا التي سكنها الهورناتشيون ، ثم سلا الجديدة وهي مدينة الرباط الحالية التي سكنها الموريسكيون . وكما أن رباط عبد المومن كان الأصل لمدينة الرباط فإن قصبة الهورناتشيين أعطت الانطلاقة لخلق المدينة الرباطية الأندلسية [30] .

كان الأندلسيون قد ملوا من تبعيتهم لقائد القصبة ممثل السلطان السعدي زيدان ، فطردوه سنة 1627 من القصبة التي أصبحت مع سلا الجديدة مستقلتين . وكونتا ما أطلق عليه المؤرخون الأوربيون "جمهوريات أبي رقراق" ، وكانت السلطة في يد حاكم أو قائد يساعده مجلس أو ديوان من ستة عضوا ، من بينهم نجد أسماء عائلية ما زالت إلى الآن مثل بركاش وبلافريج ومورينو ... الخ .

28 - محمد حجي : الزاوية الدلائية ص 167 الطبعة الأولى .

29 - أيضا .

30 - J. Caillé , la petite histoire de Rabat, p. 9

لكن الهورناتشيين تصرفوا كأسياد مطلقين وفرضوا سلطتهم على أندلسي الرباط الذين ثاروا عدة مرات .

وإلى حدود سنة 1641 لم يكن تاريخ " الجمهورية الصغيرة" سوى سلسلة من الصراعات الداخلية تدخل فيها كل من المجاهد العياشي والأروبيين والسعديين . وابتداء من سنة 1641 أصبحت التجمعات الثلاثة تحت سلطة الدلائيين الذين أصبحوا يبسطون سيادتهم على كل المغرب.

ولم تكد تأتي سنة 1664 حتى سيطر عليها غيلان سيد منطقة الغرب قبل أن تخضع سنة 1666 للعاهل العلوي مولاي رشيد .

ويرجح أن عدد الهورناتشيين والأندلسيين تراوح بين 7000 و 8000 31 أشارت المصادر الأوربية إلى برودة عقيدة هؤلاء الأخيرين الذين احتفظوا بتقاليدهم التي أتوا بها من شبه الجزيرة التي كانوا يحنون إليها . وفي سنة 1631 اقترحوا على ملك إسبانيا أن يتركوا له قصبة أبي رقراق على أن يسمح لهم بالعودة إلى هورناتشو.

ولم تمنع الصراعات الداخلية للموركسيين أن يتعاطوا القرصنة التي اعتبرت شكلا من أشكال الجهاد ، والتي كانت أهم نشاط لمدن أبي رقراق . ويحتفظ التاريخ بذكرى قراصنة سلا ، وهذه التسمية تخص سلا الجديدة أي الرباط الحالية 32 ، وانطلقت القرصنة من القصبة بدافع عواطف الحقد التي كان اللاجئون يكنونها للمسيحيين 33 . وكانت العمليات القرصنية قد حققت أرباحا طائلة ، ففي ثمان سنوات أسر قراصنة سلا نحو 6000 أوربي ، وسجلت الديوانة بين سنتي 1629 و 1639 25 مليون دوكا ، وبنى السفن القرصنية صناع مختصون أوربيون . وقد ارتاد قراصنة سلا الجديدة المحيط الأطلنتي ، وقاموا بعملياتهم غالبا في سواحل إسبانيا وفرنسا وإنجلترا بل غامروا بالوصول إلى الأرض الجديدة .

31 - يذكر محمد بن عبد السلام السايح في مخطوطه الغصن المهصور ، في مدينة المنصور [موجود بخزانة علال الفاسي رقمه 481] نقلا عن صاحب كتاب الانوار الحسنية ص 31 أن عددالمسلمين المطرودين من الأندلس عند الجلاء الأخير كان أكثر من 600.000

32 - يقول ابن علي الدكالي في الاتحاف الوجيز إن الأندلسيين المطرودين سنة 1609 لم ينزلوا بسلا التي عرفت مع ذلك هجرات سابقة متقطعة خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ص 77 .

33 - لم يمارس الأندلسيون وحدهم النشاط القرصاني بل مارسه معهم المغاربة : محمد رزوق : الأندلسيون وهجراتهم خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ، دار إفريقيا الشرق ، 1991 ص.ص. 189 و 215 .

لكن القرصنة لم تمنع رؤساء جمهورية أبي رقراق من ربط علاقات سياسية وتجارية بالدول الأوربية . فالموريسكيون كانوا في حاجة إلى السلاح والعتاد وآلات السفن ، والمسيحيون كانوا في حاجة الى افتداء أسراهم وإلى أخذ ضمانات بعدم تعدي سفن القراصنة عليهم ، زيادة على حرصهم على القيام بالتجارة .

وقد أبرمت عدة اتفاقيات بين قواد القصبة والدول الأوربية ، وفي سنتي 1629 و 1630أبرم الفارس دورازيلي De Razilly بإسم لوي الثالث عشر معاهدتين اثنتين مع ديوان القصبة ، وقد نصت المعاهدة الثانية على تعيين قنصل الدولة الفرنسية من طرف الكاردينال دوريشيليو ، وقد تمتع هذا القنصل المعين في القصبة هو ومن معه بحرية ممارسة ديانتهم الكاثوليكية . وفي سنة 1635 تمكن قبطان سفينة دوشالار Du Chalard من تحرير عدة مئات من الأسرى بعد إجراء مفاوضات في ذلك الشأن .

كما عقدت دولة الأراضي المنخفضة عدة اتفاقيات مع أسياد القصبة في سنوات 1651 و 1655 و 1657 .

وبالرغم من القرصنة مورست التجارة في الرباط حيث استقر بعض التجار الفرنسيين والإنجليز والهولنديين ، وساندهم القناصل ، ولعبوا في نفس الوقت دور وكلاء سياسيين .

وهكذا بفضل الأندلسيين استرجعت مدينة الرباط في القرن السابع عشر نشاطها بعد أكثر من ثلاثة قرون من الجمود والسلبية وعلى الرغم من أن هذا التجديد كان راجعا إلى سكان أتوا من عدوة الأندلس فإن هذه البلاد ارتبطت على كل حال بالمغرب بروابط الإسلام والحضارة منذ القديم . ومن جهة ثانية أعاد الموريسكيون سنة الموحدين وهي الجهاد ضد المسيحيين ، هذا الجهاد الذي يفسر قسما كبيرا من تاريخ مدينة الرباط .

3 . 3 المدينة في عهد العلويين

لعب قادة الرباط وسلا دورا كبيرا في نشر الهدوء في مصب أبي رقراق وقت ظهور العلويين حيث لم تحدث ثورة ما في المكان أيام مولاي الرشيد ومولاي إسماعيل . ويتعلق الأمر بشخصيات أمثال أحمد بن حدو الذي كان من أهل الحظوة لدى المولى إسماعيل ، لكن الشخصيات الأندلسية لعبت دورا أكبر من ذلك كالحاج عبد القادر مورينو والحسن بن محمد اسكيردو [34] .

كان مورينو قائدا للقصبة بين سنتي 1664 و 1666 ، وبعد ذلك أصبح حاكما عاما سنة 1671 . وبعد 11 سنة أصبح قائدا للميناء ويوجد اسمه في لائحة العائلات المغربية التي أوردها مويط [35] ولقب لدى الأوربيين بالأمين العام لبحرية ملك فاس .

ومعلوماتنا عن قيادة الرباط والقصبة قليلة جدا ، لكن نعلم أن القرصنة ظلت نشيطة بضفاف أبي رقراق وكان السلاطين الجدد هم الذين أشرفوا عليها وامتلكوا سفنها .

لا يتحدث المؤرخون المغاربة سواء الزياني أو الناصري وحتى الضعيف عن الرباط أواخر القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، ولا يشيرون إلى مرور مولاي الرشيد إلى مصب أبي رقراق وإلى اجتياح الجراد لها سنة 1725 [36] . فلا نعلم ما قد وقع من تغيرات ، وكل ما نعلمه معلومات نادرة متناثرة كوجود عدد من التجار اليهود بالمدينة ولا نعرف أثر وباء سنة 1678 على سكان المدينة ، علما بأنه خلف عددا كبيرا من الموتى في مراكش . وأشار مويط فقط إلى موت شخصين في الرباط من بينهما أسير فرنسي [37] .

---

34 - J. Caillé : La ville de Rabat p. 290

35 - Mouette سجين فرنسي أسر من طرف قراصنة أبي رقراق أيام سلطنة مولاي الرشيد تحدث عن هذه العائلات في كتابه : أسر السيد مويط في مملكتي فاس ومراكش .
La captivité du sieur Mouette dans les Royaumes de Fez et de Maroc.
ويذكر أنه كان ألقي عليه القبض من طرف قرصان إسمه القرطبي سنة 1671 انظر ص 182 منه.

36 - J. Caillé : La ville de Rabat ... p. 295

37 - مويط ، مرجع سابق ص 35

وبعد وفاة المولى إسماعيل ظلت مدينة الرباط هائئة ، لكنها لم تستطع بعد مدة وجيزة الإفلات من الفوضى التي عمت كل البلاد . وتصبح المعلومات متوفرة نسبيا خلال الفترة اللاحقة بفضل الضعيف38. وانطلاقا من مؤلفه يمكن تلخيص الخطوط الكبرى لتاريخ المدينة فيما يأتي :

تحدث الضعيف عن الرباط لأول مرة عندما ذكر أن السلطان محمد ولد عربية 39 وجه ولده مولاي عبد الكريم أميرا على الرباط فلم يحكمها سوى ستة وعشرين يوما بعد أن وقف أمامه الباشا الحوات 40 . لكن الأحداث المهمة هي التي جرت عند بيعة مولاي المستضيئ فقد بايعه باشا سلا عبد الحق فنيش بينما بقي أهل الرباط موالين لأخيه مولاي عبد الله . وقد أراد المستضيئ إمالة أهل الرباط إليه فرفضوا ، فكان ذلك سببا في محاصرة هذا الأخير مدينة الرباط أربعة عشر شهرا ، وقتل شخصيات رباطية وسلاوية على يد عبد الحق فنيش ، «واستعان المستضيئ بنحو مائة قبيلة من قبائل بني حسن » فضربوا الحصار على المدينة مدة طويلة . وحاول أنصار المستضيئ الدخول إلى المدينة ليلا بعد أن صنعوا السلاليم ، غير أن أهل المدينة استطاعوا الانتصار في المعركة التي جرت داخل الأسوار ، وقتلوا الكثير من أنصار المستضيئ.

وفي سنة 1159 هـ / 1746 م وجه المولى عبد الله ولده مولاي أحمد إلى مدينة الرباط خليفة له فيها . لكن سيرته وسيرة أصحابه لم تحمد لدى السكان . فحاصروه ابتداء من شوال 1160 / 1747 ، وفر الكثير من أصحابه إلى أن طلب الأمان من الرباطيين . وتوسط الفقيه أحمد بن عبد الله الغربي 41 بينه وبين السكان فأخرجه من القصبة . ولما اشتكى الأمير إلى أبيه وعده أن يأخذ أخوه محمد له الثأر من أهل الرباط 42 .

---

38 - حقق مخطوط الضعيف من طرف الأستاذ البوزيدي . وقام بتحقيقه أيضا الأستاذ العماري / 1986 واعتمدت على الثاني .

39 - ابن السلطان مولاي إسماعيل

40 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة، تحقيق وتعليق أحمد العماري ، دار المأثورات ، † 1986 ص 125 .

41 - عالم ، ذكره سليمان الحوات في كتابه الروضة المقصودة .

42 - محمد الضعيف - المرجع السابق ، ص 153 .

ويخبرنا الضعيف بآثار ضعف السلطة المركزية قائلا : «واستقل أهل فاس بأنفسهم وكذلك أهل الرباط ، فكانوا يأكلون مال المرسى ، وعملوا آيت الأربعين ، وأخذوا في شراء الخيل والعدة ، وثاروا على السلطان ، وصاروا يقيدون هذا أياما ثم يقتلونه بالغدر ، ويقيدون هذا ثانيا ويهجمون عليه فكان هذا أمرهم» 43. وقعت هذه الأحداث سنة 1166/1753 . وفي شوال 1754/1168 توجه الأمير محمد بن عبد الله إلى الرباط فأقفل أهل الرباط أبواب المدينة في وجهه باتفاق مع أهل سلا ، وعلى رأسهم عبد الحق فنيش . لكن هذا الأخير غير رأيه وأمر بفتح أبواب سلا أمام السلطان ، وخرج السلاويون يطلبون الأمان فلم يجد أهل الرباط بدا من أن يقلدوا فعل جيرانهم . وما أن دخل الأمير إلى الرباط ، حتى ألقى القبض على بعض أعيان المدينة ، وعفا عن بعضهم بعد ذلك ، ورحل منهم البعض إلى مراكش . ونصب أحد رؤساء البحر الرباطيين عليهم عاملا وهو القائد العربي المستيري .

ولما بويع محمد بن عبد الله كان موقف الرباطيين القبول والترحاب . ويحكي الضعيف كيف احتفل السكان بمقدم السلطان فقال : "فدخل القصبة وخرجت الأنفاض من بساتينها 44 وطلع على سفينته قبل أن تقوم ، وصار يرمي للناس من أعلاها الدراهم والدنانير" 45 .

وعندما عاد إلى الرباط في مناسبة أخرى وزع أسلحة ذهبية وأكسية وأموالا على الرياس والبحرية الذين كانوا قد غنموا سفينة من جنس السويد ومنهم الرايس العربي المستيري .

ويصف الضعيف بإسهاب اعتناء السلطان بمدينة الرباط ، ويمكن الاستنتاج أنها أصبحت مدينة سلطانية من فرط البنايات والمنشآت التي أقامها بها ، ولابأس أن نأتي ببعض الفقرات التي تبين ذلك من مؤلف المؤرخ الذي قال في هذا الصدد : «وبنى برباط الفتح القصبة الكبيرة وجددها بعد الهدم ، وبنى بها البستيون المعروف ببرج خنزيرة ، وبستيون آخر المقابل لسلا ، وبنى برج السراط ، وصقالة ابن عائشة ، وجدد قصبة مولانا الرشيد ، وبنى بيت المال بالقصبة الكبيرة بالرباط .

43 - كذلك . ص 156

44 - يقصد الباستيونات Bastions أو الأبراج

45 - محمد الضعيف ، مرجع سابق ص . 157

وأتى سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله لرباط الفتح بالماء الجاري من عين عتيگ ، وبنى جامع السنة في وسط أگدال ومساجد أخرى معه ، وبنى باب الرواح ، وبنى باب الحديد المقابل لداره ، وبنى داره بأكدال برباط الفتح » 46 .

كما وصف المؤرخ الازدهار الذي بلغته البلاد في عهد السلطان ، وأهمية دور الرباط في ذلك ، فتحدث عن كثرة السفن التي قادها رياس أهل سلا والرباط الذين كانوا يحملون إلى السلطان وهو بمراكش الأسرى من النصارى في كل سنة ، ومن هؤلاء الرياس - إضافة إلى العربي المستيري المذكور - الرايس عواد السلاوي ، والرايس الكوار الرباطي والرايس العربي حكم الرباطي 47 .

ومن أهم الملاحظات التي يمكن إبداؤها عن سياسة السلطان إزاء مدينة الرباط وسكانها استفتاؤه علماء فاس في إخراج أهل الرباط من مدينتهم سنة 1773/1187 .

ويلاحظ الضعيف أن السلطان أصبح حاقدا على أهل الرباط وأنه كان يريد ترحيلهم إلى الصويرة لما بلغه " من بعض الوشاة " أنهم أرادوا الاستقلال بأنفسهم ، ويفسر الضعيف هذا الحقد بالرغبة في الانتقام منهم إثر موقفهم ضد أخيه مولاي أحمد في القصبة سنة 1161 .

وقد ادعى السلطان أن الرباط «بلد المخزن ، وأن السلطان يرث السلطان ... وقد افتاه الكثير من علماء فاس إلا البعض منهم كالسيد التاودي بن الطالب بن سودة» 48 . وقد علق المؤرخ على هذا القرار قائلا : « ثم رأى أنه إن أخرجهم لم يجد من يقوم مقاهم بالبحر والسفن فغض الطرف عنهم » . وفي إطار حقد السلطان على الرباطيين رحل عبيد فاس الجديد الى الرباط ، وأسكنهم بأگدال قائلا لهم : «إني أعطيتكم ديار أهل الرباط بما اشتملت عليه من الأثاث والطعام وغير ذلك ...» 49 .

انتهت القطيعة بين السلطان والرباطيين بعد أن استغلوا فرصة مجيئه إلى المدينة وخرجوا إليه مستشفعين . وبعد وفاة السلطان تجددت

---

46 - أيضا . ص 167.
47 - كذلك . ص166 و 170.
48 - كذلك . ص177 .
49 - كذلك . الصفحة نفسها.

الفوضى حيث اختلف أهل الرباط وسلا حول من يبايعون ، فمنهم من أراد بيعة هشام ، ومنهم من أراد بيعة اليزيد ، وأخيرا اتفقوا على بيعة هذا الأخير و سرعان ما تجدد الخلاف فظهرت شيعة هشام ترأسها الحاج عبد الله برگاش تخالف أغلبية أهل الرباط . ويذكر الضعيف استغلال القبائل المجاورة للرباط فترة الفوضى وخلو مركز السلطة للقيام بأعمال النهب ، فقامت قبيلتا الصباح والدغمة بمحاولة نهب الجيش الموجود داخل أگدال الرباط ، وأخيرا تم الاتفاق على بيعة اليزيد . وفي أيامه رحل جميع عبيد أگدال ، وكانت علاقة السلطان بأهل الرباط حسنة على العموم .

وسرعان ما توفي اليزيد سنة 1792 ، فانقسم أهل الرباط وأهل سلا إلى مناصرين أو مؤيدين لهذا المرشح أو ذاك . فتزعم عبد الله برگاش قائد المدينة قسما من السكان وأراد بيعة مولاي سليمان ، بينما أيد المحتسب الحاج عباس مورينو وشيعته هشاما ، وقامت فتنة كبيرة وانقسمت المدينة إلى أحياء متعادية . فكان حي الگزا تحت زعامة المحتسب ومعه أحد الأعيان وهو المكي فرج . وكان هذا الحي معاديا لشيعه عبد الله برگاش الذي كان معه ربع أهل المدينة . وتلقى مورينو مساعدة عسكرية من طرف مولاي سلامة . في حين كان مولاي سليمان قد نصب من طرف أعيان فاس سلطانا . وانتهت الفتنة بقتل مورينو والمكي فرج ، وحتى عبد الله برگاش لم يفلت من العقاب نتيجة تنكره لمولاي سليمان في وقت ما ، فألقى السلطان عليه القبض وسجنه بفاس.

وبعد مدة أصبحت العلاقة طيبة بين المدينة والسلطان الجديد ، وأعطيت قيادة المدينة الى آل برگاش فبعد عبد الله برگاش تولاها محمد برگاش ، ثم ابنه المكي .

وفي سنتي 1226 و 1227 (1810 و 1811) ثار البربر على السلطان الذي استطاع الانتصار عليهم ، فزينت أسواق الرباط وسلا احتفالا بذلك. وظلت الرباط تستقبل السلطان طيلة عهده ، فكان يأتي إليها ويقضي أياما ويعين القضاة والعمال والنظار والمحتسبين بها .

وساءت العلاقة بين السلطان والرباطيين عندما ثار الخرازون بالرباط على عاملهم الحاج عبد الرحمان عشعاش التطواني . وقد قامت فتنة شارك فيها عدد من العوام والأطفال مع الخرازين وتبعوا العامل ورجموه بالحجارة . وقد اضطر السلطان إلى تغيير العامل وتعويضه بالحاج محمد السويسي ، محملا القاضي مورينو مسؤولية ذلك التمرد ، فعزله وولى مكانه الفقيه محمد بن جلون في شوال 1230 / 1814 [50] . كما ألقى القبض على بعض الأعيان المسؤولين عن هذا التمرد أمثال الفاطمي بن المكي برگاش ، وابن رمضان أمين الخرازين ، وشخص يدعى ابن سليمان ، وقد رحلهم بنسائهم إلى الصويرة . [51]

وبعد ذلك عادت العلاقة إلى الوئام . ومن أهم ما حدث في الرباط أيام المولى سليمان سنة 1817 قراره بإلغاء القرصنة نهائيا ، فنزع سفن الرباط وسلا من رياسها ، وقام بتوزيعها هي وسائر سفن الموانئ الأخرى على باي الجزائر وباي تونس ، فظهر أن دور رياس البحر الرباطيين والمغاربة على العموم انتهى . وفي أواخر عهد مولاي سليمان وقعت التمردات التي شارك فيها بربر الأطلس ، وتعادت عدة مدن مع السلطان الذي بدا ذا سلطة ضعيفة ، لكن الرباط ظلت من المدن القليلة التي خضعت له وساندته [52] .

---

50 - كذلك . ص 392

51 - أيضا . ص 393

52 - J. Caillé : La ville de Rabat... p. 321

الفصل الثاني :
وظائف المدينة

1 - الأهمية الستراتيجية والسياسية :

تدل عدة إشارات على أن مكانة مدينة الرباط ودورها كان لهما أهمية لا يستهان بها إلى جانب المدن الكبرى الأخرى خلال القرن الماضي ، وقد أشرنا في المقدمة إلى قيمة موقع المدينة على المحيط ، مما جعلها منفتحة على الخارج ، معروفة لدى الأوربين مع جارتها سلا منذ عهد القرصنة ، وقد جلب موقعها الأجانب لينموا تجارتهم مع البلاد عن طريق مرسى المدينة وغيرها من المراسي التي كانت مفتوحة في وجه التجارة الخارجية منذ عهد الإستئناف التجاري [1] وبعد احتلال الجزائر على الخصوص .

وكنا أشرنا أيضا إلى أن موقع المدينة كان في مكان يتوسط البلاد، بحيث كان الانتقال من العاصمة فاس إلى العاصمة مراكش يستوجب المرور منها . لذلك اعتبرت المدينة محطة أساسية ليس في القرن الماضي فقط بل في عدة فترات قبله ، فقد كانت القوافل التجارية والحركات السلطانية تتوقف بالمدينة ، انطلاقا من الشمال إلى الجنوب أو العكس . فلم تكن تسلك الطريق الأوسط المحاذي للأطلس والأقرب من غيره ، وذلك بسبب خطر القبائل المتمردة المحاذية لمكناس وفاس والأطلس المتوسط ، مثل گروان ، وبني مطير وزيان ، وإنما تتوجه غربا كما أسلفنا الذكر .

وكان عبور نهر أبي رقراق يعطي للمدينة دور مركز استراحة للسلاطين وحاشيتهم من أعضاء الجيش والمخزن في حركاتهم أو أسفارهم ، حيث كانوا يقضون بعض الأيام بها . ومنذ ماقبل القرن التاسع عشر لم تكن الرباط تستقبل السلاطين أثناء مرورهم فقط من عاصمة إلى أخرى ، بل كانت مقصدا لهم لتفقد أحوالها أو للتعييد فيها . فبعد اعتلاء السلطان عبد الرحمان الحكم أتى إليها ، ومكث فيها بعض

1 - عرفت فترة السلطان مولاي سليمان (1792 - 1822) تقلصا كبيرا في العلاقات المغربية الأوربية. وهذا ما عرف بعهد الانكماش المغربي أو العزلة المغربية ، والسبب هو سياسة السلطان الحذرة ، وأيضا أوضاع أوربا وانشغالها بالحروب النابليونية . وفي عهد خلفه المولى عبد الرحمان (1822 - 1859) عادت العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين المغرب وأوربا إلى سالف عهدها ، وخاصة بعد احتلال الجزائر . وهذا ما أطلق عليه المؤرخون الأوربيون وقت الاستئناف التجاري .

الوقت وتلقى البيعة واستقبل بها الوفود كوفود قبائل الحوز.[2]

ومما يدل على أن المدينة كانت تحظى بعناية السلاطين أنها كانت طوال القرن الماضي محطة لتخييم الحركات فكان الكثير من قواد القبائل المجاورة يأتون إليها مع فرسانهم، ويخيمون بإحدى ساحاتها، تنفيذا لأمر سلطاني، في انتظار الإنطلاق نحو المناطق المراد تأديب قبائلها المشاغبة[3]. وقد لوحظ ذلك على الخصوص في أيام السلطان مولاي الحسن.

وتتجلى أهمية موقع المدينة في انتباه الأوساط الاستعمارية الأوربية إلى كون موضعها حلقة وصل بين الجزء الشمالي والجزء الجنوبي من المغرب، وتكفي السيطرة عليها للتحكم في البلاد. وسد الطريق بين المغرب الشمالي والمغرب الجنوبي ; لذلك اعتبروها مفتاح المغرب.

ولقد رأى الأجانب في الرباط مركزا مناسبا لتصدير الأصواف[4] الجيدة، وكانت عمليات رسو السفن، وإقلاعها تتم في ميناء أبي رقراق في أحسن الظروف، فالميناء النهري كان يحمي السفن الشراعية من الرياح والأمواج، بعكس ما كان يقع في موانئ المغرب الأخرى. ففي الدار البيضاء كانت عمليات الشحن والإفراغ تتم في ظروف صعبة، بسبب تلاطم الأمواج. لكن العقبة الوحيدة في ميناء أبي رقراق مع ذلك هي وجود الحاجز الرملي الذي لا يتعدى عمقه ثلاثة أمتار[5] فكان عرقلة في وجه السفن، عدا التي لها حمولة خفيفة، وكثيرا ما تسبب الحاجز في إغراق السفن ومنها على سبيل المثال السفينتان الفرنسيتان بون هيلين Bonne Hélène وجون كريستين Jeune Christine والإنجليزيتان إيبي Ebé و أولاس Aolas، وسفينة برتغالية سنة 1852[6].

---

2 - الناصري: الاستقصا ج 9. ص 8.

3 - رسالة أحمد المديوني إلى السلطان المولى الحسن مؤرخة بـ 27 شوال 1310 خ.م. محفظة 407

4 - منذ بداية عهد السلطان مولاي عبد الرحمان.

5 - J.L. Miège : **Le Maroc et l'Europe**. Paris 6, 1962 T. 2 p. 176

6 - المرجع نفسه ص 175.

2 - الصبغة الدبلوماسية للمدينة

كانت الرباط خلال القرن الثامن عشر بالأخص مقر القنصليات والسفارات الأوربية ، ويدل اسم شارع القناصل على الماضي الدبلوماسي للمدينة لاسيما في عهد السلطان محمد بن عبد الله (1757 - 1790) حيث كانت عدة دول ممثلة بقنصلياتها ، ويعطينا الرحالة والمؤرخون معلومات عن هذا الشارع الذي كان حسن التبليط ، وكان يضم دار قنصل السويد والدانمارك وهولندا ودار قنصل فرنسا . وكانت دار القنصل الفرنسي شينيي Chénier كبيرة وجميلة لها واجهة تطل على نهر أبي رقراق ناظرة إلى سلا [7] .

وبعد استئناف العلاقات بين المغرب وأوربا إثر فترة الانكماش التي سادت في عهد مولاي سليمان أصبحت المدينة مكان استقبال مختلف السفارات ، ودارا للتفاوض في مختلف القضايا التي كانت تهم المغرب والدول الأوربية . وكان استقبال بعض الدبلوماسيين يجعل السلطان يطيل مكوثه بالمدينة . فالسلطان عبد الرحمان بن هشام بقي عدة شهور فيها عندما استقبل بقصره بأكدال الدبلوماسي ليون روش في نونبر 1845 (8) فصاحبه 25 قائدا و 100 فارس وكل البحرية والطبجية في المدينة واصطفت الفرق السلطانية على الممر متكونة من ثلاث فرق من المشاة النظاميين والعبيد والأوداية والشراردة وبني حسن ومخازنية طنجة والعرائش [9].

وازدادت الأهمية الدبلوماسية للمدينة باستقرار القنصليات أو نياباتها ، التي تكاثرت كلما مر القرن التاسع عشر . فكان أول نائب قنصلي فرنسي بالمدينة هو إيدمون كومب Edmond Combes الذي حل

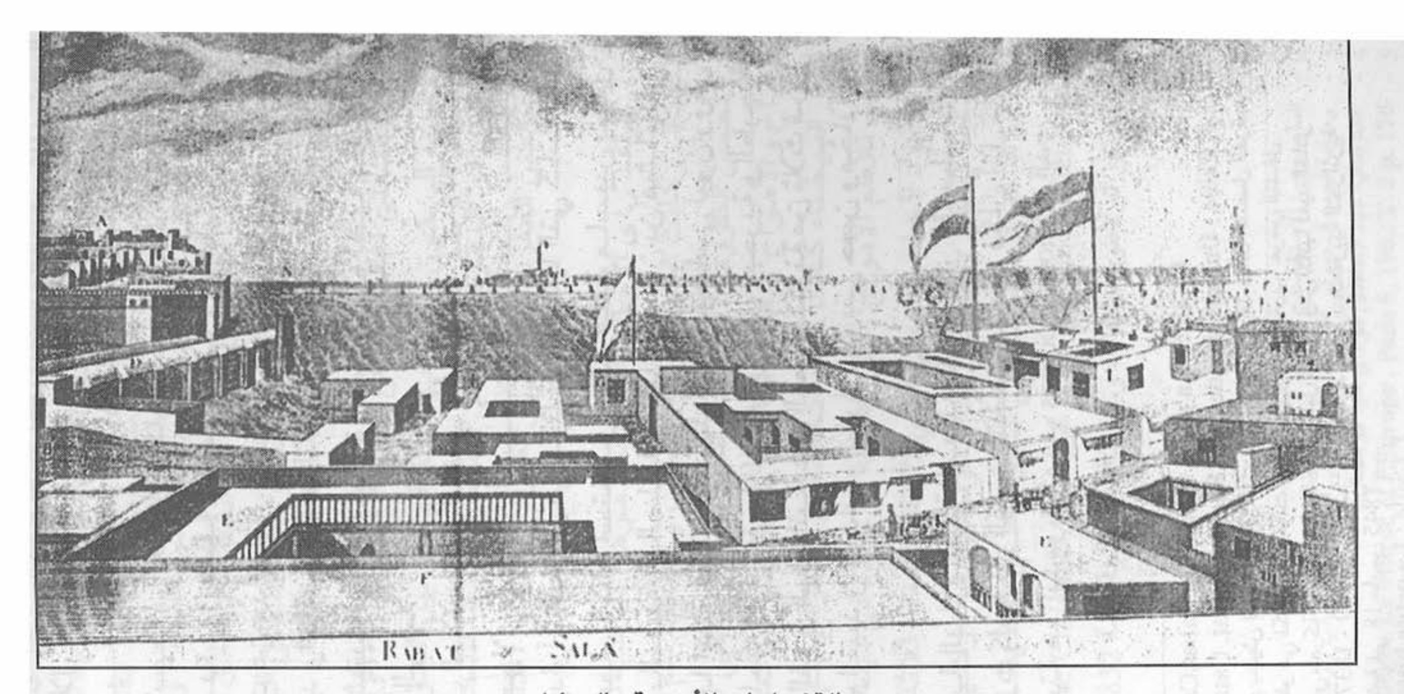
---

7 - J. Caillé : La petite histoire de Rabat,Casablanca n.d. p. 166

8 - J. Caillé : Une mission de Léon Roche à Rabat, Casablanca , 1947 p. 344

ليون روش عمل كمترجم بجيش إفريقيا الذي قام بغزو الجزائر ، وقد ساند القنصل الفرنسي العام في المغرب دوشاطو في فكرته التي مالت إلى التحاور مع المغرب عوض التدخل العسكري بعد الانهزام في معركة إيسلي سنة 1844 . وعمل ليون روش كاتبا لعبد القادر الجزائري بين سنوات (1837 - 1839) ، وحضر في تخطيط الحدود المغربية الجزائرية بمقتضى معاهدة للامغنية في 18 مارس 1845 .

9 - J. Caillé : La petite histoire de Rabat p. 159



القنصليات الأوربية بالرباط

هذا المنظر المرسوم من طرف هين Heine والمنقوش من طرف هاس Haas يبين الحي الذي كانت توجد فيه القنصليات الأوربية في عهد السلطان محمد بن عبد الله في المكان الذي توجد به حاليا زنقة القناصل . ونرى في حرف A قصبة الأودايا وفي حرف B و D مخازن الديوانة وفي E الحي اليهودي وفي F قنصلية الدانمارك وفي G قنصلية فرنسا وفي H قنصلية الأراضي الواطئة وفي حرف I قنصلية السويد وفي K السوق وفي L صومعة حسان (على غير حقيقتها) وفي آخر الصورة مدينة سلا وشاطئها يفصلهما بورقراق .

بها بعد ذهاب ليون روش في نفس السنة التي أتى فيها (أي 1845). فاستقل بشؤون نيابة قنصلية فرنسا بالرباط ، بعد أن كان اليهودي سيرويا مكلفا بشؤون فرنسا وإنجلترا معا في المدينة [10] . وعندما حل بها أرسل تقريرا إلى وزير الخارجية ببلاده يخبره بأن أهل الرباط، بعد طول غيبة التمثيل الفرنسي بمدينتهم ، اعتقدوا أنه قنصل عام ، وأخذ يعطي التبريرات لتحويل نيابة قنصلية الرباط ، إلى قنصلية كاملة ، بسبب أهمية المدينة ، ومستقبل علاقتها مع فرنسا [11] .

وقد قدم مختلف نواب القناصل الفرنسيين والإنجليز والإسبان وغيرهم تقارير عن القيمة الستراتيجية ، والاقتصادية للمدينة ووصفوا دورها كمركز صناعي حرفي ، محاولين جلب اهتمام حكوماتهم إليها قصد جعلها مستوطنة تستقطب التجار ودور التجارة ورجال الأعمال والوكلاء الأوربيين . لكن في الوقت الذي كان هؤلاء الدبلوماسيون قد أشادوا بالحفاوة التي قوبلوا بها من طرف السلطان والأعيان [12] تشكت أغلبيتهم من معاملة السكان ، ووصفوهم بأنهم أكثر سكان المغرب عداوة للمسيحيين .

3 - الوظيفة العسكرية

يظهر أن الجانب الحربي لم ينسلخ عن المدينة في فترة ما منذ تأسيسها . فبعد أن أشرنا في المقدمة التاريخية إلى صبغة الحصن أو القلعة التي تميزت بها المدينة ، عندما كانت معقلا للجنود المنطلقين نحو إسبانيا لمحاربة الكفار في عهد الموحدين وأحيانا في عهد المرينيين، فإن دور الجهاد تجدد في عهد خلفاء المنصور السعدي عندما استقبل مصب أبي رقراق ، المهاجرين الأندلسيين . ومنذ ذلك الوقت ظل الجهاد البحري يعطي للمدينة ولجارتها سلا مكانتها الحربية. فأصبحت الرباط وسلا، معقل البحرية المشهورين في كل البلاد وكان عددهم 1121 في المدينتين في عهد السلطان محمد بن عبد الله [13]،

10 - Ar. A.E.F. : rapport politique : le Maroc 1845 : De Chasteau

11 - Ar. A.E.F. : Lettre : 31 dec 1846 : T.1. : 1846 - 1872

12 - J. Caillé : **La ville de Rabat , jusqu'au protectorat Français,** Paris 1949 p. 347

13 - محمد بن علي الدكالي : **الاتحاف الوجيز** : تحقيق مصطفى بوشعراء ص 47.

وتخرج منها رياس دربوا الجيش المغربي في سائر عهود السلاطين العلويين إلى حلول الحماية 14 . كما كونت المدينتان ، أهم الطبحية والبونبجية الذين تحدث عنهم غير ما مرة الضعيف خلال القرن الثامن عشر ، والناصري خلال القرن التاسع عشر .

لقد حافظت المدينة على هذا الدور خلال القرن التاسع عشر فعلا ، فكانت في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام مقرا لآخر رؤساء البحر المشهورين في البلاد .

وإذا كان دور القصبة التي كانت قبل سنة 1833 تعرف بقصبة الأندلسيين قد خبا لبعض الوقت ، فإنه تجدد أيام هذا السلطان عندما نقل في السنة المذكورة رؤساء جيش الأودايا إليها الذين ساهموا في نشر الأمن في الطرق المؤدية إلى الرباط من جهة أولى ، وفي تأديب القبائل العاصية من جهة أخرى 15 .

ازداد الدور العسكري للمدينة بحق كلما توغلنا في القرن التاسع عشر . ونشير في هذا الصدد إلى ملاحظتين أساسيتين الأولى أن مركز الرباط أصبح يتأكد عسكريا ليس فقط لكون المدينة محطة للجيوش السلطانية قبل انطلاقها في عملياتها التأديبية (مما جعل المدينة تكتسي - بمنظر الفرسان والجنود والأخبية والرايات - طابع الاستعداد الحربي) وإنما أيضا لأنها مدرسة عسكرية حيث كان رؤساء الجيش الرباطيون والسلاويون الوارثون لتقنيات استعمال الآلات الحربية ، من مهاريس ومدافع وغيرها ، وكذا لقوانين الجيش ، يدربون شبان العدوتين وغيرهم 16 .

وكان قائد الأودايا الرئيس المباشر لجيشها المعسكر في المنطقة الممتدة بين الرباط وتمارة وحتى الصخيرات ، لكن عامل الرباط كان - بالإضافة إلى إشرافه الإداري - رئيسا عسكريا ، وكان رهن إشارته عدد من الجند والمخازنية وأهل جبالة الذين عملوا كحراس مسلحين ، وكان يشرف على شؤون الجيش من توزيع للرواتب والألبسة والعتاد

---

14 - ابن زيدان : الاتحاف ج.3. ص 409 وأيضا الجراري عبد الله شخصيات تاريخية ، 5 ص 154.
15 - J. Caillé, la ville de Rabat ... p. 176
16 - الاتحاف لابن زيدان و شخصيات تاريخية للجراري المذكوران آنفا ، الصفحات نفسها .

بمساعدة موظفين آخرين كالأمناء والمحتسب .
أما الملاحظة الثانية فهي أن الرباط جعلت في أواخر القرن مركزا لتدريب الجيش من طرف البعثات العسكرية الأوربية في إطار ما سمي بالإصلاحات .

4 - الوظيفة الاقتصادية

لا تجود الوثائق المغربية إلا بالقليل مما يمكن أن يمدنا بنظرة لتقييم الأهمية الاقتصادية للمدينة . ولكن تقارير القناصل والدبلوماسيين على ما فيها من تفاوت في الإحصائيات والأرقام تؤكد جميعها على هذه المكانة . فمنذ الفترة الأولى من القرن الماضي اعتبرت كل من الرباط وسلا تجمعا صناعيا مهما في البلاد ، ووصف سكانها بأنهم أهل حرف وصناعة اشتغلوا بالنشاط الحرفي بأكبر نسبة [17] مقارنة مع باقي السكان ونستطيع أن نتعرف على أنواع الحرف والصناعات وأصناف المنتجات ومقاديرها وعدد العاملين بها ، من خلال بعض الإحصائيات والتقارير التي أعدها الوكلاء القنصليون الذين عاشوا في المدينة خلال القرن الماضي .

وأهم هذه الدراسات تلك التي قدمها ج.ل. مييج والتي اعتمد فيها على ربائد غميسة في الأرشيفات الفرنسية والإسبانية ، والإنجليزية المنتمية إلى الفترة الممتدة بين سنتي 1855 و 1870 ، فأشار فيها إلى أن الرباط في النصف الأول من القرن كانت أكثر مراكز البلاد ، ازدهارا في ميدان الحرف والصناعة [18] وقد اعتمد مييج على تقرير لأوگست بوميي[19]

17 - Ar. Vinc : Manuel de l'Officier dans l'empire du Maroc, par Seraphin Calveron auditeur général de l'armée. Mai 1844.
ترجم عن الإسبانية من طرف هارموا L. Harmois قبطان القيادة العليا الملحق بسفارة فرنسا.

18 - J.L. Miège : documents inédits sur l'artisanat de Rabat Salé au milieu du 19e, in : B.E.S.M. N°82 année 1959 . p.p. 173 - 183.
انظر الوثيقة 18 في الملحق وكذلك الوثيقة 1 والوثيقة 17.

19 - ولد بمرسيليا سنة 1823 ومات بمدينة بوردو سنة 1876 . عين سنة 1845 بالمفوضية الفرنسية بطنجة ، ثم صار سنة 1846 ترجمانا لقنصلية فرنسا في الصويرة ، وأصبح بالتتابع ملحقا بطنجة سنة 1849 ثم ترجمانا مستشارا للقنصلية العامة في طنجة ثم في تونس وعين وكيلا لنيابة القنصلية الفرنسية بالرباط في أبريل 1853 وظل في المدينة حتى سنة 1864 ثم أصبح قنصلا في الصويرة وقضى بالمغرب نحوا من 30 سنة . وكان مستعربا ممتازا ، خلف عدة دراسات حول المغرب (ظ : مصطفى بوشعراء : الاستيطان والحماية ج 3 ص 1109 وكذلك مييج المغرب وأوربا ج 1 ص 70.

AUGUSTE BEAUMIER الذي استقر بالمدينة سنة 1853 . وكان ذا معرفة بالمغرب وباللغة العربية ، وعقد عدة صداقات في كل الأوساط المغربية . وكان له عدة مخبرين ، لذلك فهو مؤهل ليدلي بمعلومات ثمينة. ومن خلال تقريره عن حالة الصناعات والحرف بالرباط سنة 1855، نعرف أن المدينة كانت مركزا صناعيا من الطراز الأول ، وكانت لها مبادلات مع الداخل ، إذ كانت تزود بمصنوعاتها المتعددة ومن معاملها اليدوية المتنوعة أهم متاجر البلاد . ولم تنافسها مع جارتها سلا أية مدينة عدا فاس التي كانت تنتج المصنوعات ذات الجودة الكبيرة مثل أثواب الحرير والأحزمة المطرزة بالذهب والفضة . لم تكن هذه المعامل سوى دكاكين صغيرة يستخدم فيها وخارجها صناع ، وربما عملوا في ركن من مساكنهم ، أو أمام مدخل الزقاق إذا كان المجال ضيقا ، وحتى في الحقول خارج المدينة . ورغما عن ظروف العمل غير المريحة فقد لاحظ بوميي جمال المنتجات وإتقانها ، وانتبه إلى دقة بعض السلع وانتظامها كالزرابي والحايك . وقد قدم بوميي لائحة للمصنوعات يمكن إجمالها باختصار فيما يأتي وذلك عن سنة 1855 فقط.

- **الزرابي** : كان بالرباط وسلا 12 معملا أنتج حوالي 840 زربية ، منها 24 ذات طول 7م و 50 س وعرضها متران ، وتراوح ثمنها بين 100 و 130 فرنكا . وانتجت 816 زربية ذات أطوال تراوحت مابين أربعة أمتار ومترين ، وعروض من متر ونصف ، وبلغ ثمن الواحدة بين 15 و 35 فرنكا . وقد بيع ثلث هذه الزرابي في الداخل فوجه إلى فاس ومكناس ومراكش وصدر الثلث الى الخارج ، وبيع الباقي محليا . وكانت الزرابي دقيقة الصنع ، ذات شهرة كبيرة . وكانت تدخل في صنعها أصواف جميلة ، وشهدت ألوانها على مهارة الصباغين المغاربة.

- **الحصر** : كانت هناك ثلاثة أنواع من الحصر : النوع الممتاز وعددها 900 حصير ذات ألوان ودقة في الصنع كانت تباع ب 10 ف للواحدة ، والنوع الأقل جودة وعدده : 27.000 عبارة عن حصر ذات لون

أبيض بيعت بـ 100 8 ف ، وأخيرا الحصر العادية مثلت قيمة 000 12 ف ، وهي صالحة لحزم الأصواف ولف الحبوب .

- **الحايك** : كان في الرباط وسلا 25 معملا للحايك منها عشرة معامل متخصصة في نسج الحايك الصوفي ، وقد انتجت 8000 وحدة بثمن 12.50 ف . والمعامل الأخرى للحايك المصنوع من الصوف والحرير، وقد نسجت 200 7 وحدة ب 60 ف للواحد ، وهي ذات دقة كبيرة . وكان عشرون معملا مختصا في صنع أعداد كبيرة من الحايك المصنوع من القطن الأبيض ، وهذا النوع خفيف يلبس في الصيف عادة وخاصة من لدن متواضعي الحال ، وقد أنتجت 000 48 حايك بخمس فرنكات للواحد.

- **المناديل القطنية** : كانت مطلوبة كثيرا في المغرب وكان الصناع يجلبون قطنها من جبل طارق حيث يكون مهيأ . وقد أنتجت معامل العدوتين 24.460.000 منديل مثلث 345.000 ف .

- **أجواخ الجلباب** : كانت معامل العدوتين تصنع صوفا خشنا للجلباب يصمد طويلا للأمطار ، ويستعمله سكان البادية الموسرون ، وكانت هناك ثمانية معامل أنتجت 400 قطعة من خمسة أمتار وبيعت بـ 10 ف للواحدة.

- **الحبال وقماش التغليف** : كان القنب يزرع في أحواز العدوتين ، وكانت تصنع منه الحبال لجر السفن ، وكذا قماش خشن للتغليف . وهناك ستة معامل لصنع القماش ، وقد صنعت 6000 قطعة ذات 20 مترا للواحدة بثمن 10 ف.

- **الصباغة** : هي صناعة مشهورة في المغرب ، وفي الرباط وسلا وجدت عشرة معامل للصباغة استخدم كل معمل أربعة عمال وكانت القشينية [20] تجلب من أوربا وجبل طارق لتدخل في الصباغة .

وأنتجت هذه المعامل 112500 كيلو من الصوف و 1500 كيلو من الحرير .

- **الدباغة وخدمة الجلد** : انقسمت مدابغ الرباط وسلا الأربعون إلى

---

20 - القشينية Cochenille حشرة تعطي صباغة أرجوانية .

قسمين متميزين ، عشرون منها موجهة لتهييء جلود البقر وعشرون أخرى لتهييء جلود الغنم ، وكان هناك 150 دكانا لصنع الأحذية من البلاغي والشرابيل وثمانية معامل صنعت نحو 800 سرج سنويا بثمن 40 ف للواحد .

- الفخار : انتجت مصانع الفخار وعددها 30 حوالي 000 600 وعاء بأحجام وجودة مختلفة مثلت مقدار 180.000 فرنك ، ومنتجاتها خشنة وهي أقل جودة من فخاريات فاس .

- الحلي : كان بالعدوتين 12 معملا للحلي ، وقد أنتجت نحو 3600 نموذج من سلاسل وخواتم وعقود مثلت قيمة 000 90 ف .

والخلاصة أن منتوج 357 معملا في الرباط وسلا ارتفع سنة 1855 مقارنة بالسنوات السالفة ، وقدر ب 4.828.785 فرنك ، وهذا الرقم مهم بالنسبة للمعاملات السنوية في التجارة التي مثلت في هذه السنة 2045000 ف مما يدل على أهمية صناعة العدوتين 21 . لكن هذه الحرف أصابها ما أصاب مختلف القطاعات الإقتصادية بسبب تزايد النفوذ الأوربي في البلاد ومنافسة المنتجات الصناعية الأوربية .

وما دمنا قد أشرنا إلى التجارة فيمكن التساؤل عن أهمية ميناء الرباط في التجارة الخارجية بعد الإستئناف التجاري ، وخاصة من سنة 1830 إلى حدود سنة 1850 . ويجينا ج.ل. مييج أيضا متحدثا عن الفترة السابقة عن سنة 1844 بأن الرباط كانت أكثر المدن المغربية علاقة مع أوربا ، وهي من أعظم المدن التجارية . وقد وصف سكانها بأنهم يضمون «بورجوازية غنية» 22 وبأن المرسى كان كثير الحركة كتطوان والصويرة 23 . وكانت الأثواب القطنية الآتية من كاليكوت بالهند والموسلين أهم مواد الإستيراد يأتي بعدها بكميات أقل الفولاذ والنحاس والحديد والتوابل والعقاقير وبعض أثواب الصوف والورق والزليج والزجاجيات. واستوردت الرباط أيضا المقادير الضرورية من المال لأداء الصادرات 24.

---

21 - تتوفر في دراسة مييج هاته معلومات من سنة 1855 الى سنة 1870 .

22 - لا نتفق على هذه التسمية المبكرة .

23 - J,L, Miège : Le Maroc et l'Europe, Tome II p. 176

24 - J, Caillé : La ville de Rabat ... p. 339

ويرى مييج أنها ظلت سنة 1850 من أنشط موانئ المغرب ، مستفيدة من التشريع الجمركي ومن "بورجوازيتها" الغنية من التجار، ومن تنظيمها القنصلي ، لكن حصلت فيها تغييرات حاسمة ، فمعاهدة 1856 التجارية المعقودة بين المغرب والمملكة المتحدة ألغت الامتيازات الجمركية فأخذت تجارة الرباط تنخفض [25] فتناقصت بين سنتي 1862 و 1866 بالخمسين .

وأحيانا كان ميناء الرباط يستورد بصفة سرية السلاح الذي كان يوجه على الخصوص إلى الأمير عبد القادر الجزائري . وكان يأتي بواسطة إنجلترا ، ويحمل من جبل طارق إلى تطوان ، ومنه إلى الرباط . ويقول المسافر الفرنسي ري Rey [26] إن الرباط استقبلت سنة 1839 سفينة فرنسية ، محملة بثلاثين كيسا من البنادق والمؤونة للأمير عبد القادر . وكان بعثها له أحد العاملين معه كان مستقرا بمرسيليا [27] .

ومن الصادرات التي كانت قيمها دائما أقل من قيمة الواردات نجد الأصواف التي احتلت المكانة الأولى بدون منازع ثم اللحاء ، والأصماغ، والجلود وعظام الحيوانات وأحيانا الحبوب وزيت الزيتون والحناء والخضر الجافة .

تراوحت الحركة العامة للتجارة الخارجية للرباط وسلا في عهد مولاي عبد الرحمان ما بين مليون واحد وأكثر من 4 ملايين فرنك في السنة ، وفي سنة 1857 وصلت إلى حدها الأقصى ، فارتفعت الواردات إلى 2.234950 والصادرات إلى 1.863515 أي كان مجموعها 4.158.465 ف [28] .

سجلت حصة إنجلترا المرتبة الأولى لأنها كانت ترسل قطن مانشستر إلى الرباط ، ومثلت ثلاثة أرباع البضائع الداخلة إلى المدينة . وبالعكس كانت الأصواف التي وصلت قيمتها أحيانا إلى أربعة أخماس قيمة الصادرات تتوجه إلى فرنسا بنسبة 7/8 من مجموع كمية الصوف .

---

25 - J.L. Miège op. cité, T. III p. 49

26 - تاجر فرنسي حل بالرباط سنة 1839 وحصل على حق تصدير الصوف مقابل قدر مالي دفعه للمخزن ، وكتب كتابا بعنوان: Souvenirs d'un voyage au Maroc

27 - J .Caillé: la ville de Rabat ... p. 339

28 - أيضا

وفي سنة 1857 أيضا كان عدد السفن الداخلة إلى ميناء أبي رقراق والخارجة منه 86 وحدة حملت في المجموع 6684 طنا ، وهي سفن فرنسية أو برتغالية ، أو إنجليزية ، أو إسبانية .

5 - علاقة المدينة ببواديتها

كانت الرباط محاطة بقبائل مختلفة من الشرق والجنوب الشرقي ، بينما كانت قبائل أخرى تجاور سلا فيما وراء نهر أبي رقراق .

فالمنطقة الموجودة في جنوب الرباط والمحدودة بخط وهمي فاصل بين واد عكراش ونهر أبي رقراق سكنتها قبائل العرب والحوزية، وانضافت إليها قبائل الأوداية ، التي نقلها السلطان مولاي عبد الرحمان سنة 1833 .

وفي الجنوب الشرقي قبيلة زعير 29 التي تفصل أراضي القبائل الثلاثة المذكورة عن المحيط في شريط يقدر بـ 10 كلم ، وتعد قبيلة زعير أخطر هذه القبائل . ونظرا لطابعها الترحالي وتعاطيها لتربية الماشية ولقلة خصوبة أراضيها فإن تنقلاتها كانت تكتسي دائما صبغة الغارات على جيرانها من القبائل ، واستهدفت مدينة الرباط نفسها 30 .

كان هناك نوعان من العلاقات بين مدينة الرباط وباديتها . فبالإضافة إلى التبادل الإقتصادي المتجلي في أخذ ما كانت المدينة تحتاج إليه من حبوب ومواش وخضر وفواكه ، وفي حلول أهل البادية للبيع في أسواق المدينة ، كان هناك عنصر التنافر الذي ذهب إلى حد العداوة ولكنه تنافر مؤقت كان يطول أحيانا .

ويخبرنا الضعيف وهو يتحدث عن القرن الثامن عشر أن بعض القبائل المحيطة بالرباط كانت تستغل ضعف السلطة المركزية لتشن الهجومات على بساتين الرباط ، وقد أشرنا في المقدمة إلى هجوم قبيلتي الصباح والدغمة في سنة 1204 عند بيعة المولى اليزيد 31 .

وفي عهد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام ، هجمت قبيلة

29 - Mission Scientifique du Maroc : **Rabat et sa région**. in villes et Tribus du Maroc. Vol III. p. 173

أنظر أيضا الوثيقة 27 في الملحق .

30 - Aubert A : Les pays Zaërs : BESM 1960, N° 86 - 87 p. 220

31 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة . مرجع سابق . ص 205 .

زعير عدة مرات على الرباط ، فاخترقت أسوار المدينة ، واجتاحت بساتينها ، وكرومها بأگدال ، وتقدمت حتى الأسوار الأندلسية . وكان سكان المدينة لايجرؤون عن الابتعاد ، مخافة التعرض لنهب لصوص زعير الذين كرروا تعرضهم للقوافل المتوجهة من الرباط وإليه . فالتاجر الفرنسي ري أسر من طرفهم عند أبواب الرباط عندما كان عائدا من الدار البيضاء 32 وقد قاومهم السلطان بإرسال حملة بقيادة القائد فرجي سنة 1844 وأخرى سنة 1849 . وقد هددت التجارة الداخلية من فرط هجوماتهم "وكانت زعير تترك أشغالها الفلاحية ليقطع أفرادها الطرق على القوافل والمسافرين " 33 وفي السنة الأخيرة تصاعدت أعمال نهب بني حسن وعامر ، فأرسل السلطان الباشا فرجي على رأس 1200 رجلا للتخييم بين سلا ومهدية لحراسة المسافرين والجمالين و ألقي القبض على 300 فرد من عامر ، وزج بهم في سجون سلا ، واحتجزت قطعانهم ، وصودرت دورهم ، ولما رأى زعير أن الطريق نحو مراكش محروسة وجهوا أنظارهم نحو عرب الرباط - ويقول بعض الجنود ، إنهم قتلوا عددا يتراوح بين عشرة وخمسة عشر رجلا ، بينما لم يقتل الزعريون سوى ثلاثة جنود - وقد عقب المراسل القنصلي الفرنسي في الرباط قائلا «لكن كل يوم نسمع بحوادث سببها رجال زعير : مقتل فلاحين أو حطابين أو فحامين ... هذه هي الحالة في ضواحي الرباط وسلا المتمتعتين بهدوء تام في داخلهما» 34 .

ولقد ازدادت هجومات زعير حدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

---

32 - J.Caillé : **La ville de Rabat ...** p. 331

33 - رسالة 4 دجنبر 1849 Ar : A.E.F.

34 - أيضا.

الباب الثاني
أعيان مدينة الرباط في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام

الفصل الثالث
السكان والفئات الإجتماعية

1 - السكان :

1.1 - العدد :

على الرغم من صعوبة معرفة عدد سكان مدينة الرباط سواء في الفترة الأولى من القرن التاسع عشر أو نصفه الثاني لعدم وجود إحصائيات مضبوطة ، (وهذا ينطبق على كل البلاد) ، فمن الممكن ومن الضروري أيضا الاسترشاد بالأرقام التي أعطاها بعض الدبلوماسيين والرحالة والضباط والبحارة الأوربيين الذين زاروا المدينة في نفس الفترة . ولعل أول رقم لعدد سكان الرباط خلال الثلث الأول من القرن راجع إلى گرابرگ دهامسو Graberg de Hemso نائب قنصل السويد والنرويج بالمغرب . وقد قدر عدد سكان الرباط في العشرينيات من القرن الماضي بـ 27.000 منهم 7000 يهودي . وتبدو مبالغة هذا الرقم كما لاحظ ذلك جاك كايي [1] خاصة إذا قارناه بالرقم الذي أتى بعده سنة 1829 والذي أعطاه الليوتنان واشنطن وهو إنجليزي أتى إلى الرباط ضمن بعثة إنجليزية في هذه السنة ، وهذا الرقم هو 18000 مسلم و 3000 يهودي [2] . وفي سنة 1835 جاء إلى الرباط أحد ضباط البحرية الملكية الإنجليزية هو أرليط ، وأعطى رقما نقله عن الوكيل القنصلي الإنجليزي بالرباط ، وعبر هو نفسه عن مبالغته وهو 000 24 نسمة .

وفي سنة 1844 أدلى شخص آخر برقم جديد ، فقد زار المغرب ضابط عسكري إسباني [3] هو Seraphin Calveron وقدر سكان الرباط بـ: 28.000 فيهم 7000 يهودي .

عموما تبدو هذه الأرقام ذات مبالغة حسب جان لوي مييج الذي قدر سكان المدينة في الفترة المتراوحة بين سنتي 1834 و 1836 بـ 000 22 نسمة فقط ، ولم يرتفع هذا الرقم بعد ثلاثين سنة إلا بـ 3000 نسمة حسبما توصل إليه [4].

ونظرا لتفاوت هذه الأرقام وتضارب الإحصائيات فإنه من الصعب أن نعرف هل تزايد سكان المدينة خلال النصف الأول من القرن

1 - J. Caillé : La ville de Rabat... p. 342

2 - كذلك

3 - AR. VINC : Carton 3 H 1

4 - J.L. Miège : Le Maroc et l'Europe, T III p. 14

أم ظلوا راكدين أو نقصوا بفعل الأمراض والأوبئة ، بينما نستطيع أن نسترشد بما توصل إليه مييج من أرقام عن النصف الثاني من القرن عن سكان الرباط تبين التطور البطيء لهم . 5

2.1 - أصناف سكان الرباط

تتنوع أصول سكان الرباط . فهناك من جهة أولى العنصر العربي والعنصر البربري وهناك من جهة ثانية سكان أتوا من الأندلس ربما جمعوا بين العنصرين السالفين ، إضافة إلى السكان السودانيين رجالية يهودية وعدد قليل من السكان الأجانب . ورغم الانصهار الذي وقع بين كثير من هذه العناصر ظلت بعض المميزات الخاصة بها بارزة ، كلون البشرة واللهجات والعادات ، زيادة على الأسماء العائلية التي تبين الفروق الجغرافية والسلالية ، ولكي نتعرف على أنواع السكان الذين عاشوا في المجتمع الرباطي خلال القرن التاسع عشر لابأس أن نتتبع مراحل تعمير المدينة وأصول السكان العرقية والجغرافية .

1.2.1 - قدماء العرب والبربر :

من الصعب جدا معرفة الأصول الأولى للسكان الأوائل الذين قطنوا في الموقع الحالي لمدينة الرباط . ولكن يسود الاعتقاد أن القرن الهجري الثاني شهد مجيء أقوام من شبه جزيرة العرب الى فاس إثر بنائها ، ومنها انتقل بعض هؤلاء المهاجرين إلى موقع الرباط أيام المولى إدريس الثاني 6 .

وبعد بناء مدينة الرباط سنة 591 سكنها صنهاجيون هم بقايا جيش المنصور الموحدي الذين تركهم مع باقي الصناع والفعلة حسبما قاله المراكشي في المعجب . وفي نفس الوقت انتقل عدد من سكان شالة للسكنى في المدينة 7 . ومن الأسر التي انتقلت من شالة الشلاوي

---

5 - أيضا . ج 4 ص 397 .

6 - L. Brunot : textes Arabes de Rabat P. IX, in Hesperis 1931

7 - محمد بن علي الدكالي : الإتحاف الوجيز ، تحقيق مصطفى بوشعراء ص 69 .

والمحرزي والسالمي [8] وساهمت بعض الأسر السلاوية في تعمير مدينة الرباط .

2.2.1 - المهاجرون من الأندلس

لعل أولى الهجرات الأندلسية راجعة إلى عهد الموحدين . فقد عمرت المدينة بأفواج من أهل الأندلس أيام الخليفة عبد الواحد الرشيد الموحدي بموجب ظهير مؤرخ بـ 11 شعبان 1240/637 [9] . وقد أتى هؤلاء من بلنسية وجزيرة شقر وشاطبة ، ونجد أحد أسماء أولياء الرباط المنتمين للمهاجرين الأندلسيين القدامى وهو الشهير بسيدي عبد الله اليابوري الأندلسي المنتمي الى مدينة يابورة EVORA البرتغالية الأندلسية ، وقد عاش في القرن السابع وبداية القرن الثامن [10].

ولا يعلم هل استقبلت الرباط الأندلسيين بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر كما حدث في جارتها سلا التي أتى إليها أعلام أندلسيون مثل لسان الدين ابن الخطيب أم لم تستقبلهم [11] .

وبعد سقوط الأندلس سنة 1492 هاجرت أفواج من الأندلسيين إلى ما كان يعرف آنذاك بقصبة سلا وهي التي ستعرف بالقصبة الأندلسية بعد ذلك ، والتي استقر فيها أعيان الأودايا كما سيأتي ، وبنوا فيها الدور والقصور والحمامات .

وفي بداية القرن السابع عشر ، هاجر الأندلسيون كما أشرنا سلفا، بأفواج كبيرة بين سنتي 1609 و 1614 إذ ازدحمت الرباط والقصبة بالهورناتشيين والموريسكيين الذين أتوا من قشتالة والاسترامادور وأراغون وقطالونيا ، منهم عائلات مورينو و برگاش و مولاطو و بيريز وبلانكو الذي تحول الى إسم الأبيض . وقد انقرضت بعض

---

8 - محمد بوجندار - مقدمة الفتح ص . 187

9 -ظهير مثبت في كتاب زواهر الفكر لابن المرابط وفي مخطوط بالاسكوريال رقمه 520 ورقة 115 و 116 نشر سنة 1851 أورده عبد الله السويسي في كتابه تاريخ رباط الفتح ص 93 - ومحمد رزوق في أطروحة الدكتوراة : الأندلسيون وهجراتهم .

10 - كانت لسيدي عبد الله اليابوري زاوية بالرباط يؤمها تلامذته أيام حياته ومن هؤلاء سيدي أحمد بن عاشر السلاوي الذي لازمه مدة طويلة بها . وضريح سيدي اليابوري كائن بالعلو . انظر محمد بن علي الدكالي : الإتحاف الوجيز ص 78 و 89 .

J. Cousté : Les grandes familles indigènes de Salé, P. 8- 11

العائلات الأندلسية أمثال بلانكو وشنتياكو ، وكان لهؤلاء الأندلسيين تأثير كبير في حياة المدينة ، فبعثها من جديد كان على يدهم .

3.2.1 - المهاجرون من الأقاليم المغربية والسودانية

وهم ثلاثة أنواع : عرب وبربر وسودانيون . وقد عمروا الرباط في فترات مختلفة ، ولم تنقطع الهجرات ، فجاءت في القرن التاسع عشر عدة أسر من بعض المدن المغربية مثل فاس التي أتت منها عائلات مثل جسوس وبرادة والحلو لتستقر فروع منها في الرباط نهائيا . بينما هاجرت من دكالة أسر كثيرة مثل فرج وإن كان هناك ادعاء بأن هذه الأسرة أندلسية الأصل . وكذلك أسرة الغربي نسبة إلى غربية في دكالة ، وأسرة الدكالي ، ومن الشاوية أسر مثل المزابي وغنام . وهناك من يرجع أصل هذه الأخيرة إلى الأندلس أيضا 12 ومن الساقية الحمراء أسرة بوجندار وأسرة العدلاني .

وفي سنة 1850 ، هاجر في شهر يبراير ما بين 200 و300 شخص من مراكش وضواحيها إلى الرباط مدفوعين بالمجاعة التي ضربت الجنوب 13 وسكن الرباط عدد من المنحدرين من الزوايا أمثال الناصريين والشرقاويين والمباركيين والعيساويين والعايديين وهم من أصول مختلفة طبعا .

ومن بين الأسر ذات الأصل العربي نجد عدة فروع من الشرفاء وهم أدارسة أو علويون . ومن الأدارسة نجد القادريين والوزانيين وعائلة القدميري وبلحسني والزعيمي ... الخ .

أما السكان البربر فهناك فروع قديمة منهم اندمجت مع باقي السكان على مر العصور ، ولعل أسرة السويسي منها . ولقد جاء في القرن الماضي عدد من أهل سوس اشتغل أغلبهم بالبقالة والعمل في المطاحن ، وقليل منهم عمل في صناعة الحلي ، وهم متميزون بلهجتهم البربرية .

ومن المهاجرين إلى الرباط أيضا السود وهم نوعان : الأحرار

---

12 - Mission Scientifique du Maroc : Rabat et sa région, in ville et tribus du Maroc, Vol II p. 161.

13 - Ar. A.E.F. Lettre : Février 1850 de Doazan au Ministre des A.E

والعبيد . فالأحرار أتوا من الأقاليم المغربية الجنوبية والصحراوية بمحض إرادتهم إلى المدينة واشتغلوا ببعض المهن الهامشية ، ومنهم من تحرر بعد رق . أما العبيد فقد أرغموا على الهجرة وسيقوا ليباعوا في الأسواق، وأغلبهم من أصل سوداني من السنغال ومالي وغانا . كانوا يباعون في الأسواق الجنوبية والجنوبية الشرقية مثل توات وتندوف وكولمين وإيليغ بالإضافة إلى تافيلالت [14] .

وكان العبيد يباعون في الرباط إناثا وذكورا في فنادق خاصة خلال القرن مثل فندق الحبشي بالسويقة [15] .

وكان العنصر الأسود يتمثل أيضا في بعض فرق الجيش وخاصة في الحرس السلطاني المسمى توارگة ، ولكن لم يقع اندماج اجتماعي بينهم وبين باقي السكان ، بل ظلوا منعزلين يتزوجون من ذويهم أما الجماعة التي كان السلطان محمد بن عبد الله قد أتى بها من فاس الجديد وأسكنها في نوالات العلو وأگدال فقد كان رحلها ابنه اليزيد [16] وهي من جيش العبيد .

4.2.1 - المهاجرون من أحواز الرباط

هاجر عدد من البدو من القبائل المحيطة بالرباط من الزيايدة والدغمة والصباح وزعير وغيرهم ، لكن هؤلاء لم يندمجوا مع الرباطيين الأصلاء فاحتفظوا بنطقهم وألفاظهم لمدة طويلة [17] .

5.2.1 - اليهود

يرجع يهود الرباط إلى أصول مختلفة ، الأقدمون منهم قليلون ، وهم يهود بالعرق أو يهود بالديانة فقط ، كانوا يعيشون في وسط بربري على شكل قبائل ، ولما تكونت الدولة المغربية أصبحوا يعيشون

---

14 - الخمليشي عبد العزيز : تجارة الرقيق في المغرب خلال القرن 19. مجلة دار النيابة عدد 7 ص 38 .

15 - بهية الأزرق ونورة التباع : جوانب من الحياة الإقتصادية بالرباط ، بحث لنيل الإجازة بكلية الآداب بالرباط 1984 (مرقون ص 92).

16 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة ، مرجع سابق ، ص 178 و 213 .

17 - L. Brunot : textes arabes de Rabat. p. 6, in Hesperis 1931.

تحت حماية المخزن . وبعد سقوط الأندلس سنة 1492 هاجرت جماعة من اليهود إلى الرباط[18].

وكانت سكنى اليهود في حي البحيرة حتى بداية القرن التاسع عشر، ففي عهد مولاي سليمان تم نقلهم إلى الملاح الجديد بوقاصةومنحوا الإذن ببناء دورهم في الأرض التي كانت مخصصة لأوراش صنع القوارب . وقد قال المؤرخ الضعيف في هذا الحادث : «وفي متم ثلاثين جمادى الأولى (1222) طلع المعلم السوداني وفصل لهم الملاح بحومة وقاصة المذكورة ، وصارت اليهود تبنى الديار والأفران والطواحين والحوانيت» [19].

يقول مييج بأن عدد اليهود في الرباط كان حوالي 7.000 في سنة 1834 وظل هذا العدد راكدا إلى 1867 ، ويمكن إرجاع أسباب هذا الركود إلى الأوبئة التي كانت تصيب الملاح وأيضا إلى اعتناق اليهود للديانة الإسلامية .

أما الهجرات التي مست جالية يهود الرباط نحو الدار البيضاء فلم تحدث إلا بعد النصف الأول ، وكذلك هجراتهم إلى خارج البلاد وخاصة نحو أمريكا اللاتينية .

اشتغل اليهود الرباطيون بمختلف المهن كعطارين وحوانتيين لكن كثر تخصصهم في صناعة الحلي . وكان كثير من البؤساء منهم قد كلفوا بتمليح الرؤوس المقطوعة للمتمردين والتي كانت تعلق بعد تمليحها على أبواب المدينة مثل باب الأحد، وخاصة رؤوس الزعريين [20]

أما الميدان الذي برع فيه اليهود ، فهو التجارة الخارجية ، فقد اشتغلوا بتجارة الاستيراد والتصدير ، وعمل بعضهم تجارا للسلطان عبد الرحمان وخلفه ونال البعض منهم ظهائر التوقير ، لقد كان من بينهم أعيان مرموقون في المجتمع الرباطي ، لكن العديد منهم دخل في الحمايات الأجنبية واشتغلوا كسماسرة ووكلاء للتجار الأوربين . وأهم تجارهم أيام السلطان عبد الرحمان ، صامويل أفلالو وموسى بيطون

---

18 - Mission Scientifique du Maroc : **Rabat et sa région.** in Villes et Tribus du Maroc Vol II p 161

19 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة، المرجع السابق ص 344 .

20 - J.Caillé : **la ville de Rabat** ... p. 355

ومـيير حيوط وسمية سنبل واسحاق بنسوسان وربي عمار ومسعود القـايم. وكان لهؤلاء وكلاء وخاصـة في مكناس وفـاس ، بينمـا كـان كل من بنعليل وموسى المسيح مشاركين في تجارة الدار البيضاء [21] .

أصبح لليهـود دور مـهم في الوسـاطـة التـجـارية لفـائدة الدور التجـارية الأجنبية الكبرى في المغرب في عهد السلطان المعني بالأمر ، ففي سنة 1838 كان اليهـودي ابن دحان الرباطي وكيلا قنصليـا لفرنسا وعضوا عـامـلا لحسـاب دار فـانطر Ventre الفـرنسية وكـان هو وتاجـر رباطي مسلم وهو بريطل يصدران الأصواف لصالح هذه الدار [22] .

عمل يهود الرباط أيضا وكلاء قنصليين فكان سنبل المذكور ممثلا لقنصلية فرنسا في الرباط سنة 1837 ، بينمـا كان يعقوب سيرويا كمـا ذكرنا في الفصل الثـاني ممثلا لبريطانيا العظمى وإسبـانيـا والولايات المتحدة والبرتغال [23] .

ويتـحدث مييج عن الدور الذي لعبتـه القرابـة العائليـة لليـهـود في توسيع العمليات التجارية وسرعتها وتكوين شبكة قوية لإذاعة الأخبار والمعلومات التجارية ، والإعلام بتغييرات التيارات واستقر بعض اليهود الرباطيين في مـارسيليـا وجنوة أو جبل طارق وفي ليفـورنو وتونس ولشبونـة ، وكان اليهودي شارل دارمـون في الرباط وكيلا لفـرع الشركة اليـهـودية التي قـام الإسرائيلي بنايم الجزائري بعقدها مع اليـهـودي دارمون التونسي ، وهي شركة من أجل تصدير الأصواف المغربية [24] .

وهكذا نجد أن ملاح الرباط أصبح يسـاهم في هذه الحركة الناتجة عن انفتاح المغرب على التجارة الخـارجية ، واستـفـاد بعض أعضـائه ، وحقق الكثير منهم غنى كبيرا . لكنهم كانوا يخفون مظاهر الثراء خوفا من المخزن . وقد لاحظ التـاجر الفـرنسي ري أن من بين أغنياء اليـهـود الكبار الحزان الكبير والمرابي الذي كان يمتلك ثروة طائلة وكان يقرض بنسبة 300 % [25] .

---

21 - J. L.Miège : Le Maroc et l'Europe, T II . p 176

22 - أيضا .

23 - كذلك . ص 91 .

24 - كذلك . ص 95.

25 - J. Caillé : La ville de Rabat ... p. 348

من الناحية الاجتماعية كانت الجالية اليهودية تمثل مجتمعا خاصا. فكان رئيس الملاح هو الحزان الكبير وهو المكلف إقامة العدل وبأمور اليهود في الملاح . وقد عرف بعض الحزانات بطغيانهم . وكانت القضايا التي تهم اليهود تناقش ثم يقرر فيها من طرف النوماد أو الجمعية العامة للأعيان والحزانات . وكان شيخ اليهود مكلفا بالقضايا ذات الدرجة الثانوية كالمنازعات بين الناس ونقل أوامر الحزان الكبير ، وكان دوره عظيما مع ذلك لأنه كان يمثل اليهود لدى المخزن ، ويقدم الشكاوى للسلطان ، وينقل لأبناء جنسه رغبات السلطان وأجوبته ، وكانت لجنة جماعة اليهود تتكلف بالهدايا التي تمنح للسلطان نقدا أو عينا بمناسبة الأعياد الإسلامية . وأكبر اهتمام للجنة كان يتجلى في توزيع النجدات والصدقات 26 .

وعلى الرغم من خصائص المجتمع اليهودي لملاح الرباط كغيره من ملاحات المدن الأخرى فقد جمعت المصالح بين الجالية اليهودية والمسلمين كالتجارة . لكن ميل اليهود إلى الأجانب وخاصة بعد دخولهم في الحمايات القنصلية ابعد الشقة بينهم وبين المسلمين وخاصة المحافظين .

6.2.1 - الأجانب

كان استقرار الأجانب في الرباط ظاهرة غير عادية في بداية القرن التاسع عشر . فأغلبيتهم كانوا عابري سبيل فقط ، أما المستقرون منهم فكانوا نادرين جدا عدوا على رؤوس الأصابع .

ومن أقدم الأوربيين العابرين روني كايلي René Caillé 27 وهو رحالة فرنسي زار تمبوكتو ولما كان عائدا ، مر بالرباط ومكث فيها من 16 غشت الى 2 شتنبر 1828 . وفي سنة 1829 جاءت إلى الرباط بعثة إنجليزية من ضمنها الليوتنان واشنطن الذي مكث بالمدينة بعض الوقت وسجل بعض المعلومات عنها وعن البلاد بعد تجواله فيها . وبعد ست سنوات أتى الليوتنان آرليط W. Arlett الضابط في البحرية الإنجليزية .

---

26 - J. Goulven : Les mellahs de Rabat et Salé . p 101

27 - J. Caillé : La ville de Rabat ... p 342

وفي سنة 1836 مكث الدكتور دافيدسن Davidson الإنجليزي بالرباط وقد صحبه ابن الممثل البريطاني في طنجة هاي Hay إلى المدينة واكتشف سهل الغرب في عدة بعثات للقنص . وفي سنة 1839 أتى إلى الرباط التاجر الفرنسي ري Rey 28 وقد أشرنا إليه سابقا .

أما الدبلوماسيون الذين استقروا في المدينة فكانوا قلائل وهم بالتتابع ليون روش الذي جاء في مهمة مؤقتة وأتى بعده إدمون كومب Edmond Combes وبعده سان أندري Saint André ودوزان Doazan ثم بوميي Beaumier الذي قدم سنة 1853 إلى المدينة.

وقد استقر هؤلاء مع عائلاتهم ، ولم يكن وقتهم كثير من التجار الأوربيين في المدينة ، وإذا كانوا قد مثلوا فرنسا فإن البلدان الأخرى لم تكن ممثلة في المدينة عدا إنجلترا . وفي آخر سنة من عهد السلطان (سنة 1859) أصبحت إسبانيا والبرتغال ممثلتين بوكلاء قنصليين . وهكذا كان السكان الأجانب يتكونون فقط من هؤلاء الأعضاء مع عائلاتهم القليلة الأفراد فإدمون كومب كانت معه فقط زوجته وابنته على سبيل المثال 29 ، زيادة على بعض التجار . وانطلاقا من هذا يمكن القول إن المستوطنة الأوربية بالرباط لم تكن عديدة على الرغم من اهتمام الأوساط الأوربية بالمدينة ، وحتى بعد حلول النصف الثاني من القرن لم يقع التطور الكبير لها إلا في أواخره .

2 - الفئات الاجتماعية في المدينة

لايمكن إقامة فرق بين الفئات الإجتماعية على الأساس المادي فقط لأن هناك اعتبارات متعددة تتدخل لتجعل من الشخص عنصرا مرموقا في المجتمع ، ولو لم يكن غنيا على سبيل المثال . فيمكن أن يكون العالم متواضع الحال ومع ذلك يلحق بالفئة العليا .

ويمكن للشريف أيضا أن يكون محتاجا ولكنه لا يحسب من العامة، وبالإضافة الى العلم والشرف هناك عنصر السلطة الذي يمنح صاحبه امتيازين يبرز بهما في المجتمع ، امتياز ناتج عن النفوذ الذي يمارسه

28 - نفس المرجع والصفحة .

29 - Ar. A.E.F. Corres, com, Rabat : de 1846 à 1872 T I : lettre de 31 Mars 1847

وامتياز الانتماء إلى فئة الموسرين ، إذ يكون يسر الحال في غالب الأحيان نتيجة لممارسة هذه السلطة . ويمكن انطلاقا من ذلك تقسيم المجتمع الرباطي خلال القرن الماضي إلى الفئات الآتية :

1.2 - الفئة العليا

ضمت هذه الفئة كل أصحاب الامتيازات سواء كانوا أصحاب سلطة أو أغنياء ، حققوا ثروات من خلال ممارستهم للتجارة ، أو من خلال إرثهم الأملاك عن عائلاتهم ، كما ضمت هذه الفئة العلماء والشرفاء وهما صنفان كانا يحظيان بتقدير الناس واحترامهم ، كل حسب طبيعة مهمته ودوره . ويمكن أن نميز داخل هذه الفئة بين نوعين مختلفن من الشخصيات .

النوع الأول هو الموظف المخزني أو ممثل السلطة المحلية كالقائد وخليفته والأمين ، وصاحب الخطة الدينية كالمحتسب والناظر والقاضي أيضا على الرغم من أنه ينتمي إلى العلماء أي إلى صنف ذوي الرأسمال الرمزي ، وليس إلى ذوي الرأسمال المادي ، وكانت مكانتهم في المجتمع نابعة من خوف الناس منهم والحذر من بطشهم .

أما النوع الثاني فقد ضم شخصيات لا تنتمي إلى طبقة الحكام ولكنها كانت ذات مكانة مرموقة و مخالفة لمطلق الناس . ولم تكن الأحكام تمسها كما تمس العامة نظرا للوضعية التي يراها فيها المخزن والعامة على السواء ، بحكم أدوارها في الحياة الإجتماعية وربما الإقتصادية . كالعلماء والشرفاء وكبار التجار . إن الأعيان كانوا طبعا داخل هذه الفئة ولكن قبل التطرق إلى دراستهم لا بد من التعرف على الفئات الأخرى .

2.2 - الفئة الوسطى

تحدثنا في فصل سابق عن المكانة المهمة للحرف والصناعة في مدينة الرباط ، ويعني ذلك أن أكبر نسبة من سكان الرباط اشتغلوا في الحرف خلال الفترة المدروسة ، فأغلبية عناصر الفئة الوسطى من

التجار الصغار والصناع المشتغلين في الحرف النبيلة . وقد دلت الإحصائيات والوثائق المختلفة على أن هذه الحرف وفرت لأصحابها شروط عيش كريم قبل أن تتعرض للتدهور نتيجة انعكاس آثار التدخل الأوربي على الميدانين الإقتصادي والإجتماعي داخل البلاد ، ولتسرب المنتجات الأوربية ومنافستها للسلع المغربية وخاصة في النصف الثاني من القرن .

و قدلاحظ المؤلفون الأوربيون يسر حال حرفيي الرباط ، بل ويسر حال سكانها بصفة عامة . 30 وكانت بعض الحرف أحسن حالا من غيرها طبعا ، ولكن ظروف عيش الحرفيين كانت متقاربة ، فكانوا يشتغلون قرابة ثمان ساعات في اليوم ، وكانت مداخيلهم النقدية في أواخر عهد السلطان (1855) تتراوح ما بين 0.40 و 0.75 فرنك يوميا ، فكان الصائغ يحصل على 0.75 ف ، وكان العامل في نسيج القطن يحصل على 0.60 ف ، أما العامل في نسيج الزرابي أو صناعة السروج أو الدباغة فكان بإمكانه الحصول على 0.50 ف ، بينما كان يستطيع الخراز أو صانع الأسلحة أن يتقاضى 0.45 ف ، في حين لم يكن العامل في صناعة الحصر يأخذ سوى 0.40 ف ، 31 .

وحتى نلمس عن قرب ظروف عيش هذه الفئة الوسطى نأخذ مثال أسرة من الصناع كمتوسط للحياة الاقتصادية والإجتماعية لهذه الفئة . فقد أعطى القنصل بوميي نظرة ذات تفاصيل مفيدة عن أسرة من الصناع عاشت في نفس الفترة حسب مداخيلها ومصاريفها 32 .

تكونت هذه الأسرة من أب وأم وطفلين وخادمة سوداء . وسكنت دارا صغيرة . وكانت أسر مماثلة تسكن جزءا من دار أو دارا متكونة من غرفتين أو ثلاث غرف وفناء وسطح . وهناك أسر من هذا الصنف ورثت الدور التي سكنتها أو قامت ببنائها ، وهناك أسر اكترت دور سكناها . وكان كراء مثل هذه الدور يتراوح بين 3 و 4 فرنكات شهريا . أما قيمة أثاث هذه الأسرة فهي 140 ف على الشكل الآتي :

---

30 - جاك كايي ، المرجع السابق . ص 347 .

31 - J,L.Miège : **documents inedits sur l'artisanat. B.E.S.M. nº 82 année 1959,** p. 173

32 - A. Beaumier : description sommaire du Maroc p. 36

- زربية بـ 25 ف - حصير بـ 5 ف - لحافان بـ 30 ف - غطاءان صوفيان بـ 30 ف - صندوق كبير بـ 20 ف - طاولة صغيرة بـ 5 ف - سطل لتنظيف الغسيل بـ 10 ف - أكياس وحبال وشظايات بـ 5 ف

- وكان لباس الرجل يتألف من :

شاشية بـ 3 ف - رزة بـ 3 ف - حزام بـ 5 ف - سلهام بـ 30 ف - جلابة بـ 24 ف - قميص بـ 4 ف - سروال بـ 3 ف - بلغة بـ 3 ف ومجموع قيمة ملابسه 75 ف .

- أما ملابس المرأة فكانت كما يلي :

قميص بـ 4 ف - سروال بـ 3 ف - بدعية بـ 7 ف - قفطان بـ 10 فرنك - سبنية رأس بـ 5 ف - مجدول بـ 2 ف - حايك بـ 30 ف - شربيل بـ 40 ف مجموعها 65 ف

- في حين كانت ملابس الخادمة تتكون من قميص بـ 4 ف - تنورة بـ 2.50 ف سبنية رأس ب 1.50 ف - حايك بـ 20 ف - ريحية بـ 2 ف مجموعها 30 ف

- أما ملابس الطفلين فلم تتعد 20 ف .

كانت إذن القيمة الإجمالية لأثاث الأسرة وملابسها هي 330 ف

- أما استهلاك الأسرة فكان يقدر بـ 60 سنتيما يوميا على الشكل الآتي :

- 4 خبزات من 300 غرام أو قدرها من الكسكس ب 20 ف .

- 500 غرام من لحم البقر أو الغنم أو السمك أو البيض بالإضافة إلى الخضر والفواكه بـ 15 س .

- 40 غرام من الزبدة أو قدرها من زيت الزيتون أو اللبن أو العسل ب 12 س

- شموع + صابون + توابل + خشب + فحم = 13 س

وكانت مدة الإنارة قصيرة جدا لأن الناس كانوا ينامون بعد ساعتين من الغروب ويستيقظون عند شروق الشمس . لذلك لم يكن هناك استهلاك كبير للشمع .

وكانت هذه الأسرة تصرف على الدار شهريا 18 فرنكا ، وكانت مصاريف الكراء وغيره تبلغ 3.50 ف وأجر الخادمة 3.50 أي 25 ف عن هذه المصاريف الأخيرة .

وعلى هذا الأساس تكون المصاريف السنوية هي 300 ف ، يضاف إليها 50 ف لتجديد الملابس ، مجموع ذلك 350 ف .

لذلك كانت الأسرة التي لها دخل فرنك واحد يوميا ، تحقق ريعا من 360 ف سنويا أي ما يكفيها لتعيش . وهذه حالة جزء كبير من السكان الحضريين 33 .

من الأسئلة التي يمكن طرحها عند دراسة الحالة الإجتماعية والإقتصادية لفئة من الفئات سؤال حول شروط عمل الحرفيين ، بعد الإطلاع على المستوى المتوسط لعيشهم ، بما أنهم كونوا الفئة العريضة من سكان الرباط في الفترة المدروسة .

كانت ظروف العمل تتم في متاجر أو حوانيت صغيرة يشرف فيها "المعلم" أي رب العمل ، فهو صاحب رأس المال يوظفه في شراء المادة الخام . وكان المكان يضم في غالب الأحيان صانعا واحدا يتقاضى أجره شهريا أو بـ "التطريبة" وهي قدر من المال يدفعه له المعلم عند كل سوق ، وربما كان التعاقد بينهما على شكل "الطريحة "أي تبعا لكمية الانتاج باعتبار ثمن الوحدة : بلغة أو حايك أو بطانية أو بيعة مناديل ... الخ 34 . وكان الدكان يضم عددا من المتعلمين أطفالا أويافعين يتدربون على الصنعة ليصبحوا حرفيين مختصين . ففي البداية كان المتعلم يشتغل مقابل "التطريبة" . وبعد أن يتقن الصنعة يصبح "صانعا أي مأجورا . وكان يقوم بأشغال خارج الدكان فيتكلف بالسخرة فيشتري المواد الغذائية لفائدة "المعلم" ويحملها إلى منزله . ولاحاجة إلى التذكير بأن كل حرفة كانت منظمة في حنطة . وكانت الرباط ذات تقاليد عريقة في هذه الحرف مثلها مثل سلا وفاس ومراكش ومكناس على الرغم من حداثة المدينة بالنسبة للعواصم التقليدية إذا اعتبرنا فترة الركود التي عرفتها المدينة بعد الموحدين وأيام السعديين .

---

33 - المرجع نفسه ص 36 وما يتبعها .

34 - L. Brunot : Textes Arabes de Rabat p. 64

وكانت بعض الحناطي تحظى بأهمية كبرى نظرا لعدد المنضوين تحتها مثل حنطة الخرازين التي ضمت في الفترة المذكورة نحو 3000 عامل كانوا يعملون في صناعة البلغة والشكارات والحقائب 35.

كان لكل حنطة أمينها وهو في العادة "معلم" قديم اكتسب خبرة طويلة في حرفته . ويمكن ملاحظة طابع الارتقاء داخل الحرفة ، فقد يصبح المتعلم "صانعا" والصانع "معلما" مع الأيام تبعا لمهارته وذكائه في عمله . وقد يرقى المعلم إلى رتبة أمين يختاره المحتسب أو قائد المدينة باتفاق مع أهل الحرفة . وقد اختصت وظيفة الأمين بالفصل في الخصومات بين المعلم والمتعلم أو بين المعلم والصانع أو بينهم وبين الزبناء . ولم تكن للأمين سلطة إيداع أحد طرفي النزاع السجن أو تغريمه أو طرده من الصنعة . 36

كانت للحناطي قواعد وقوانين خاصة تتعلق بدخول الحرفة وبنوع العقوبات وبتنظيم العلاقة بين الحرفيين والمخزن وكانت تظهر في إشراف الأمين على جمع هدية الأعياد الثلاثة لتقديمها إلى السلطان . وكان القائد وخليفته يشرفان على هذه العملية ، ويرسل القائد مقدار المال الذي يسمى "الفريضة" مع الأمين الذي يجب أن تتوفر فيه صفات المروءة والصدق . 37.

كان أعضاء الحرفة الواحدة متضامنين متحدين يتجلى ذلك في أفراحهم وأتراحهم فيقدمون لبعضهم البعض مساهمات نقدية أثناء ازدياد مولود لدى أحدهم وإعانات مختلفة أثناء مأتم أو ما شابه ذلك من الهدايا والهبات قصد المواساة والمؤازرة . 38

ومما كان يقوى هذا التضامن انتماء أهل الحرفة الواحدة لطريقة واحدة من الطرق الدينية ، وكان من شأن ذلك تقوية القيم الأخلاقية التي كان يحترمها أهل الحرف في حياتهم اليومية . 39 وربما كانت هذه الروح التضامنية سلاحا ذا حدين . فمن جهة أولى كانت تعبر عن التحام

---

35 - تقرير نائب القنصل الإنجليزي ولدريج Fr. wooldrige

36 - L. Brunot .op.cit. p. 34.

37 - ملخص رسالة 3 محرم 1314 من السلطان مولاي عبد العزيز إلى الخليفة الصديق برگاش - كناش 776 : خ.م. : انظر الوثيقة 17

38 - - Le Tourneau : la vie quotidienne à Fès en 1900, p. 102

39 - André Raymond : Artisans et Commerçants au Caire au 18e, p. 439

عناصر المجتمع وتقوية التكافل والتراحم . لكنها قد تؤدي من جهة أخرى إلى تكوين كتلة متحدة تشعر بقوتها وتصبح خطرا على سياسة المخزن . وهذا ما حدث أيام المولى سليمان عندما تمرد الخرازون بالرباط على عاملهم التطواني عشعاش سنة 1815 [40]

إن وضعية رئيس الحرفة - تبعا لما سبق واعتبارا لما يمكن أن يكتسبه من نفوذ اجتماعي - تطرح السؤال عن مدى دوره في الانتفاضات الحضرية التي كان الحرفيون وراءها . وهناك عدة إشارات في الوثائق تدل على أن رئيس الحرفة لم يكن إلا من أبناء البلد، فهو ليس غريبا عن المدينة ، وليس مهاجرا حديثا إليها . لذلك يعتبر من أعيان المدينة لما له من نفوذ يجعله من ذوي «الرأسمال الرمزي» . ولابد من وضعه في الفئة العليا بسبب دوره الخطير الذي من الممكن أن يظهر في تزعم تمرد قسم من سكان المدينة وإرغام المخزن على تغيير قراراته . وهذا ما قام به أمين الخرازين في السنة المذكورة مع الفاطمي برگاش ، وقد تبعهما ربع سكان المدينة ، مما اضطر السلطان إلى تغيير العامل القديم بالعربي بن بلال الزعري [41] على أن مثل هذه الانتفاضة الشعبية لم تتكرر في الرباط خلال باقي القرن التاسع عشر حسبما يتبين من المراجع والوثائق المتعددة . لكن وقع حادث عبر عن احتجاج بعض الحرفيين في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان : ففي سنة 1850 قام الجزارون بالرباط بإضراب شامل معبرين عن سخطهم من قرار السلطان مولاي عبد الرحمان بتحريم بيع جلود الحيوانات واحتكارها من طرف المخزن . وكانت نتيجة هذا الاحتجاج حرمان الناس من اللحم لعدة أيام . وقد عرفت فاس ومكناس هذه الحركة إضافة الى الرباط [42] وبقيت هذه الحركة محصورة في الجزارين فقط .

إن الفئة الوسطى التي ضمت الحرفيين شملت أيضا صنفا آخر هم البحرية والطبجية ، وكان عددهم كبيرا بالرباط بل كانوا يتألفون من جماعتين أعطيا للرباط - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - ، وجها خاصا

---

40 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة ، ص391.

41 - أيضا.

42 - J. Caillé , La ville de Rabat ... p. 329

هو الوجه الحربي ، فعند صدور أمر سلطاني كان البرّاح في الأزقة ينادي الناس للتوجه إلى المسجد للإستماع إلى رسالة السلطان قائلا : (يا طبجية ، يابحرية ، يا كبار أهل البلد) 43 . ويدل هذا على أن قسما من سكان المدينة كان من هؤلاء البحرية والطبجية .

كانت جماعة الطبجية عنصرا من عناصر الجيش تتكلف بإطلاق البارود سواء من البنادق أو المدافع . وكانت تتألف في الرباط من السكان المحليين الوارثين لتقاليد عسكرية منذ عقود عديدة من تاريخ المدينة .

أما البحرية فعلى الرغم من الصبغة العسكرية التي طبعتهم باعتبارهم من الجيش البحري فإن الكثير منهم يمكن اعتبارهم عناصر مدنية ، وهم المتكونون من أصحاب المراكب التي كانت تقوم بنقل عابري أبي رقراق . ونظرا لاستخدام البعض من البحرية في الميناء في المراكب التي تذهب إلى السفن الراسية لنقل المسافرين والبضائع أو في خدمات الميناء ، فيمكن اعتبارهم حرفيين أيضا ، فقد كانوا منضوين في «تنظيم» مهم على شكل حنطة ، وقد تميز أعضاؤها بلباسهم الخاص وبقوة أجسامهم ، وكانوا يتحدون ويقومون بالإضراب إذا لم ينصفهم رئيس المرسى 44 وكان لهم «زعيم روحي» آمنوا بتأثيره وبركته هو سيدي عبد الله اليابوري 45 ولهم أشعار مجدوه فيها كانوا يرددونها أثناء عملهم .

ويمكن القول إن الفئة الوسطى ضمت أيضا صغار المستخدمين كموظفي الأحباس والكتاب العاملين مع القائد أو مع الأمناء في الميناء ، وأيضا العدول الذين كان بإمكان بعضهم الإرتقاء من الفئة الوسطى إلى الفئة العليا .

وقد ندمج داخل الفئة الوسطى أيضا أنواعا من أهل الحرف ذات الطابع الخاص لم تكن حرفهم تتوقف على العمل اليدوي ، وإنما على تقديم الخدمات أمثال الزطاطين والحمارين والرقاصين والدلالين .

43 - L. Mercier : Cérémonial qui entoure l'arrivée du Sultan `a Rabat. in Archives marocaines. Vol. VI p. 412.

44 - L. Brunot ; la Mer dans les Traditions et les Industries indigenes de Rabat et Salé p. 104 .

45 - أيضا .

فعلى سبيل المثال كانت أجرة الرقاص تفوق أجرة الحرفيين الآخرين - إذ كان يحصل على 40 فرنكا شهريا في الوقت الذي كان أغلبية الحرفيين الآخرين لا تزيد أجورهم عن 30 ف في الشهر 46 ولكل هؤلاء أمين ، فأمينهم هو رقاص قديم كانوا يقدمون له 2.5% من مداخيلهم 47.

2.3 - الفئة الدنيا

تكونت من أهل الحرف الهامشية ، وقد شكلها بصفة عامة الآفاقيون الغرباء عن المدينة . وهذه الحرف هي حرف الحمالة والگرابة والفحامين والعتالة (أي المشتغلون في الحقول والعرصات) والرحويين وغيرهم .

كان هؤلاء يوجدون طبعا في مستوى عيش منخفض بالنسبة لأهل الحرف النبيلة الآخرين ، وأغلبهم من المهاجرين من الجنوب ، من تافيلالت وتوات ودرعة وسوس . وتميز الكثير منهم بقتامة البشرة . ويمكن أن يدخل ضمن هذه الفئة الدنيا أصحاب خدمات أخرى أمثال الحراس والعبيد .

كان الحراس يقومون بحراسة أبواب المدينة وأحيائها ليلا ويسمون «البياتة» . ولا يعلم هل كانوا من جبالة كما كان عليه الأمر في أواخر القرن وبداية القرن الحالي أم من غيرهم 48 . وقد أطلق عليهم الرماة ، وكان رئيسهم يسمى شيخ الرماة 49 .

أما العبيد فقد اشتغلوا ذكورا وإناثا عند العائلات المتوسطة والغنية ، وقد ذكر المؤلفون الذين استقصوا أحوالهم أنهم كانوا أحسن حالا من الفلاحين 50 بل من أصحاب بعض المهن الهامشية القاطنين بالمدينة .

وكونت فئة المهاجرين المشتغلين بالمهن المصنفة في الأسفل

---

46 - A. Beaumier, op. cit. p. 31

47 - كذلك .

48 - L. Mercier : L'Administration Marocaine a` Rabat. in archives marocaine Vol. VII p. 366.

49 - كذلك .

50 - رسالة جون هي إلى اللورد روزبري في 13 مايو 1886 : أوردها مصطفى بوشعراء ، الاستيطان ج 1 ص 289 .

حنطات أيضا . فالگرابة كان لهم أمينهم وتعدت مهمتهم حمل الماء إلى البيوت وإرواء العطشى إلى إطفاء الحرائق مكونين ما يشبه اليوم رجال المطافئ ، أما الحمالة فكان لهم نقيب له إسم (كراكجي) . ومثلما كان أصحاب الحرف النبيلة منضوين في زوايا معينة ضمت المنتمين إلى نفس الحرفة ، فإن الگرابة في القرن الماضي كانوا منضوين في طريقة سيدي بلقاسم وكانوا مريدين له ومنخرطين في الزاوية الناصرية 51 .

ومن الملاحظ أن التضامن الحرفي لم يقتصر على الانتماء إلى نفس الزاوية أو تقديس نفس الولي ، بل كان الانتماء الجغرافي أحيانا يزيد من قوة هذا التضامن من جهة أولى ويظهر نوعا من الطائفية وربما نوعا من التماسك القبلي من جهة ثانية ، وهذا يبين أن الفرد لم يكن له قيمة إلا بانتمائه إلى جماعة يعمل داخلها . فكان العثالة المشتغلون بفلح البساتين والاعتناء بالناعورات وبحفر الآبار والمطمورات كلهم من درعة وسوس 52 بينما كان البقالة وأهل الأراحي من أهل سوس . وأغلبية الصاغة والقزادرية كانوا من اليهود .

ومن المعلوم أيضا أن بعض الحرف اختصت بها النساء دون الرجال مثل نسج الزرابي والتطريز . وحتى لدى النساء خضعت بعض الحرف إلى الفرق بين الرباطيات الأصيلات وغيرهن من المهاجرات . فالرباطيات اختصصن في التطريز والترقيم، بينما اختصت العاملة البدوية في ضاحية المدينة بنسج الزرابي . أما غزل الصوف فكانت تقوم به نساء الأوداية 53 .

إن هذه الفئة الدنيا ضمت عناصر أخرى ، فإذا كانت الأصناف المذكورة استطاعت أن تحقق مستوى أدنى للعيش فإن هناك أصنافا لا دخل لها إطلاقا تتمثل في السكان الهامشيين (حثالة المجتمع) المتكونين من المعوزين المتسولين ، ولكن اتفقت الكتابات الأجنبية على قلة هذا الصنف في الرباط . ولا شك أن عددا من العاطلين الذين لم يكن لهم عمل

51 - L . Massignon : enquête sur les corporations et les commerçants au Maroc , in Revue du Monde Musulman n° 58/28 P. 144 .

52 - Victor Champion : enquête sur la situation des métiers et des industries indigènes de Rabat, in bulletin officiel : n° 223 p. 131 + n° 224 p. 178

53 - L. Brunot, : Textes arabes de Rabat. in Hesperis 1931.P. IX

إلا بصفة موسمية أحيانا تضمنوا عددا من المنحرفين المتعاطين للسرقة والسطو . وليست لدينا معلومات عن هذا الصنف من السكان . ولكن نعلم أن إدارة الرباط كانت محكمة التنظيم ، وكان الأمن عاما داخل المدينة ضمنه المخازنية والعسكر في النهار والحراس البياته في الليل الذين كانوا يراقبون أبواب المدينة والقيسارية وأحياء الحرف الأخرى . وهذا يدعو إلى الاستنتاج أن عمليات السرقة واللصوصية كانت قليلة جدا . ولكن كانت تلاحظ حالات من السكر تسبب أصحابها في إزعاج النيام 54.

وتحكي الوثائق أن هناك لصوصا تسلطوا على جنانات الرباطيين وعرصاتهم ، ولكنهم لم يكونوا من سكان المدينة بل من قبيلة زعير . ويظهر أن مثل هذه العمليات كانت تقع في أوقات المجاعات التي أعقبت فترات الجفاف ، وربما كانت السرقة من أجل سد الرمق فقط 55 .

وهناك تقرير قدمه نائب القنصل الفرنسي بالرباط دوزان Doazan وصف فيه حالة فقراء الرباط . وقد لاحظ أنهم لم يكونوا يجدون مشكلا في الصيف حتى عند ندرة القمح ، لأنهم كانوا يقتاتون بفواكه الصيف العديدة وذات الأثمان البخسة جدا . لكن المسألة تتعقد عندما ينتهي الصيف 56 .

وعندما حل النائب القنصلي سان أندريه بالرباط قدم بدوره تقريرا وصف فيه الحالة في الرباط ، وتحدث عن وجود عدد من الفقراء ، وذكر أنهم كانوا نحو الخمسين ، لكن هؤلاء المساكين كانوا من نوع خاص ، فهم من المجاذيب وذكر أنهم كانوا مسلحين بالبنادق ، وقد هدده هؤلاء في نونبر 1852 وأرادوا قتله رافضين وجود هذا النصراني في مدينتهم 57 . وربما بالغ هذا القنصل في هذا الوصف والإدعاء .

3- الأحياء الحرفية وأحياء السكن :

من الأسئلة الملحة : هل ضمت مدينة الرباط في تقسيمها

54 - L. Mercier الإدارة المغربية للرباط . ص 360.
55 - المرجع نفسه ص 368 .
56 - ar. A.E.F. : Lettre du 1 juillet 1850, corres. Com. Rabat de 1846 à 1872 : TI.
57 - ar. A.E.F. : lettre de 8 nov 1852 et de 15 Nov. corres. polit du consulat de Tanger au Ministre français des A.E.

المورفولوجي أحياء منفردة خاصة بالفئة العليا من تجار و أغنياء مثلما كان الأمر بفاس التي عرفت أحياء أرستقراطية ذات قصورحقيقية؟ فالمؤلفون ذكروا أن ضفة الأندلس بفاس وخاصة قرب باب سيدي بوجيدة وجنوب هذه الضفة وفي الجنوب الغربي من القرويين في منطقة باب الحديد وجدت بها مساكن خاصة بأرستقراطية المال 58 . أما الرباط فيظهر أنها لم توجد بها أحياء خاصة بالأغنياء وأخرى خاصة بالفقراء ، وقبل التأكد من ذلك من المناسب التعرف على أنواع الأحياء .

لقد تبين من خلال بعض الدراسات الأجنبية 59 الخاصة بالمدينة أن الرباط ضمت ثلاثة أنواع من الأحياء : أحياء سكنية وأحياء جمعت بين السكن والحرف ، وأخيرا أحياء حرفية محضة .

1.3- الأحياء الخاصة بالحرف :

هي عبارة عن أسواق أو ساحات منها حي الحفرة . ويتضمن سوق الخرازين حتى باب الرحبة ، وشمالا حتى مسجد النخلة .

- السويقة وكانت أهم محور اقتصادي في المدينة حيث الدكاكين المصطفة حسب الحرف تبتدئ من تقويسة الطرافة يمين الداخل منها في اتجاه باب الأحد ، وتضمنت دكاكين الجزارين والمواد الغذائية ومخازن التبن ، وكل أنواع المصانع ، وبعد مسجد مولاي سليمان يصبح اسم الطريق هو الجوطية حيث مصانع النجارين والخراطين وبائعي الحديد القديم والمصنوعات النحاسية - كما كانت تضم متاجر التوابل.

ويتغير الإسم بعد ذلك ليحمل الطريق اسم الصبيطريين أي بائعي الأحذية ، ففي اليمين واليسار كانت توجد حوانيت الطرافين تتتابع ، من بينها الشكايريون والسراجون ، وفي آخر المطاف نجد الخرازين . وبعد الجامع الكبير نجد باب الخرازين المؤدية إلى الرحبة ، وعند دخوله نجد

58 - Le Tourneau, **Fès avant le protectorat.** p 222

59 - L. Mercier : **Rabat , Description Topographique,** in Archives Marocaines, Vol. VII p. 309.

بائعي القطران وساحة الرحبة . وفي إحدى واجهاتها نجد زنقة الصباغين التي تنحدر نحو البحر 60 ومن الأحياء الحرفية أيضا سوق الغزل الذي تضمن السوق التحتي والسوق الفوقاني 61 .

2.3 - الأحياء المختلطة :

منها مثلا الملاح الذي كانت تختلط فيه دور اليهود بالدكاكين والمعامل اليدوية التي في مدخله 62 وحي وقاصة حيث دكاكين الخياطين والطرافين . ودور الدباغ مختلطة بدور بعض السكان الفقراء المهاجرين 63 .

- حي الكزا المنطلق من اللوبيرة إلى ساحة الوسعة حيث عدة متاجر ، وكل أنواع المعامل اليدوية مثل البراذعيين تفصل بين عدد من دور السكنى التي توجد أيضا داخل أزقة تقطع الطريق الرئيسي . ويمكن أن ندخل ضمن هذه الأحياء حي بوقرون أيضا رغم صبغته السكنية ، وذلك أنه ضم عددا من الدكاكين ومصانع النسيج 64 .

3.3 - الأحياء السكنية :

إذا بدأنا بجهة البحر فإننا نصادف حي العلو الذي تضمن عددا من الدور والأضرحة والكتاتيب القرآنية ، يتبعه حي اللوبيرة وقصبة الأوداية وحي البحيرة الذي يفضي إلى سوق الغزل ، وحي سيدي فاتح الذي كان يسمى أيضا رجال الصف حيث محكمة القائد والذي لم يكن اليهود يمرون به إلا وهم حفاة . وكان النصارى إذا مروا قرب ضريح مولاي المكي بن مولاي التهامي الموجود في هذا الحي تعرضوا للدفع والشتم من طرف المارة 65 .

كانت هذه الأحياء تتضمن الدور الفخمة المزينة بالزليج الفاسي والمتضمنة في الغالب «رياضات» صغيرة في وسط الدار ، وإلى جانبها

---

60 - أيضا . ص307 - 308.
61 - كذلك ص 309 .
62 - كذلك. ص 311 .
63 - كذلك . ص 312 .
64 - كذلك . ص 311 .
65 - كذلك . ص 303 .

PLAN DE RABAT

NORD
Bâb El Bahr
Cimetière musulman
Douane
Bâb el Marsa (8)
Mission militaire fr.se
Consulat de France
Eglise catholique
Bâb el Bahr (7)
Bâb El 'Alou (2)
Cimetière européen
Cimetière israélite
Souq el Had
Bâb el Had ou Bâb el Djedid (3)
Bâb et Teben (4)
El Bououiba (5)
Bâb Chella (6)
Cimetière musulman
El Mellah
Mekloûf

خريطة للرباط أنجزها لوي ميرسي

E. Leroux, Éditeur.

المفتاح

I - السوق الفوقي
II - السوق التحتي

أبواب السور الخارجي

1 - باب البحر
2 - باب العلو
3 - باب الحد أو باب الجديد
4 - باب التبن
5 - البويبة
6 - باب شالة
7 - باب البحر
8 - باب المرسى

أبواب الأحياء

9 - باب القصبة
10 - باب سوق الغزل
11 - باب درب الحوت
12 - باب السوق
13 - باب الرحبة
14 - باب الخرازين
15 - باب وقاصة
16 - باب الملاح
17 - باب الصبيطريين
18 - باب درب الفاسي
19 - باب الجوطية
20 - باب درب سيدي بلعباس
21 - باب درب المعموري أو الگزولي
22 - قويسة الطرافة
23 - تقويسة دار الراعي
24 - باب سيدي فاتح
25 - باب درب مولاي عبد الله
26 - باب سيدي محمد الضاوي

المساجد أو الأضرحة

1 a - جامع النخلة
2 a - جامع النجار
3 a - جامع درب الحوت
4 a - جامع الزناقي
5 a - زاوية مولاي عبد القادر
6 a - سيدي عبد القادر بن أحمد
7 a - سيدي محمد الضاوي
8 a - سيدي علي بن حمدوش
9 a - سيدي عبد الرفيع
10 a - سيدي فرج
11 a - سيدي اليابوري
12 a - سيدي التركي
13 a - جامع القصبة
14 a - للا عيشة اليابورية
15 a - سيدي الخطاب
16 a - سيدي ادريس
17 a - سيدي فاتح
18 a - جامع التجانيين
19 a - جامع الكزارين
20 a - جامع الغربي
21 a - جامع سيدي قاسم
22 a - مولاي المكي
23 a - زاوية العيساوة
24 a - جامع مولاي سليمان
25 a - الجامع الكبير
26 a - سيدي عبد الرحمان الغندور

دور متواضعة للتجار الصغار والحرفيين البسطاء ، لكن الملاحظة الأساسية أن أغلب هذه الأحياء العريقة لم تضم سوى أهل المدينة الأقحاح ، بينما سكن المهاجرون والغرباء الأحياء المختلطة وأطراف المدينة . فالفروق الحقيقية في أحياء السكن لم تنبن على الغنى أو الفقر وإنما على الفرق بين الأصلاء من السكان و «البرانيين» منهم ، وبما أن الآفاقيين والمهاجرين من البادية كانوا يسكنون الأحياء المتطرفة والمختلطة فإن التجمعات السكنية داخل المدينة كانت ذات توزيع هندسي إثني ، ويمكن تصنيف هذه الأحياء السكنية انطلاقا من ذلك إلى ما يأتي :

* الملاح : وقد رأينا أنه ليس قديما ، إذ لم يستحدث إلا في عهد المولى سليمان الذي قام بنقل اليهود إليه من حي البحيرة التي ظلت سكنى لهم لمدة طويلة . وكانت أرض الملاح قبل بنائه مكسوة بالأشجار عندما اشتراها مخزن المولى سليمان ، ولم يسكن الملاح طبعا خلال القرن الماضي سوى اليهود تقريبا . وقد رأينا أن هذا الحي - تضمن زيادة على المساكن - عدة معامل يدوية ودكاكين خاصة بسكانه .

* القصبة : وقد سكنها أعيان جيش الأودايا بعد أن نقلهم السلطان سنة 1833 إلى الرباط ، ولكن تضمنت القصبة - زيادة على الدور المخصصة لقواد الأودايا - بعض النوايل التي ربما أحدثت بعد أيام المولى عبد الرحمان ، كما لاحظ ذلك أحد أعضاء البعثة العسكرية الفرنسية أيام المولى الحسن 66 .

وكان هناك تنافر بين أهل الأودايا وأهل الرباط ، فكان الأولون ينبزون الآخرين بلقب «الدجاج الأبيض» 67 وكان الرباطيون يصفون أهل الأودايا بوصف «خبـاطة وبطانة» للدلالة على ماكانت نساء الأودايا تقمن به من غسل الأصواف وتهييئها لصنع الزرابي بجنب البحر حيث

---

66 - ar. Vinc : Rapport du Lieutenant Falcon (Nov. 1880) .

67 - L. Brunot , op. cit , p. 34

كن يحملن الخباطات والبطانات 68 .

* قلب المدينة : حيث السكان الأصلاء وكان هناك شعار يصف سكان سيدي فاتح ودرب گناوة وهم صناع وفقراء من أهل التقوى والدين وهذا الشعار هو « بدعية ومگانة» كناية على هذا الصنف من الناس الذين كانوا يترقبون حلول وقت الصلاة مستشيرين من أجل ذلك ساعاتهم الصدرية 69 كما يدل هذا الوصف على تشابه لباس سكان هذا الحي .

وفي السويقة رغم صبغتها الحرفية والاقتصادية سكنت بعض العناصر البدوية الفقيرة في «الفنادق» واشتغلت ببيع الأكارع والأسقاط، وقد نعتهم الرباطيون بشعار «كرشة ومصرانة» 70 .

أما سكان حي العلو واللوبيرة وهم ذوو أصل رباطي ، فقد تميزوا بشعار «وردة وسوسانة » لحبهم للنزهات وإسرافهم في الزينة ، ولاغرو في ذلك ، لان شارع العلو مع اللوبيرة كان حسب ما قاله الكتاب الأوبيون والقناصل قلبا نابضا بالحركة ، حيث كان الناس يؤمونه في المساء لاستنشاق الهواء ، إذ كان يشرف على البحر 71.

وقد سكن حي وقاصة ناس من درعة وسوس واشتغلوا بمهن شاقة كحفارين وعتالين وگرابة ، فكان حيا خاصا بالفئات الفقيرة من المهاجرين 72 .

---

68 - مصطفى بوشعراء : الإستيطان والحماية . ج 2 ص 751 .

69 - هذه الألقاب أطلقت على سكان هذه الأحياء ربما بعد عهد السلطان مولاي عبد الرحمان - المرجع السابق . ص 751 .

70 - المرجع السابق . ص 752.

71 - J. Caillé : La ville de Rabat ... , p. 346

72 - L. Mercier: Rabat , Description Topographique. p. 312

الفصل الرابع
وضعية أعيان قدامى : رؤساء البحر

إن إطار الأعيان هو الفئة العليا - كما أشرنا إلى ذلك في الفصل السالف - التي كانت لها قوة الكلمة وكانت تحظى بالتقدير والهيبة بسبب السلطة أو بالمال أو بالعلم أو بسبب شرف النسب . لكن تاريخ المدينة وموقعها الجغرافي لعبا دورهما في إبراز صنف أو أصناف من الأعيان لا توجد في بعض المدن الأخرى ، فموقع مدينة الرباط على المحيط وبعض خصائصها التاريخية خلقا فيها أعيانا لم يوجدوا على سبيل المثال في فاس أو مراكش أو مكناس ، بينما وجدوا في بعض الموانئ كتطوان نظرا لتشابه الظروف . أولئك هم رؤساء البحر .

ومهما تنوعت طبيعة الأعيان واختلفت من مدينة إلى أخرى فهم لايخرجون عما سماه الأنتروبولوجيون بـ «أصحاب الرأسمال المادي والرأسمال الرمزي» [1] ويعبر هذا الرأسمال عن القوة التي يستطيعون بها التأثير في وسطهم الإجتماعي ، ويعتبر رؤساء البحر أحد أصناف هؤلاء الأعيان في مدينة الرباط ، نظرا لأهمية دورهم ، وكذلك نظرا لمكانتهم ضمن التركيبة الإجتماعية للمدينة ليس في القرن الماضي فحسب وإنما منذ الهجرات الأندلسية الكبرى .

1 - أهمية رؤساء البحر في المجتمع الرباطي :

أشرنا فيما سبق إلى أهمية البحرية بصفة عامة كفئة من الفئات الإجتماعية في المدينة . وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله زاد عددهم على 1100 شخص بين رباطيين وسلاويين . لكن ما يهمنا هنا هم رؤساء البحر الذين تطلق عليهم النصوص إسم رؤساء المجاهدين . فالأمر هنا يتعلق إذن بمن كانوا يتبوأون أعلى درجات البحرية ، وهم يختلفون طبعا عن رؤساء أهل الحرف لكونهم «موظفين» من طرف المخزن ، ومن جهة ثانية ليسوا سوى رؤساء عسكريين من الجيش البحري ، كان لباسهم خاصا ، وألقابهم مأخوذة من الألقاب التركية مثل رايس ، وباش رايس الخ ... .

ولقد لعب رؤساء البحر أدوارا خطيرة مختلفة . فزيادة على

Pierre Bourdieu : le sens pratique, édition Minuit 1980, p. 191 et 227 - 1

العمليات البحرية التي قد تنتهي بأسر السفن الأجنبية واقتيادها إلى موانئ البلاد وبالخصوص ميناء أبي رقراق ، كانوا ينظمون العلاقات الأمنية والدبلوماسية بين المغرب والبلدان الأوربية في المجال البحري ، وفي كثير من الأحيان كانوا يلعبون دور سفراء للتباحث في قضايا ثنائية أو لجلب السفن والأسلحة والعتاد من الخارج . ومن الأمثلة على ذلك القائد العربي المستيري الذي أرسله السلطان محمد بن عبد الله سفيرا إلى إنجلترا لشراء السلاح سنة 1766 .

وترجع أصول تكوين هيأة رؤساء البحر إلى العهد الأول للقرصنة في مصب أبي رقراق . ومن المعروف أن أشهر رؤساء البحر في البلاد كانوا ينتمون إلى العدوتين سلا والرباط حتى أن السلطان محمد بن عبد الله عندما أراد إخراج الرباطيين من مدينتهم كما ذكرنا سابقا أثناه عن عزمه عدم إمكانية تعويض هؤلاء الرؤساء القائمين بشؤون البحر [2] .

وكان بعض رؤساء البحر قد اكتسبوا صيتا كبيرا لدى المخزن وحتى لدى بعض الدول الأوربية ، فكان قناصلة أوربا في المغرب يمنحونهم جوازات السفر في البحر حتى يتمكنوا من ارتياد شواطئ البلاد الأوربية ، وقد بلغت شهرة بعضهم حدا خلق الحكايات حولهم في الوسط الشعبي الرباطي وعلقت هذه الأساطير بأذهان العامة إلى بداية القرن العشرين ، فيذكر لوي برونو Louis Brunot أسطورة ذلك الرئيس المسمى المعطي الذي جر وراءه أغلبية سكان الرباط عندما تحدى أحد سلاطين القرن الثامن عشر [3] ، وتعبر هذه الحكاية على كل حال على مدى الشعبية التي كان بإمكان رئيس البحر أن يكتسبها في مدينته . وربما كانت الشهرة والشعبية التي أحرزهما الرئيس العربي المستيري المذكور في عهد السلطان مولاي عبد الله - لقيامه بعدة عمليات قرصانية ناجحة - مبررا لتعيين المستيري قائدا على الرباط [4] من طرف الأمير محمد بن عبد الله عندما قدم إلى المدينة سنة 1755 [5] .

---

2 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة ، تحقيق أحمد العماري - ص 177.

3 - Louis Brunot : la mer dans les industries ... p. 319

4 - Louis Chénier : Journal du consulat général de France au Maroc, p. 112

5 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة : ص 157 .

وكان المولى سليمان قد عين رئيسا بحريا آخر في أحد المناصب الكبرى في المدينة حيث نصب الهاشمي المستيري وهو أخو السابق على نظارة الرباط سنة 1216 / 1802 [6] .

وقبل التطرق إلى هذا الصنف من الأعيان في الفترة التي تهمنا ، من الضروري التعرف على رؤساء البحر وقت ازدهارهم لنرصد مدى الإستمرار أو الإنقطاع الذي ميز الأسر المتعاطية لهذا النشاط البحري . ويمكن أن نستدل على ذلك بما قاله الضعيف وبما أتى به بعض القناصلة المعاصرين مثل شينيي ، أيام السلطان محمد بن عبد الله الذي اهتم بالأسطول البحري وشجع العمليات البحرية ، فمن أبرز هؤلاء :

العربي المستيري [7] ، و العربي حكم [8]، والكوار الرباطي [9]، والهاشمي المستيري [10] ، وعلي بريس [11] ، ومحمد السبيع الرباطي [12]، ومحمد العنقي الرباطي [13]، وابراهيم لباريس [14]، ومحمد بن امبارك [15] وحماد الرايس [16] ، وعبد السلام حكم [17] ، ومحمد الهلالي [18]، والهاشمي الكوار [19] ، وعباس غنام [20] ، والمعطي فلوريش [21] ، والجيلالي المزيمزي [22]

يلاحظ في هذه اللائحة غلبة الأسماء الإيبيرية ، وقد اضطلعت بعض الأسر الأندلسية بهذا النشاط منذ مجيئها من الأندلس ، ولكن نلاحظ أسماء محلية وأخرى وقع نقاش حول أصلها هل هو أندلسي أو محلي مثل غنام و حكم [23] .

---

6 - أيضا . ص 323
7 - أيضا . ص 157
8 - أيضا. ص 170.
9 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة : ص 170 ولقب الكوار أحمد .
10 - كذلك . ص 177 .
11 - كذلك . ص 178 .
12 - كذلك . ص 195 و 218 .
13 - كذلك . ص 272 .
14 - كذلك . ص 196 و غيرها .
15 - كذلك . ص 265 .
16 - كذلك . ص 272.
17 - كذلك . ص 272.
18 - كذلك . ص 272.
19 - شينيي - المرجع السابق . ص 97 .
20 - الضعيف . ص 338 .
21 - أيضا . ص 371 و 401 .
22 - كذلك . ص 371 و 399 .
23 - روايات شفوية .

وقد أضاف شيني Chénier أسماء أخرى لم يذكرها الضعيف مثل الرايس الطيبي والعلو [24] ، والهاشمي القصري [25] .

ونعلم أن السلطان مولاي سليمان وضع حدا للقرصنة أو ما كان يسمى بالجهاد البحري ، فقام سنة 1817 بتجريد السفن المغربية من السلاح وأبطل مفعول الأسطول ، وقد قال الناصري في هذا الصدد «وفي هذه السنة (1233) أبطل السلطان الجهاد في البحر ، ومنع رؤساءه من القرصنة به على الأجناس ، وفرق بعض قراصينه على الإيالات المجاورة مثل الجزائر وطرابلس ، وما بقي منها أنزل منها المدافع وغيرها من آلات الحرب ، وأعرض على أمر البحر رأسا ، بعد أن كانت قراصين المغرب أكثر وأحسن من قراصين صاحب الجزائر وتونس [26].

2 - رؤساء البحر في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام :

كان قرار السلطان مولاي سليمان يوحي بأن عهد القرصنة قد انتهي إلى الأبد ، وأن رؤساء البحر انتهوا كهيأة ، ولكن الواقع أن النشاط البحري تجدد في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان تجديدا لم يحي ازدهار هذا النشاط كسالف عهده ، ولم يحي قوة رؤساء البحر الماضين ، فقلت عمليات الجهاد البحري ليس بسبب توزيع الأسطول المغربي في عهد سلف السلطان فقط ، أو لصعوبة الحصول على أسطول مماثل ، ولكن أيضا بسبب التفاوت بين السفن المغربية التقليدية وبين السفن الأوربية التي بدأت تتطور مجهزة بمدافع حديثة ، وذات الفعالية في الشحن والقذف بسرعة ، وذات المرمى البعيد . غير أن هذا التطور التقني والصناعي لم يكن في بداية عهد السلطان عبد الرحمان قد شمل الملاحة البحرية بكيفية واسعة ، فظلت بعض الدول ضعيفة التجهيز مثل النامسا والبرتغال وإسبانيا إذا قيست بما وقع من تطور تقني في بلدان أوربا الشمالية كإنجلترا وفرنسا وأيضا في الولايات المتحدة .

---

24 - L. Chénier : Journal du Consulat ... p 141

25 - أيضا . ص 142 .

26 - أحمد الناصري : الاستقصا ج . 8 ص 133.



الرايس الحاج عبد الكريم



نموذج للباس رياس البحر :
بالصورة الرايس الحاج ابراهيم الحجمري
معه أجنبي ببذلة مغربية

ولقد بدأ تجديد النشاط البحري في عهد مولاي عبد الرحمان عندما أذن في بداية عهده لرؤساء البحر من أهل العدوتين سلا ورباط الفتح أن يخرجوا في القراصين الجهادية للتطواف بسواحل المغرب وما جاورها فخرج الرئيسان عبد الرحمان برگاش والحاج عبد الرحمان بريطل [27] .

ومنذ ذلك الوقت أخذت السفن المغربية ، بقيادة رؤساء برزوا على الخصوص في العدوتين ، تقوم بالعمليات الجهادية التي سنعطي أمثلة عنها ، انطلاقا من التعريف بهؤلاء الرؤساء ، وهم :

2 . 1 - الرئيس عبد الرحمان بريطل :

ورد اسم بريطل في عدة ظهائر رحمانية . فمنذ 26 قعدة 27/1241 يونيو 1826 أذن له السلطان مع زميله السلاوي الرايس عبد السلام الشريف بمطاردة سفن «جنس ابريمل وجنس لوبك وجنس بروصية وجنس هامبورغ» [28] . وبدأت الأوامر السلطانية توجه إلى العمال لتسهيل عمل رياس البحر في المراسي التي كانوا يتوقفون فيها وينطلقون منها ، فعادت إليها الحركة بعد فترة الركود التي عرفتها بسبب انقطاع النشاط البحري . وهكذا أصدر السلطان إلى قائده محمد أشعاش عامل تطوان في ربيع الثاني 1827/1243 أمره بتزويد الرئيس بريطل بما يحتاجه «من المدافع والإقامة إذا توقف بمركبه في المرسى» [29] .

وكان بريطل يحظى بعناية خاصة من السلطان الذي أمر في رجب 1243 / يناير 1828 قائده المذكور بما يلي : «فبوصول كتابنا هذا إليك قف في صنع كسوة لرئيس مراكبنا السعيدة عبد الرحمان بريطل تكون منسوجة بالذهب بالغة الغاية في الجودة والتزويق» [30] .

وكان السلطان يقصد كما بين ذلك في رسالته «إثارة غيرة النصارى» عندما يلتقون مع بريطل في البحر ، فقد زاد السلطان في

---

27 - أيضا . ج 9 ص 25.
28 - ظهير 26 قعدة 1241 في الاتحاف. ج 5 . ص 134.
29 - محفظة رقم 7 : الموانئ والملاحة ، رسالة 20 ربيع 2 سنة 1243 : خ . م.
30 - محمد داود : تاريخ تطوان . ج 8. ص 139 .

رسالته وهو يتحدث عن الكسوة : « ... يكون يلبسها ليغيظ الكفار ، فإنهم أهل دنيا ، إنما مطمح نظرهم لزخرفها وزينتها فتكون إغاظتهم من جنس ما يحبون» .

ومما يدل على عناية السلطان بهذا الرئيس ، كموظف مخزني سام، أنه حرص على أن يتسلم بريطل الكسوة من الحضرة السلطانية بالذات ، ولم يرد أن يبعثها القائد لأحد آخر غير السلطان فقال له : «فإذا كملت الكسوة وجهها لحضرتنا الشريفة» 31 .

وتبين الوثائق أن عبد الرحمان بريطل كان المشرف العام على الأسطول المغربي . ومما أوردته الوثائق الأجنبية هي هذا الصدد : «في سنة 1829 ... كان جميع الأسطول المغربي تحت قيادة عبد الرحمان بريطل أميرال المغرب » 32 .

وإذا كانت هناك وثائق تدل على الحظوة والمكانة التي أحرزهما بريطل وغيره من الرؤساء فإن ذلك لم يكن يعفيهم من غضب السلطان إذا ارتكبوا خطأ ما . ففي شعبان من سنة 1255 نونبر 1837 ، وقع عبد الرحمان بريطل في خطإ لا تعرف طبيعته ، مما جعل السلطان يحنق عليه فأرسل إلى قائده بطنجة عبد السلام السلوي خطابا بشأن الرئيس 33 قائلا : «فقد وصلنا كتابك صحبة الحاج عبد الرحمان بريطل قبحه الله، ووصل صحبته ما سطره السلوي في شأنه وما أدى عنه وصير عليه . فهؤلاء الرؤساء إنما يكثرون علينا من الآراء والأقوال ، وإذا احتاجهم الإنسان فعلوا مثل هذه الموبقة ، وباءوا بالخزي والهوان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم» 34 .

وتظهر صبغة هذه الرسالة أن السلطان كانت نظرته إلى رؤساء البحر نظرة من يتحملهم على مضض . وعلى الرغم من أنهم من الموظفين الكبار لدى المخزن باعتبار ما كان يوكل إليهم من رئاسة

---

31 - كذلك . رسالة 9 رجب 1243.

32 - J. L. Miège : **La marine Marocaine au 19°** : B.E.P.M. n° 27. p. 52

33 - تولي عبد السلام السلاوي قيادة أصيلة في 18 حجة 1252 وأضيفت إليه عمالة طنجة في 8 ربيع الأول 1253. المصدر : محفظة التعيينات والإعفاءات ، الجزء 1 - رسائل بهذا التاريخ

34 - .محفظه رقم 14 عنوانها مواضيع متنوعة : رسالة متم شعبان 1255 ، خ . م .

الجيش البحري والإشراف عليه ، فهو يتحدث عنهم وكأنهم يعملون أحيانا لغير صالحه . ولكن هذا لم يقتصر عليهم ، إذ أن السلطان أظهر حنقه على بعض الموظفين الكبار الآخرين مثل القواد .

ومن المهام التي كان بريطل يتكلف بها إصلاح عتاد السفن وتمرين الشبان على علم البحر كما يتبين من رسالة وجهها السلطان إلى قائده بوسلهام بن علي قائلا : «... فقد أذنا لخديمنا الرئيس عبد الرحمان بريطل في الخدمة في المركب الموسوم بالأسكونة من العرايش للرباط وجبل طارق بقصد تمرين متعلمين من العدوتين ، كما أمرنا بتعليمهم علم البحر فحصلوه توا وبقي لهم العمل ليكمل عملهم بذلك ومعرفتهم ...» 35 .

وهكذا نجد أن السلطان عبد الرحمان استمر في تكوين البحرية وأوكل إلى رؤساء البحر أمر التداريب ، لكن ما يلاحظ أن براعة رؤساء البحر كانت محصورة في عدد قليل منهم ، وكان عبد الرحمان بريطل أكثرهم كفاءة حسبما تحدث به الوزير العربي بن المختار الجامعي موجها في شأن بريطل رسالة إلى قاضي سلا محمد عواد ، ومما يقول فيها : «وعلمنا ما ذكرت في شأن الرايس عبد الرحمان بريطل ، وأنه ممن يستحق أن يعتني به ، ويجاب لمطلوبه ، لكونه وحيد دهره ، عديم النظر في وقته ، وطلبت السماع منه ، والأخذ بيده فيما يرغب فيه ، مما ينتفع به غيره مجانا ، وهو أحق به لقيامه بما وليه من أمور خدمته» 36.

ويتجلى من هذه الرسالة من جهة أولى اهتمام المخزن بالرئيس بريطل على الرغم من غضب السلطان عليه قبل ذلك ، ومن جهة ثانية أن بريطل ، على الرغم من منصبه كان محتاجا إلى التوسط لكي يحصل على منفعة معينة لا تبينها الوثائق . ولكن لا يجب أن يفهم من ذلك أن احتياجه إلى هذه المنفعة كان لقلة ذات يده ، إذ برهنت كثير من الوثائق أن الأعيان كانوا يحصلون على هبات ومنافع مختلفة على الرغم من عدم احتياجهم ، وعلى الرغم من غناهم ، كما تدل عليه الكثير من

---

35 - محفظة رقم 7 - رسالة 17صفر 1257 خ.م.

36 - كناش ظهائر رحمانية : رقمه 3208 : رسالة 27 ربيع الأول 1266 خ . م .

الرسائل المخزنية وكما سيظهر في الفصول اللاحقة .

ومن المهام المسندة إليه تفقد المراكب الجهادية والإشراف على إصلاحها مع المختصين . فقد أخبر عامل الرباط وأمناؤه السلطان بتاريخ 12 ربيع الأول 1851/1268 ، بورود المعلم النجار المسمى المعلم الغازي إلى الرباط صحبة بريطل واليكانجي الحاج أحمد لإصلاح سفن الجهاد [37] .

2.2 - الرئيس عبد الرحمان برگَاش

كان هذا الرئيس قد ورث حرفة القرصنة عن أجداده الذين عرفوا بالقيادة والزعامة منذ حلول الموريسكيين بمصب أبي رقراق . فكان إبراهيم بن شعيب برگاش أحد حكام القصبة الأندلسية سنة 1627 وأحد أعضاء ديوانها [38] . وكان المكي برگاش ناظرا لأحباس الرباط بين 1185 و 1204 . وكان عبد الله برگاش قائد الرباط في أواخر عهد محمد بن عبد الله وبداية عهد مولاي سليمان [39] زيادة على أن بعض هؤلاء الأجداد لعبوا أدوارا سياسية حولت مجرى تاريخ المدينة ، لهذا كانت أسرة برگاش من أهم أسر الرباط شهرة وجاها ، وقد أعطينا أمثلة عن دورها سنة 1815 عند ثورة الخرازين .

وعندما رغب السلطان مولاي عبد الرحمان في إحياء سنة الجهاد وكلف عبد الرحمان برگاش بالتطواف بسواحل المغرب ، فإن برگاش هذا استطاع مع زميله السابق بريطل أسر سفن نمساوية ، واقتاداها إلى مينائي العرائش والعدوتين بعد أن وجدا أنها مفتقدة للباسبورط الذي يسمح لها بالمرور . وقد تكلف المؤرخ ابن زيدان بنشر الوثائق الخاصة بالغنائم العديدة التي استخرجت من إحداها [40].

---

37 ـ عبد الرحمان ابن زيدان : **الإتحاف** ج 5 . ص 150.

38 ـ J. Caillé : La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français . p. 229

39 ـ المرجع السابق. ص 313-319 وأيضا محمد الضعيف : **تاريخ الدولة السعيدة** . ص 247.
والأليكانجي رتبة نائب رئيس السفينة .

40 ـ الناصري : **الإستقصا** ج 9 . ص 25 . وابن زيدان : **الإتحاف** . ج 5 . ص 135 وما بعدها - يتحدث الناصري عن سفن بينما لا يذكر ابن زيدان الا سفينة واحدة .

وكانت هذه هي العملية القرصانية الأولى من نوعها في عهدالسلطان، وسببا في الهجوم على العرائش . ومن الغريب أن يقول الناصري إن هذا الهجوم كان من أسباب «إعراض السلطان المولى عبد الرحمان على الغزو في البحر والاعتناء بشأنه » 41 ، مع أن الوثائق الواردة أعلاه ، ووثائق أخرى آتية تبين استمرارالعمليات البحرية وتشبث السلطان بالميدان البحري . فعبد الرحمان برگاش كان يمتلك سفينة خصصت عدة مرات لتدريب الشبان 42 كما فعل زميله بريطل ، ولكن العمليات الجهادية في الحقيقة بعد واقعة العرائش كانت موجهة لمحاربة التهريب الذي كانت تقوم به بعض السفن الأوربية وخاصة في الشواطئ الريفية .

ومن الجدير بالذكر أن عبد الرحمان برگاش خلف ابنه الوحيد مَحمد الذي لعب دوره الكبير كما سنرى في النصف الثاني من القرن عندما شغل منصب النائب السلطاني المكلف بالعلاقات مع ممثلي الدول الأجنبية في طنجة .

2 . 3 - الرئيس أحمد والحاج

له صيت ذائع في الوثائق الرحمانية حيث تبودلت في شأنه عدة مراسلات بين السلطان وعماله . وزيادة على ما كان يقوم به من تداريب متعددة للشبان على الجهاد البحري فقد نظم عده عمليات في إطار محاربة التهريب في الشمال . وفي 21 جمادى الأولى من سنة 1257 / 11 يوليوز 1841 كلفه السلطان بترصد السفن الأجنبية التي كانت آنذاك تقوم بوسق بعض المواد الممنوعة في التصدير ، وأخبر السلطان قائد العرائش بوسلهام بن علي قائلا : « فقد عينا المركب الجهادي المعروف الأسكونة التي رئيسها الحاج أحمد والحاج للتقرصين بكوشطة الريف على ما سيق من مراسيه شيئا سرقة إذ ذلك كله على وجه الكنطربند ..»43
وفي شعبان من السنة نفسها الموافق لشتنبر 1841 ، استطاع

41 - الناصري - الإستقصاء .ج 9 . ص 25.
42 - محفظة رقم 7. ظهير 5 جمادى الأولى 1257: انظره في الملحق الوثيقة الثانية .
43 - المصدر نفسه ، ظهير 21 جمادى الأولى سنة 1257 .

الرايس والحاج القبض على سفينة إسبانية تسمى (فلشوا) وقد أخبر القائد أشعاش السلطان بما حوته السفينة من المواد ، فأمر السلطان قائده أن يحتفظ بطاقم السفينة في انتظار إجراء المفاوضات مع المسؤولين الإسبانيين بشأنهم 44 .

وكانت العمليات البحرية التي ترأسها والحاج وغيره من الرؤساء تستغرق أحيانا مدة طويلة ، لذلك كان السلطان يأمر عمال الموانئ بتسهيل مأموريتهم وإمدادهم بالمؤونة وسائر المواد الغذائية ومن الأمثلة على ذلك أن السلطان أمر قائده أشعاش :«أن يمد له الكمانية عند رأس كل شهر ... ومهما جددت لهم الكمانية فزدهم من الكسكس خمسة قناطير غير ربع» 45 . ونلاحظ أن هذه العمليات كانت محصورة في الشمال ، لذلك كان عمال الثغور الشمالية يتلقون التعليمات المستمرة لإعانة رؤساء البحر على ردع السفن القائمة بالتهريب .

ومما يلفت الانتباه أن رؤساء البحر لم يكونوا يتكلفون بالمهمة الحربية المتجلية في مثل هذه العمليات فقط ولكن أيضا يصبحون ملاحين مدنيين عندما كان يعهد إليهم بنقل المسافرين وعلى الخصوص الحجاج . ففي جمادى الأولى سنة 1253 (غشت 1837) استأذن الرئيس والحاج السلطان في نقل الحجاج بمركبه فأذن له بذلك ، وحمل الرئيس معه مؤونة ستة أشهر. وكان عدد بحريته ثلاثة عشر بحريا ، وأكريت السفينة بعشر ريالات ، وقد كانت سعتها مائتي شخص . وقد أمر السلطان عامله عبد السلام السلاوي أن يشرف على هذه العملية قائلا له : «وما تحصل من الكراء يسقط من كمانية المركب المذكور ، والباقي ثلثاه لبيت المال ، والثلث الباقي للرئيس والبحرية» 46 .

2 . 4 - الرئيس أبو بكر السبيع 47

من مجاهدي البحر الرباطيين المشهورين وكان مثل الرئيس

---

44 -محفظة التجارة الداخلية والخارجية رقمها 9. ج 5رسالة 19 شعبان 1257: خ . م .

45 - محفظة رقم 7. رسالة 21 جمادى الأولى 1257 : الوثيقة رقم 3 في الملحق والكمانية تعني المؤونة .

46 - المحفظة نفسها . رسالة 6 جمادى 1 سنة 1253.

47 -ظهير في 16 ربيع 2 سنة 1253 بالمحفظة المذكورة .

والحاج يقوم بتدريب البحرية بميناء العرائش ، وكان عامل الرباط يرسل أفواجا من البحرية الرباطيين ليعملوا معه ، وكان هذا الرئيس قد ورث مهنة أبيه الحاج محمد السبيع الذي عمل قائدا لإحدى السفن في عهد السلطان محمد بن عبد الله 48 . وهكذا نرى أن هذه العائلة توارثت هذه الوظيفة البحرية لعدة أجيال ، وكان السبيع الأب قد عينه السلطان مولاي سليمان رئيسا لمرسى الرباط ، ويذكر الضعيف أن ابنا له عمل معه آنذاك كخليفة له بالمرسى 49 . ويرجح أن الأمر يختص بأبى بكر هذا. وكان السلطان المولى عبد الرحمان قد أذن لأبي بكر السبيع في السفر إلى فرنسا ، وصحب معه ظهير السلطان الذي كان بمثابة جواز سفر ، وهو ظهير مؤرخ بـ 18 ربيع الأول 1252 /4 يوليوز 1836 . وقد أبحر السبيع في سفينته «مسعودة» وهي ذات ثلاثة صوار ، وثمانية عشر مدفعا . ومما نص عليه الظهير ، ما يلي : «فالواقف عليه من رؤساء الأجناس الذين لهم عقد المصالحة مع جانبنا العلي بالله تعالى يقدره قدره ، ويعظم جانبه وخطره ، ويفعل معه العوائد المعلومة ، ويجري معه القوانين المرسومة» 50 .

ليست هذه الأسماء طبعا سوى أمثلة وقعت تحت اليد بعد البحث والتقصي في وثائق دفينة ، وأخرى منشورة ، ولكن من المستبعد أن تكون هناك أسماء أخرى لمجاهدي البحر الرباطيين لم ترد في هذه الوثائق ، لأن المراسلات المتعاقبة في عهد السلطان المذكور لا تشير إلى غير هذه الأسماء المثبتة ، وحتى إذا وجدت فلا بد أن تكون قليلة جدا ، وقد أورد ابن زيدان على سبيل المثال اسم أحد الرؤساء الرباطيين وهو بناصر مرسيل الذي لم تذكر الوثائق الملكية اسمه بالتأكيد ، وقد منحه السلطان جوازا للمرور بجنوة بإيطاليا في 5 يوليوز 1829 51.

وتذكر الوثائق أنه بالإضافة إلى كون علم البحر علما يمارس

---

48 - انظر لائحة رؤساء البحر في بداية هذا الفصل .

49 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة . ص 367 .

50 - ar : A.E.F. : 1833 - 1836 - Vol 2 , 2ème Direction Politique
الرسالة الأصلية باللغة العربية .

51 - ابن زيدان : الاتحاف ج 5 ص 152 و 153.

عمليا فإنه كان مادة نظرية يتلقاها المتدربون من البحريين ، و كان أصحاب هذا العلم يلقبون أيضا بالرؤساء مثل زملائهم السابقين ، إلا أنهم لم يكونوا في الرباط كثيرين ، ويظهر أنهم قلوا جدا خلال القرن الماضي ، ومن بينهم شخصية واحدة أوردتها المراسلات السلطانية ، وهي شخصية :

2.5 - الرئيس أحمد عاشور :

وعائلة عاشور أندلسية عرفت بالجهاد البحري في عهد السلطان محمد بن عبد الله حسبما ورد عند الضعيف ، وربما اضطلعت بالجهاد قبل عهد هذا السلطان . وعلى كل حال كان هناك رئيس يدعى عاشور وقد تكلف سنة 1785/1200 بمهمة لدى إحدى الدول الأوربية صحبة رئيس آخر هو لبريس [52] .

أما الرئيس أحمد عاشور المعاصر للسلطان عبد الرحمان بن هشام فكان لا يقود السفن أو يدرب البحرية كغيره ، وإنما كان يلقنهم علم البحر بطريقة شفوية ، وقد أرسل السلطان إلى قائده بوسلهام بن علي في 5 جمادى الأولى 1257 متحدثا عن الرئيس : «... وبعد ، وصلنا كتابك مخبرا بأن أهل الرباط عينوا الرايس عاشور للسفر مع من تعين من أهل العدوتين ليتعلم أمور الجهاد صحبة الأسكونة التي أمرنا بسفرها ، فتمارض لأن العلم الذي عنده إنما هو بالقول دون الفعل ، ولم يتقدم له سفر في البحر ، فأخروه ووجهوا الحاج أحمد والحاج [53] .

وهكذا نجد أن الرباط ظلت موطنا لأشهر رؤساء البحر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، مثلما كان الأمر في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وإذا كان عهد السلطان مولاي سليمان قد أحدث قطيعة بين البحر ورؤسائه في كل البلاد فإن هؤلاء الرؤساء لم ينقرضوا لأنهم استأنفوا عملهم كما رأينا في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان . ويمكن انطلاقا من واقع الأحداث تقسيم هذا الإسئناف الجهادي إلى مرحلتين ، الأولى انتهت كما رأينا سنة 1829 عند قنبلة العرائش ،وهي

---

52 - محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة : ص 196 .

53 - محفظة رقم 7 الموانئ والملاحة . ظهير جمادى الأولى 1257 .

استمرار للجهاد التقليدي . أما المرحلة الثانية فهي تمتد من سنة 1829 إلى حدود سنتي 1845 أو 46 وبينت الوثائق أنها كانت خاصة بمحاربة السفن الأوربية القائمة بالتهريب في السواحل المغربية . ولم يثبت أن جرت في هذه الفترة عملية قرصانية في مياه بعيدة كما كان يحدث في السابق . وعلى كل حال ساهمت المرحلة الأخيرة في تمديد الجهاد إلى حدود منتصف القرن وأبرزت دور آخر رؤساء البحر المغاربة وقد نال رؤساء الرباط وسلا مكانة مرموقة بين زملائهم 54 .

وكانت هيئة رؤساء البحر فئة مخصوصة بعناية السلطان ، إذ كان يمنحهم الهبات والتنافيذ المالية زيادة على أجورهم ، ومن الأمثلة على ذلك أمر السلطان بأن ينفذ أحد قواده هبات لعبد الرحمان بريطل والبحرية ، كما يلي : «... وعند العزم على السفر ادفع القدائد للأحد والعشرين الذين به ، وعشرة ريال لكل واحد ، والزيادة لأصحاب المراتب . فللرئيس خمسين مثقالا ولباش رايس عشرين مثقالا ، ولكل واحد من اليكانجي وباش طبجي ورايس عسة عشرة مثاقيل 55.

وكانت السلطات المسؤولة في الرباط لا تستطيع أن تحسم في الحوادث التي تخص أمر السفن الأجنبية التي تأتي إلى الميناء ، والتي كانت من اختصاص هيأة رؤساء البحر العارفين بالقوانين البحرية المنظمة للعلاقات بين المغرب وأوربا في المجال البحري . ففي سنة 1853/1270 أتت إلى الرباط سفينة فرنسية تقل على متنها القنصل الفرنسي بوميي Beaumier . ولم تستطع السفينة أن ترسو بالميناء بسبب هيجان البحر وعدم وصول القارب إليها ، فلم تجد سبيلا إلا أن تتوجه إلى الدار البيضاء . وعند وصولها إلى المرسى أطلقت طلقات مدفعية إعلانا بوصولها ، لكن ميناء الدار البيضاء لم يستقبلها بطلقات مماثلة كما هي العادة ، وبعد يومين رجعت السفينة إلى ميناء الرباط ، وطلب القنصل بعد نزوله إلى البر أن يأمر القائد السويسي بأن تطلق المدافع العدد نفسه من الطلقات التي صدرت من السفينة الفرنسية بالدار

---

54 - هناك وثائق خاصة برؤساء البحر السلاويين أيضا في نفس الفترة مثل عبد العزيز عواد ، ومانطة السلاوي وغيرهما . المحفظة نفسها - رسالة 21 جمادى الأولى 1257.

55 - المحفظة نفسها . رسالة 21 جمادى الأولى .

البيضاء. فلم يستطع السويسي أن يتخذ قرارا لوحده ، فاستدعى رؤساء البحر الموجودين واستشارهم ، فلم يجدوا ضيرا في ذلك ، وحينئذ أمر بإطلاق المدافع 56 . وهكذا نجد بأن هيأة رؤساء البحر أضفت على نشاط المدينة طابعا خاصا ، وهو أمر اقتصر على بعض الثغور فقط ، وأنها اضطلعت بدورها في أحداث المدينة بصفة عامة . وكانت بيعات السلاطين تتضمن أسماء رؤساء البحر كأعيان مرموقين في مدينتهم . لكن دورهم انتهى بعد منتصف القرن التاسع عشر ، وبصفة نهائية في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان . فيذكر مييج أن البند الخامس من معاهدة منار أشقار أي ما كان يدعى «كاب سبارطيل» سنة 1864 أشار إلى أنه لم يعد في المغرب بحرية وأسطول 57 فلم يعد لهؤلاء الرؤساء ذكر وأصبح الباقون منهم عاجزين متقاعدين 58 .

وتحول بعض رؤساء البحر إلى رؤساء للمرسى فقط . ورئيس المرسى موظف مشرف على الميناء ، فبعد أن اعتزل عبد الرحمان بريطل قيادة السفن والعمليات البحرية أصبح رئيسا لمرسى الرباط . وكانت وظيفة رئيس المرسى أو البلوط كما تصفه الوثائق تشمل الإشراف على شؤون البحارة والسفن في الميناء ، فهو الذي يسمح بدخول السفن وخروجها منه ، وينظم نوبات المراكب لإفراغ السفن ، ويحدد عدد البحرية في السفينة ، وكان تعيينه بظهير ، ويساعده خليفته الذي يعين بظهير أيضا ، ويختار مساعدا له يسمى كراكزي ، وكاتبا ، وعادة ما يصبح الخليفة رئيسا للمرسى 59 .

كان هذا الموظف من أهم شخصيات المدينة . فكان المتحكم في خدمات الميناء مثل إرسال المراكب لحمل المسافرين والبضائع من السفن التي ترسو عادة بعيدة عن الشاطئ بسبب الحاجز . وكان يسهل أو يعرقل خدمات السفن بأن يأمر بإغاثة السفن المعرضة لخطر البحر

---

56 - محفظة 10 : عنوانها : الأجانب والحمايات القنصلية والسفارات ج 1. رسالة 8 جمادى الأولى 1270 ، انظرها في الملحق وثيقة رقم 6.

57 - J.L. Miège, la marine Marocaine... p. 54

58 - Ar. A.E.F. Lettre de Beaumier : le 1/8/1862 : corres. com, RT de 1846 - 1872

59 - L. Brunot la mer ... p. 319

أو أن يعـــرض عن ذلك . وانـطلاقـــا مـن هذا فــقـــد لعب دورا بـارزا في العلاقات الملاحية والتجارية بين الرباط والخارج .

وفي كثير من الأحيان كان سلوك رئيس المرسى يثير احتجاج الأوساط القنصلية في الرباط . ففي شهر ربيع الأول 1851/1267 أثار سلوك رئيس المرسى عبد الرحمان بريطل احتجاج القنصل الإنجليزي بسبب تأخير ترخيصه بخروج السفينة الإنجليزية الراسية في الميناء ، فأرسل القنصل كتابا إلى عامل السلطان على العرائش بوسلهام بن علي في 29 يناير 1851 يحمل بريطل مسؤولية ما تعرض له المركب الذي كان في حالة سيئة أدت إلى تكسيره عندما أقل على متنه بعض الرعايا الإنجليز ومما قاله : «إن رئيس المرسى أخره عن نوبته في الخروج ، وقدم مركبا لجنس الفرنصيص ، والتزم له بغرمه إن وقع فيه شيء بمحضر الأمناء» 60.

ولما علم السلطان بالخبر أبلغ بوسلهام بن علي بما يلي : «فاعلم أن الأمناء أخبروا بذلك سابقا ، وذكروا أن رئيس المرسى فعل جهده ومقدوره ، فغلبه البحر من غير تقصير ولا تفريط» 61 .

وقد وقع في النصف الثاني من القرن توتر كبير للعلاقات بين رؤساء مرسى الرباط والهيأة القنصلية الموجودة بالمدينة بسبب المواقف التي أراد الأجانب من وصفها التأكيد على «كره المغاربة للأجانب» والتي كان يبديها المشرفون على المرسى إزاء أصحاب السفن الأوربية الآتية إلى الميناء أو المغادرة له ، على حد قول بعض الكتاب من هؤلاء الأجانب . ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه الأحكام من نظرة مغرضة .

ويمكن القول إن رئيس المرسى كان عند منتصف القرن إطارا انتقل إليه رئيس البحر بعد انتهاء العمليات البحرية . لكنه بعد ذلك أصبح وظيفة دخلها من لم يكن له أي المام بأمور البحر 62 .

---

60 - محفظة رقم 7. رسالة 26 ربيع الأول : 1267.
61 - المحفظة نفسها . رسالة 26 ربيع الأول : 1267.
62 - J. Caillé, la ville de Rabat ... p. 360

الفصل الخامس
أعيان جدد رؤساء الأودايا

أشرنا من قبل بصفة عابرة إلى أن السلطان المولى عبد الرحمان قام بنقل فرقة من گيش الأودايا إلى الرباط، ولكن ما يهمنا هنا هو أن نتعرف على رؤسائهم الذين سمتهم الوثائق بأعيان الأودايا . فلقد أضحى بعض هؤلاء من ضمن تشكيلة أعيان الرباط، فسكنوا في القصبة التي سميت باسمهم، فكيف حلوا بالرباط ؟

1 - أسباب نقل الأودايا إلى الرباط

كان الأودايا عنصرا مهما في «الگيش» وكانوا ثلاث أرحاء، رحى المغافرة، ورحى أهل سوس إضافة إلى الرحى التي سميت باسمهم أي الأودايا . وكانت تربطهم بالعائلة السلطانية أواصر المصاهرة، فأم المولى إسماعيل من المغافرة، وكان رؤساؤهم وأعيانهم يتلقون الهبات والهدايا من السلطان، وعاشوا في القصور وحققوا من الغنى ما جعلهم يحسون بشعور القوة والتفوق، وظهرت عجرفتهم، وأصبحوا بفاس وكأنهم السكان الحقيقيون أكثر من الفاسيين أنفسهم، وتدخلوا في الصراعات على الحكم [1] .

وفي سنة 1822 ساهم الأودايا في بيعة مولاي عبد الرحمان، لكن عداوة نشبت بينهم وبين السلطان بسبب إلقائه القبض على أحد قوادهم سنة 1831 [2] . ولما أراد مغادرة فاس إلى مكناس حاولوا منعه واستولوا على متاعه بل وعلى حريمه، وبايعوا مكانه محمد بن الطيب، أحد أحفاد السلطان محمد بن عبد الله، فعاد السلطان بقوات جمعها من مكناس، وحاصر فاس إلى أن طلبوا الأمان . وظهر أن الأمور عادت إلى نصابها، فعين السلطان إدريس الجراري قائدا جديدا على كل الجيش [3] . وقد تحدث الناصري عما وقع بعد ذلك فقال عن هذا السلطان : [4] «نقل رحى الأودايا إلى العرائش وأحوازها، ثم ردهم إلى جبل سلفات، ثم بعد ذلك بمدة يسيرة نقل رحى أهل سوس إلى رباط الفتح، فأنزل حلتهم بالمنصورية على شاطئ وادي النفيفيخ، وقوادهم ووجوههم بقصبة

1 - J. Caillé : La ville de Rabat jusqu'au Protectorat ..., p. 332

2 - أيضا . ص 333.

3 - كذلك . ص 333.

4 - الناصري، الإستقصا - ج 9 . ص 40.

رباط الفتح ثم رد الحلة بعد مضي ست سنين إلى قصبة تمارة قرب رباط الفتح» .

وهكذا انتقل قواد الأودايا إلى القصبة سنة 1833، وسكنتها بعض العائلات الممثلة لكل أقسام أهل سوس المسمين بالدرابكة 5 وقد ارتفع عدد العائلات التي قطنت قصبة الرباط شيئا فشيئا . والغالب على الظن أن نصف أهل سوس من الأوداية أتوا للسكنى فيها بعد بضع سنين ، وكان يرجح أن القصبة كانت فارغة أو شبه فارغة ، وربما لم تكن مسكونة سوى ببعض الطبجية المكلفين بحمايتها وبعض البحارة 6 .

وربما كانت فكرة حماية مدينة الرباط وضاحيتها من هجومات قبيلة زعير من عوامل تهجير الأودايا إلي هاته المدينة . وقد تناسى السلطان هذا الجيش وألغى أسماء أفراده من لائحة العسكر ، ولكن الأودايا ظهر دورهم بعد ذلك عندما التجأ إليهم السلطان في معركة إيسلي ، وتألق بعض قوادهم ، سواء في عهده أو في عهد خلفائه من سلاطين القرن التاسع عشر .

وإن بعض الوثائق تبين أن الخريطة السكانية للبلاد كانت لاتزال تتغير خلال القرن التاسع عشر بسبب حركات القبائل واستقرارها في أماكن بعيدة عن مواطنها الأصلية . وهكذا أصبحت الأوداية قبيلة تنتشر بين تمارة والصخيرات وغدت تجاور قبيلة الحوزية وعرب الرباط الذين انتقل عدد منهم إلى حوز فاس ، وقد كتب محمد بن عبد الرحمان عند ما كان أميرا إلى أبيه يستشيره في نقل هؤلاء إلى المدينة أو تركهم بحوز فاس . ولا بأس من إيراد مقتطف من هذه الرسالة لفائدتها قال فيه :

«... يكون في شريف علمه أن معنا هنا في حوز فاس من أعراب رباط الفتح مائة وخمسين خيام ، وكنا عزمنا على نقلهم لإخوانهم وجعلهم ليحموا طريق الرباط ، ثم قيل لنا إنهم نازلين هنا منذ ثلاثة سنين . فهل سيدنا ، نبقيهم هنا ، أو نوجههم لإخوانهم لإعانتهم لاحتياجهم لمن يعمر معهم» ... 7 .

---

5 - J. Caillé : La ville ... p 334.

6 - أيضا .

7 - رسالة 8 جمادى 2 عام 1255 محفظة رقم 14 خ . م .

وتبين المصـادر أن سكان الأودايا لم يكونوا تابعين لعـامل المدينة وإنما بقوا محتفظين بنظامهم القيادي نفسه . فكانوا تابعين لقائد منهم، ولكن ذلك لم يكن يمنع من توسط عـامل الرباط في بعض القضـايا التي يكون أفراد الأوديا أطرافا فيها ، وخاصة إذا كانوا قاطنين داخل المدينة . ومن الأمثلة على ذلك ما أوردته رسالة وجهها السلطان إلى قائده ابن علي سنة 1260 قال فيها : «وبعد فبوصول كتابنا هذا إليك سرح ابن الشرقي والجيلاني بن العربي من الأوداية سكان الرباط ، فقد تشفع لنا فيهما عاملهما فشفعناه فيهما فسرحهما ووجههما له » 8 .

وهكذا نرى أن مرجع أمور الأودايا كانت بيد العامل أحيانا ، ولكن قائد الأودايا استقل بأمور قبيلته في النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

2 - أعيان الأودايا :

صار قائد الأودايا كما قلنا منضافا إلى أعيان الرباط وأصبحت عائلات قوادهم تتأصل في المدينة شيئا فشيئا . ومن هذه العائلات من توارث أبناؤها الجاه والسلطة عدة عقود ، وخاصة عائلة الجراريين ، وغدت سلطة القائد تتزايد وخاصة في النصف الثاني من القرن كما سنرى .

ومما يلاحظ أن سلطته كانت مستقلة لا دخل لعامل البلد في مامورياته . ومما يدل على ذلك حادثة وقعت لنائب القنصل الفرنسي بالرباط كومب Edmond Combes الذي كان يتجول قرب حصن الأودايا بجوار البحر ، فإذا بصخور ضخمة تنهال من فوق كادت تصيبه ، فقدم شكوى إلى عبد اللطيف فرج قائد المدينة سنة 1847 ، فأجابه بأن سلطته لا تسمح له بتتبع القضية والبحث عن الجناة ، لأن الحادثة وقعت في منطقة تحت مسؤولية قائد الأودايا . وفعلا لما التجأ نائب القنصل إلى القائد قام بالإجراءات اللازمة ، وألقى القبض على عدد من الرجال والنساء والأطفال اشتبه في أمرهم ، وكانت منازلهم قريبة من مكان

8 - رسالة 12 صفر 1260 . محفظة الأمن الداخلي والخارجي . خ.م .

الحادث 9 .

ويمكن أن نعرف بأبرز أعيان الأودايا ساكني القصبة حسب النصوص وهم :

1.2 - القائد إدريس الجراري :

اسمه إدريس بن حمان بن العربي الأوديي الجراري ، وكان السلطان المولى عبد الرحمان قد عينه في بداية عهده قائدا على وجدة ، ووصف هذا الرجل : «بجودة الرأي وإدارة الأمور على وجهها وإجراءها على مقتضى صوابها ، ومحبة السلطان ونصحه» 10 .

وقد قال عنه المؤرخ آكنسوس بأنه «كان محل نظر السلطان ، وعيبة أسراره ، فأنجاه الله تعالى ، وأبقى السلطان عليه ، ورفع له منار العز في قومه ، وسدل ذلك الرواق على أولاده» 11

وكان قد توسط لأهل تلمسان في شأن بيعتهم السلطان 12 الذي عينه ليكون واسطة بينه وبينهم بعد رجوع وفدهم الذي قدم البيعة ، ولما وقعت فتنة الأودايا ، وكان السلطان مضطرا إلى الابتعاد عن فاس قام القائد إدريس برعاية العائلة السلطانية التي كانت بفاس الجديد ، وأعطى أمره لأمين الصائر بدفع المؤونة اللازمة لدار السلطان ، وعمل على حمل الماء إليها بعد انقطاعه عنها ، وأصلح القنوات حتى رجع الماء إلى مجراه 13 .

وقد ولاه السلطان على كل جيش الأودايا ، معترفا له بالجميل ، وكان يناديه بخاله ، مما يبين القرابة العائليه التي جمعت بينهما . وقد استوطن القائد إدريس قصبة الأودايا ، وأشرف على جيش الأودايا المنتقل إلى الرباط وناحيته ، وبقي كذلك إلى أن توفي سنة 1840 ودفن

---

9 - ar : A.E.F. corres . com. rapport du 19 mars 1847
10 - الناصري : المرجع نفسه . ص 15.
11 - نقله محمد بن علي دينية في مجالس الانبساط . ص 218.
12 - الناصري : مرجع سابق . ج 9 . ص 15.
13 - كذلك . ص 36.

بالزاوية القادرية بالرباط [14] .

2.2 - محمد بن إدريس الجراري :

تولى قيادة الأودايا بعد أبيه ، ولما حل نائب القنصل الفرنسي بالرباط جول دوزان Jules Doazan تحدث عن استقباله من طرف محمد الجراري في القصبة ، فقال عنه : «هو شاب أصبح يرأس منصب قائد الأودايا منذ سنة 1848 ، وهو لا يقبل أن يستقبلني مباشرة عندما أطلب منه ذلك ، وما ذلك إلا ليأخذ الوقت الكافي ليهيئ هذا الإستقبال» [15] .

ووصف نائب القنصل الطابع الأوربي الذي اتخذته مأدبة الغذاء في دار القائد الجراري حيث أعدت الطاولة على الطريقة الأوربية ، ووضعت عليها الملاعق والسكاكين وشوكات الأكل ، وقد حضر هذه المأدبة أعيان الرباط ، وجرت فيها الأحاديث والأسئلة حول فرنسا .

وزاد القنصل في وصف كرم القائد الذي طلب من خليفته وبعض الجنود مرافقة دوزان إلى منزله ، وبعد ذلك حمل إليه ثلاثة من الأودايا 20 دجاجة و 300 من البيض ، وأعطى أوامره كي يصطادوا له خنزيرين [16].

ويبين وصف نائب القنصل أن الأودايا كانوا ربما من أوائل الأعيان الذين تأثروا بالعادات الأوربية .

وقد وصف محمد بن علي دينية القائد محمد الجراري بأنه كان من الفضلاء والوجهاء والأعيان [17].

كان الجراري رجلا شهما وقائدا حازما . ولأجل ذلك ولي عمالة الدار البيضاء سنة 1850/1267 ، ومكث فيها إلى سنة 1875/1293 ، وفيها عينه السلطان مولاي الحسن على عمالة الجديدة ، وبقي هناك حتى وافته المنية بها يوم 29 جمادى الأولى 1307 /21 يناير 1890 . وقد خلف مراسلات تعلن عن مواقفه الطيبة واستقامته وتفتحه على العالم . وحلاه

---

14 - دينية : مجالس الانبساط . ص 218 ، وأيضا Gouvion M. et E. : Ayan al Maghrib al Aksa. Alger 1938 , p. 1453

15 - ar : A.E.F. corres. com. Rabat 1848-1872. Lettre dx 13/12/1849

16 - الوثيقة نفسها .

17 - محمد دينية : مجالس الانبساط ص 218.

الناصري بأنه كان من أمثل عمال السلطان [18] .

وكانت حياة أعيان الأودايا مقسمة بين الحياة في القصبة في دور جميلة و أنيقة كما لاحظ القنصل دوزان وبين حياة البادية عندما كانوا يستقرون في أراضي الأودايا للإشراف على أمور قبيلتهم ، سواء في أشغالها الفلاحية أو في علاقاتها مع جيرانها من الأعراب والزيايدةوغيرهم ، وكان قائد الأودايا يحسم في المنازعات التي تقوم بينهم وبين زعير على الخصوص ، ولكن أهم مأمورية كان يضطلع بها هي حشد الجيش من أجل تنظيم حركة من الحركات ، وهكذا كان أعيان الأودايا يعيشون من جهة أولى نمط حياة التحضر والرفاهية والاقتباس من الحضارة الأوربية ، ومن جهة ثانية حياة الكر والفر والبداوة المعتمدة على فلاحة الأرض في الأملاك التي أقطعها إياهم السلطان . وسنرى أن نشر الأمن في طريق الرباط أخذ أكبر أوقات قواد الأودايا في النصف الثاني من القرن .

18 - مصطفى بوشعراء : الإستيطان والحماية ج 2 ص 804 ، 820 و ج 3 ص 971 - 973
وكذلك أحمد الناصري : الإستقصا ج 9 ص 150 ، والوثائق الملكية .

الفصل السادس
تجار الرباط الكبار أعيان متصاعدون

1 - انبعاث التجار :

منذ بداية عهد المولى عبد الرحمان أصبح ميناء الرباط من أول المراسي المستقبلة للتجارة الخارجية ، وذكرنا أن مييج أشار إلى أن المدينة بقيت إلى حدود سنة 1844 من أنشط الموانئ المغربية علاقة مع أوربا . وكان هذا الانفتاح داعيا إلى تكوين نخبة من كبار التجار الرباطيين الذين لعبوا دورا مهما ضمن تشكيلة التجار المغاربة الذين قادوا في الحقيقة عملية الانفتاح على الخارج بعد مدة من الركود ، في عهد سلف المولى عبد الرحمان ، وأخذ هؤلاء التجار يسافرون إلى الخارج ، ويعقدون الصفقات مع الدور التجارية الأوربية بعد فترة تحريم سفر المغاربة إلى الخارج إلا بإذن خاص .

كانت ظروف الانفتاح قد أملت على السلطان أن يساعد عددا من التجار المغاربة برؤوس الأموال ، وأن يمنحهم الإذن للقيام بالتصدير والإستيراد . وفي الواقع كانت هذه الفئة من الناس التي سميت بتجار السلطان موجودة منذ عهد السلطان محمد بن عبد الله . وفي زمن المولى عبد الرحمان تكونت من مسلمين ويهود تاجروا في تلمسان وتمبوكتو ومصر ، وكان نجاح العمليات التجارية يجعل التاجر يشرك أعضاء من عائلته سواء إخوته أو أبناءه ، فيستقرون في هذه المدن .

وفي كثير من الأحيان يعين مثل هؤلاء التجار أمراء الحج ، وقد يتكلفون بمصاحبة الأمراء وأعضاء من العائلة السلطانية ، وبرعايتهم . فإذا نالوا ثقة السلطان فهو يمنحهم المال لاستثماره في التجارة ، وقد قام هؤلاء التجار بتصدير الحبوب والماشية إلى جبل طارق حيث كان يقيم وكيل المغاربة وهو شبه قنصل مغربي يرعى مصالح التجار هناك. وكان تاجر السلطان يستفيد من احتكارات المخزن ومن القروض ، ويوسع عليه في دفع ما عليه من الديون كما ستأتي به الأمثلة ، وكان السلطان يحدد نسبة الأرباح بـ 20 % على العموم ، وفي حالة نجاح تاجر السلطان يصبح من ذوي الأموال ، وقد يلتجئ إليه المخزن ليقرض بيت المال[1].

---

1 - Laroui, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain p. 106

ومن أبرز هؤلاء التجار الرباطيين الكبار ، بوعبيد الحصيني الرباطي ، والمكي بريطل [2] الذي كان له في جبل طارق وكيله وأحد أفراد عائلته وهو الهاشمي بريطل يرسل إليه ويستقبل منه السلع [3].

وكان هؤلاء التجار يستغلون أوقات الأزمات لتحقيق الثروات ، ففي سنة 1851 عندما كانت البلاد تعيش مجاعة أرسل الهاشمي بريطل إلى شريكه المكي بريطل 1178 فانيكة من القمح في 7 مارس 1851، ويمكن التكهن بالربح إذا عرفنا ما بلغته الأثمان من ارتفاع ، نتيجة ندرة الحبوب .

وكان للمكي بريطل شريك آخر هو أحمد بريطل ، وقد كلفه بأن يحمل له عبر سفينة كورو - روز Couraud-Rose ستة أكياس تضم 6000 قطعة من قطع خمس فرنكات إلى جبل طارق [4].

ومن هولاء التجار أيضا محمد بن عبد الرحمان برگاش الذي قضى شبابه بجبل طارق ولندن مشتغلا بالتجارة [5] ، والحاج بناصر مرسيل [6] الذي سافر إلى جنوة منذ سنة 1829 ، وكان من رؤساء البحر كما أسلفنا الذكر [7] ومن اليهود الرباطيين أيضا من ذكرناهم سابقا مثل سلمون بن زكري ومسعود العسري وآخرون [8] من الذين حققوا ثروات طائلة .

على أن أهم مثال لهؤلاء التجار هو

2 - التاجر مصطفى الدكالي الرباطي

لا يعرف متى أتت عائلة الدكالي للاستقرار في الرباط . وعلى كل حال وجدت هذه الأسرة بالمدينة منذ ما قبل القرن التاسع عشر ،

---

2 - J.L. Miège : le Maroc et l'Europe .T III p. 28

3 - Ar. A.E.F. corres. com. Tanger 1848-1851 : rapport sur le piage d'un bâtiment Français à Salé.

4 - سفينة كورو روز تعرضت للنهب عندما رست بميناء سلا سنة 1851 مما تسبب في قنبلة هذه الأخيرة بالمدفعية البحرية الفرنسية في نفس السنة .

5 - J.L. Miège : Le Maroc et l'Europe, T III. p. 28

6 - Henri de Lamartinière : Souvenirs du Maroc .p. 29

7 - ابن زيدان : الإتحاف . ج 5. ص 152-153.

8 - Ar : A.E.F. Corres, com. Tanger 1848-1851, rapport sur le piage d'un bâtiment Français à Salé

وتأصلت فيها على مر الزمن ، وقد تميز مصطفى بالدكالي الرباطي كما ورد في الوثائق .

قام هذا الشخص باستثمار رؤوس أمواله مع شريكه الفاسي المكي القباج ، وأصبح شخصية مرموقة ليس في الرباط فقط بل في كل البلاد . وقد منحه المولى عبد الرحمان عدة تسهيلات وقروض وكنطردات ، فحقق ثروة كبيرة واكتسب جاها ورثه من بعده أبناؤه وأفراد عائلته .

ومن الامتيازات التي حظي بها سنة 1844/1260 الإذن بتصدير مادة الدبغ . وقد أرسل السلطان بشأنه رسالة إلى عامله بالعرائش بوسلهام ابن علي أزطوط قائلا : «فقد ذكر خديمنا الطالب مصطفى بن الجيلاني الرباطي أنه له وسق مركب من الدبغ بالعرائش ، وأراد الآن وسقه ، فقد أذنا له في ذلك» 9 .

ولم يكن تسريح مادة الدبغ التي كانت ممنوعة ، الامتياز الوحيد الذي خص هذا التاجر ، بل زاد السلطان قائلا : «وأخرنا عنه الصاكة حتى يؤديها على سعة إن شاء الله» 10 ويعني بذلك أداء حق التصدير .

وكان مصطفى قد تمكن من شراء حق المتاجرة في بعض المواد وهو ما كان يعرف «بالكنطردة» وقد سمح السلطان له ولشريكه القباج بالوقوف ضد كل من حاول المتاجرة الخفية في مادة العلق أي لتهريبها، فأخبر عامله بما يلي : «إننا بسطنا لهما اليد في البحث عمن يسعى في إفساد كنطردة العلق ، ويبيعه على وجه الكنطربند ، فعلى الواقف عليه 11 من عمالنا وولاة أمرنا أن يشد عضدهما في ذلك ...» 12

ونظرا للحظوة التي نالها مصطفى الدكالي لدى السلطان فقد أذن له بالتجارة في جميع الموانئ المغربية المفتوحة للتجارة ، فأصدر السلطان ظهيرا في ذلك ، ومما جاء فيه : « ... أننا أذنا له في التجارة بجميع مراسينا السعيدة ، والوسق والوضع في جميعها . فنأمر الأمناء وولاة الأمر بها أن يشدوا عضده في ذلك ، ويعاملوه معاملة خواص

---

9 - محفظة رقم 9 - ج 5. رسالة 7 شوال 1260 خ.م.
10 - أيضا.
11 - أي على الظهير.
12 - المحفظة نفسها. : ج 9 . ظهير شوال 1263 - خ . م.

التجـار ... وما يلزمـه من الصاكة والأعشار أبقيناه في ذمتـه ، ووسعنا عليه فيه سنتين اثنتين» 13 .

ونظرا لاحتياج السلطان إلى التجار أمثال مصطفى الدكالي فقد كان هؤلاء يتقاعسون عن أداء الديون في وقتها . وقد بدر منهم بعض التطاول والتدخل في شؤون المخزن ، ولم يجد السلطان إلا أن يداري مثل هؤلاء الأعيان ، فوجه إلى عامله بوسلهام بن علي رسالة يوضح فيها نوع المعاملة الواجب سلوكها معهم وقائلا : «كما علمت ما شرحت من حالهما (أي مصطفى الدكالي والمكي القباج) وكثرة ما بذمتهما لبيت المال عمره الله مع خوضهما فيما لا يعني ، فهذان الرجلان اللذان أبرزهما الوقت ، واقتضى أن نسايرهما بما يليق بحالهما مما يعود بالنفع على بيت المال كغيرهما من التجار ...» 14

وبما أن المعاملات التجارية لمصطفى الدكالي قد توجت بالنجاح وأظهر كفاءة في استثمار رؤوس الأموال الذي كان من شأنه إدخال الأرباح على بيت المال فقد كان السلطان يبتهج لذلك . وهكذا منحه مزيدا من إمكانات الإستثمار في مجالات أخرى كالإستغلال المعدني ، فقد أذن السلطان للدكالي وشريكه باستغلال معدن القصدير الذي كان يوجد بالفنيدق وأعطاهما رخصة خدمة المعدن لمدة عشرة أعوام 15 .وزيادة على ذلك كان بإمكان التاجروشريكه وسق هذا المعدن إلى بعض موانئ المغرب الشمالية قصد تصديره إلى أوربا .

وقد وجد الشريكان أن نقل المعدن إلى مينائي طنجة وتطوان يستوجب مصاريف كثيرة ، فاشتكيا إلى السلطان ، ولقي طلبهما استجابة مباشرة ، إذ أذن لهما أن يسقاه من ميناء الفنيدق كما كان يرغبان 16 .

وقد عبر السلطان عن مكانة التاجر مصطفى الدكالي عنده عندما

---

13 - المحفظة نفسها. ظهير 14 شوال 1263 ج 9 - خ.م.
14 - المحفظة نفسها.ظهير 13 ربيع 2 سنة 1267 ج 11 : خ.م.
15 - محفظة الشؤون الإقتصادية والمالية رقمها 8 : ظهير 2 ربيع الأول 1264 : خ . م .
16 - المحفظة نفسها.ظهير 21 محرم 1265.

أرسل إلى قاضي سلا - محمد بن حسون عواد ظهيرا قال فيه : «وبعد فغير خاف عنك ما عليه السيد المكي القباج والسيد مصطفى بن الجيلاني الدكالي من المحبة لجانبنا والاتصال بنا . فالمطلوب منك أن تستوصي بجانبهما خيرا ، وتقف فيما يعرض لهما ، ولا تقصر في أمرهما بكل وجه أمكن ، فإنهما منا وإلينا ...» 17 .

كان مصطفى من المغاربة القلائل الذين سمح لهم بتصدير بعض المواد التي كانت محرمة والتي كان يقع فيها استفتاء العلماء مثل المواشي ، فقد منح هذا التاجر عدة مرات الإذن بتصدير الثيران إلى بعض بلدان أوربا ، وأيضا الإذن بتسويق مواد أخرى ، وربما تعدى التاجر أحيانا الكمية والحجم المسموح بتصديرهما أو استيرادهما . ففي سنة 1850/1267 خول الدكالي الإذن بوسق القشينية . فلما زاد عن القدر المسموح به أرسل السلطان إلى عامله بوسلهام بن علي يوبخ الأمناء الذين تساهلوا مع الشريكين ومما قاله : «وكيف يتركونهما يسقان أزيد مما هو معلوم من القشينية ولما صدر به أمرنا الشريف في الكنطردة ، فالمرسى ليس أمرهما ، والعمدة إنما هي على الأمناء دونهما ... » 18 .

وقد امتدت العمليات والصفقات المربحة لهؤلاء التجار الى ميدان سك النقود أيضا ، وكان مصطفى الدكالي وشريكه في مقدمة الذين اقترحوا على السلطان السماح لهم بسك نقود "الفلوس" وهي عملة نحاسية . ويظهر أن هذه النقود كانت تجمع بأمر المخزن وتذاب لتصنع منها عملة جديدة . وتعلمنا الوثائق أن التاجرين المذكورين كان بحوزتهما قدر كبير من هذه النقود التي لم يكن المخزن سنة 1267 يريد المزيد من ضربها . وقد قال السلطان لعامله في هذا الشأن : «فأما بيعها للمتطاولين لها فلا ، وأما حيازتها من جميع التجار فإن الذي بيده معظمها هو المكي القباج وشريكه مصطفى الدكالي ... وطلبا إبقاءها لهما . إن لم يؤذن لهما في خدمتها يخرجانها ويتصرفان فيها بما ظهر

17 - كناش ظهائر رحمانية رقمه 3208 : ظهير 22 ربيع الأول 1265 : خ.م.
18 - محفظة رقم 9 : ظهير 13 ربيع 2 - 1267 خ.م.

لهما من غير الخدمة» 19 وقد وردت بعض الإشارات التي دلت على أن الدكالي قام «بخدمة الفلوس» قبل ذلك .

وكانت كل العمليات التي تحتاج إلى خبرة التجار وإلى نباهة في المعاملات الإقتصادية سواء كانت تجارة أو صناعة أو استغلالا معدنيا يوكلها السلطان إلى مصطفى الدكالي وأمثاله القلائل في البلاد آنذاك .

وهكذا منح السلطان لتاجرنا وشريكه الإذن «بخدمة معادن أنجرة وواد راس» ، وكانت نوعين : النحاس والإثمد . وقد تخوف التاجران من ترامي تاجر آخر اسمه أحمد بوضربة الجزائري على معدن الإثمد المكتشف بواد راس بعد أن هيأ التاجران كل التجهيزات اللازمة للشروع في خدمته . ولما علم العاهل بذلك أرسل إلى عامل المنطقة الحاج عبد الرحمان أشعاش يأمره بأن يتصرف مع الجزائري بما يلي : «فلا تتركه يمد يده فيه ، فإنما أذنا له في خدمة معدن النحاس فقط الذي عين على يدك» 20.

وكان الامتياز الذي أعطي للدكالي وصديقه قد استغلاه بطرق لم يكن السلطان يوافقهما عليها ، فمثلا عندما منحهما حق استغلال معدن القصدير بالفنيدق عقدا شركة لاستغلاله مع تاجرين إنجليزيين ، وهذا ما أغضب العاهل ولكنه مع ذلك لم يتسرع ، ولم يعمل على فسخ الشركة، لأنه تخوف من أن يتسبب ذلك في ضياع المال 21 .

وكان المخزن في هذه العمليات الموكولة إلى التجار يحدد نسبة الأرباح ، فكان يأخذ الثلث من ريع استغلال معدن الفنيدق مثلا . ولما رأى السلطان من جهة أخرى أن شركة الدكالي والقباج مع الإنجليزيين لا ضرر فيها أصدر ظهيرا إلى عامله المذكور قائلا : «وأبحنا لهما ولمن شاركهما الخدمة فيه لمدة من عشرة أعوام تأتي من تاريخ الظهير الذي بأيديهما على ذلك ، وأذنا لهما في الشروع فيها على شرط ما التزماه من أداء الثلث منه لجانبنا العلي بالله ، وصاكة ما يوسق على حساب ثلاث أواق للقنطار» 22 .

---

19 - محفظة الجبايات والرسوم والمكوس رقمها 6 : ظهير 1 جمادى 2 : 1265 خ.م.
20 - محفظة الشؤون الإقتصادية والمالية رقم 8 : ظهير 28 قعدة 1263
21 - أيضا ظهير فاتح ربيع الأول 1264
22 - أيضا ظهير 2 ربيع الأول 1264

وقد نبه السلطان عامله إلى أن هذا الظهير يغير نص ظهير سابق قائلا : «فنامرك أن تمكنهما منه وتبيحه لهما وتشد عضدهما فيه ، فقد كنا أمضينا لهما ذلك لعشرين عاما بلا صاكة ، وعلى أداء الربع مما يخرج منه . والآن صدر أمرنا بهذا ، ولا ينبغي تكرار التنفيذ وحله» 23 .

فبعدما كان سمح للتاجرين بخدمة المعدن لمدة عشرين سنة حسب الظهير الأول تحولت المدة إلى عشر سنوات حسب الظهير الثاني . وبعدما كانت بلا صاكة أي لا تؤدى عنها الحقوق الجمركية عند التصدير أصبحت تدفع عنها . وبعدما كان عليهما أداء ربع مقدار ما يصدر أصبح عليهما تسديد الثلث . ويظهر أن السلطان عند الإجراء الثاني قرر ألا يكرر إلغاءه أو تغييره كما فعل في المرة الأولى .

وفي شأن هذا المعدن أصدر السلطان أمره لعامله بالعمل على منع أهل تطوان من استغلاله . ويظهر أنهم كانوا يستغلونه من قبل . وعلى كل حال كان هذا الإمتياز في صالح السلطان وبيت المال 24 .

ونظرا لعمل مصطفى الدكالي في أرض قبيلة أنجرة فقد عقد إتصالات مع أهلها ، وأصبح معروفا لديهم ، وتعامل معهم ، وربما اشترى أرضا حرثها هناك ، لأن وثيقة عنه تتحدث عن محصول من القمح كان له هناك 25 ، فقد ضمن الدكالي أحد أهل أنجرة ، ويظهر أن الشخص المضمون لم يستطع الوفاء بعهده أو تسديد دينه ، فاضطر العامل عشعاش إلى حيازة محصول الزرع الذي جعله التاجر الدكالي ضمانة . وقد انتهت القضية بإرسال السلطان خطابا توبيخيا إلى عشعاش يقول فيه : وتعديت عليه أنت في إدخاله فيما ليس من شأن أمثاله الدخول فيه ، وليس من شأن العمال أن يدخلوا التجارفي أمر القبائل والآن لا يضيع متاعه» 26 .

وأخذ مصطفى الدكالي يحتج ويطالب بإرجاع ثمن زرعه الذي حيز فيما كان ضمنه عن الرجل الأنجري .

---

23 - أيضا . الظهير نفسه .
24 - أيضا. ظهير 5 رمضان 1264.
25 - محفظة الأمن الداخلي والخارجي رقمها 4 خ.م. : ظهير 24 صفر 1265.
26 - لمصدر نفسه .

إن مثال هذا التاجر الرباطي يبرز دون شك بداية واضحة المعالم لتلك الفئة من التجار التي سنرى تزايدها في النصف الثاني من القرن ، سواء في الرباط أو في سائر البلاد ، والتي أطلق عليها المؤرخون الأوربيون «البرجوازية الصاعدة» التي كونت ثروات مهمة ونحن نتفق مع مييج في أن ثرواتها أصبحت صلبة متوارثة من الأب إلى الإبن ، وهذا ما خالفها عن التجار القدماء الذين كانت ثرواتهم هشة تتعرض للتلف ، وكان يعقب الأب الغني ابن فقير [27] والسبب هو حماية المصالح بالإشتراك مع الأوربيين . ولم تعد المخاطر كما كانت بسبب إيداع الأموال في البنوك الأوربية زيادة على الدخول في الحمايات . وهذا ما تقوى في النصف الثاني من القرن كما سنرى . لكننا نختلف مع مييج في إطلاق لفظة البورجوازية على هذه الفئة بسبب اختلاف كثير من الظروف بينها وبين الفئة التي أطلق عليها هذا الإسم في أوربا والتي كانت أوضاعها الداخلية هي التي أتت بالتطور ، بينما في المغرب أتى التطور من الخارج ، زيادة على أن عددها أكبر من الفئة التجارية المغربية المحدودة جدا . [28]

---

27 - J. L.Miège,Op, Cit. T III. p. 28

28 - المرجع نفسه . ص 33.

الفصل السابع

أعيان السلطة : سيطرة العائلات الرباطية في السلطة داخل المدينة

إذا تتبعنا تاريخ مدينتنا منذ القرن الثامن عشر على الأقل نجد أن بيوتات رباطية كبرى ظلت منذ بداية القرن المذكور وربما قبله متقلدة أغلبية مناصب السلطة بالرباط ، ونخص بالذكر منها خطط الحسبة والنظارة والقضاء . أما بالنسبة للقيادة فإن الأمر فيها يختلف . ويمكن القول إن عهد المولى عبد الرحمان يعتبر عهد تغيير فيما يخص تعيين قواد الرباط ، فبعد أن كان عهد مولاي سليمان ومن قبله من السلاطين قد شهد تعيين عمال تارة من الشاوية وتارة من مدن أخرى وتارة من الرباط نفسها أصبحت الولاية في عهد السلطان المذكور مقصورة على العائلات الرباطية بدون استثناء ، وبصفة مستمرة من بداية القرن التاسع عشر الى دخول الحماية ، بل وحتى خلال الحماية . ولنشرع في دراسة هذه العائلات الوجيهة التي أعطت أعيان السلطة مبتدئين بأسر العمال :

1 - العمال :

ليس المقصود طبعا دراسة وظيفتهم في إطار المخزن ، ولكن الهدف هو التعرف على أصولهم ومدى استمرار السلطة في العائلات التي ينحدرون منها ، ففي كثير من الأحيان نلاحظ بقاء النفوذ في مجموعة من الأسر القليلة ، التي كانت أحيانا تحل بعضها بعضا ممن طالت في السلطة . وقد يفسر ذلك الحظوة لدى المخزن مما جعلها تنتصر فيما يشبه الصراع حول مناصب الولاية .

وقبل التعرف على هذا الصنف من الأعيان الرباطيين الذين سادوا في الفترة المدروسة من الضروري الرجوع إلى الوراء للإطلاع على أصول العمال قبل عهد المولى عبد الرحمان ولنتعرف على مدى استمرارهم في السلطة أو مدى الانقطاع في تعاقبهم فيها . وينطبق هذا على كل أصحاب الوظائف الكبرى المذكورة من محتسبين ونظار وقضاة إلى جانب العمال :

1.1 - جدول عمال القرن الثامن عشر

اعتمادا على المؤرخ الضعيف أمكن إقامة جدول لهؤلاء العمال ابتداء من عهد السلطان المولى عبد الله 1743/1156 إلى عهد المولى سليمان سنة 1816/1231 .

العمال *	أصلهم	مدة الولاية من/إلى	منطقة الولاية
المكي بن الشادلي	أبو الجعد	1743/1156	الرباط 1
أحمد الولتيتي	؟	من 1752/1165 إلى 1755/1168	الرباط 2
[اللوشي	؟	قتلوا تباعا]	الرباط 3
[أحمد والزهرا	الرباط	بعد]	الرباط 4
[ابن جندار	"	تنصيبهم سنة]	"
[الحاج مورينو	"	1755/1168]	"
الرايس العربي المستيري	"	1773/1186.1755/1168	" 5
عبد الوهاب اشكلانط	"	1773/1186 إلى ؟	" 6
عبد الله الرحماني	الشاوية	1785/1199 حجة 1204 / غشت 1790	الرباط 7
المكي برگاش	الرباط	20 حجة 1204 /غشت 1790 رجب 1206 /فبراير 1792	الرباط 8
عبد الله برگاش	"	9 رجب 1206 /فبراير 1792 إلى قعدة 1209/ مايو 1795.	الرباط 9
محمد برگاش	"	كان قائدا سنة 1796/1210	الرباط 10
الحكماوي	مكناس	5 رمضان 1211 /4 مارس 1797 إلى 23 حجة 1211/ 18 يونيو 1797	" 11
ابن المكي برگاش	الرباط	شوال 1212 /مارس 1798 إلى 1804/1218	" 12
محمد السلاوي	الشمال	9 شوال 1218/ 22 يناير 1804 إلى ربيع I 1220 /يونيو 1805 .	بني حسن+ الرباط+سلا13
الغازي المزامزي الشاوي	الشاوية	ربيع 1 عام 1220/يونيو 1805 إلى؟	الرباط وسلا وعرب الويدان والشاوية 14
الحاج سليمان بن الجيلالي ابن القرشي السقيري	بني حسن	15 ربيع الأول 1226/10 أبريل 1811 الى قعدة 1226/دجنبر 1811	قبائل بني حسن وعرب الويدان + العدوتان 15
الحاج محمد السويسي	الرباط	2 قعدة 1226/دجنبر 1811 إلى 19 ربيع الأول 1229 11 مارس 1814	الرباط 16

* أنظر هوامش الجدول في الصفحة اللاحقة .

الحاج عبد الرحمان عشعاش	تطوان	من ربيع I 1229 / مارس 1814 إلى رمضان 1229 / غشت 1814	الرباط 17
العربي بن بلال	زعير	رمضان 1229 / غشت 1814 إلى ?	الرباط 18

عمال الرباط 19 من عهد السلطان مولاي عبد الله 1156 /1743 إلى عهد السلطان مولاي سليمان 1231 / 1815 - 16

نرى بوضوح من الجدول أن عمال القرن الثامن عشر وإضافة إلى انتماء بعضهم إلى الرباط كانوا ذوي أصول قبلية مثل الشاوية وبني حسن وزعير ، أو من مدن أخرى مثل تطوان .

ومن الملاحظ أن العامل كان يتولى شؤون المدينة وحدها تارة وشؤون إقليم شاسع من ضمنه مدينة الرباط تارة أخرى . فعبد الله الرحماني وهو صهر السلطان محمد بن عبد الله وقائد جيش العبيد

1 -محمد الضعيف: تاريخ الدولة السعيدة ، المرجع السابف . ص 148.
2 - أيضا . ص 156 و 157.
3 - أيضا. ص 156.
4 - أيضا . ص 156.
5 -أيضا . ص 164 و 176.
6 - أيضا . ص 176
7 - أيضا . ص 187.
8 - أيضا . ص219.
9 - أيضا . ص 242 .
10 - أيضا . ص263.
11 - أيضا . ص 281 .
12 - أيضا . ص 302 .
13 - أيضا. ص 329 و 337 .
14 - محمد الضعيف: تاريخ الدولة السعيدة. ص 337 .
15 -أيضا. ص 355 وكذلك مصطفى بوشعراء : علاقات المخزن بقبيلة بني حسن (1860-1912) ص 80 (كتاب قيد الطبع) .
16 -محمد الضعيف ، ص 368
17 -أيضا . ص 381.
18 -أيضا . ص 391 .
19 - لايخبر الضعيف متى انتهت ولاية الباشا العربي بن بلال .

كان متوليا على تامسنا والدار البيضاء إضافة إلى الرباط [20] وكان سليمان ابن القرشي السقيري قائدا على قبائل بني حسن وعرب الويدان زيادة على سلا والرباط ابتداء من 1226 / 1811 [21] .

ومما يذكر أيضا أن كلا من سلا والرباط قد يتفق لهما أن تدمجا في قيادة عامل واحد كما كان الأمر عندما تولى عليهما القائد محمد السلاوي (22) سنة 1804/1218 أو الغازي الشاوي 1805/1220 [23] أو سليمان بن القرشي سنة 1226 .

أما العائلات الرباطية التي تعاقب أفرادها على منصب العمالة ، فقد حظيت منها أسرة برگاش بالقسط الوافر ، إذ تولى منها أربعة عمال في مدة عشر سنوات 1204 و 1213 / 1790 و 1799) ، أما البيوتات الأخرى فلم يستمر أعضاؤها أمدا طويلا بسبب عدم الإستقرار الذي طبع ما قبل عهد السلطان محمد بن عبد الله . وفي عهد المولى سليمان برزت عائلة أصبح لها منذ سنة 1226 / 1811 شأن طوال القرن الماضي ألا وهي آل السويسي ، ولا تخبرنا المخطوطات ولا كتب التراجم عنها قبل هذه السنة ، فلا يمكن معرفة وقت وفودها على الرباط .

1 . 2 - العمال في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام

ماكاد هذا السلطان يبايع حتى عين على الرباط الحاج محمد السويسي ، وقد كان أبوه عاملا في عهد المولى سليمان كما سبق الذكر، وقد ازدادت أسرة السويسي وجاهة في العمالة وذلك ما نستخلصه من خلال جدول عمال العهد الرحماني .

---

20 -أيضا . ص 201.

21 -أيضا . ص 355 السقيري أو السكيري بالكاف المعقوفة .

22 -أيضا . ص 329 .

23 -أيضا . ص 337 .

العامل	سنة التولية	سنة العزل أو الوفاة	مدة الولاية
محمد بن محمد السويسي 24	قبل 1829/1244	1845/1261	أكثر من 15سنة
محمد بن الطاهر الزبدي 25	1845/1261	1845/1261	بضعة أشهر
عبد اللطيف فرج 26	1845/1261	1851/1267	6 سنوات
السرايري 27	1851/1267	1853/1269	أقل من سنتين
محمد السويسي 28	1853/1269	1855/1271	سنتان
عبد السلام السويسي 29	1855/1271	1885/1302	30 سنة

من خلال هذا الجدول نقف من جهة أولى على الصبغة الحضرية للعمال في عهد المولى عبد الرحمان، إذ وقع إقصاء نهائي للأطر البدوية التي كانت تتولى من قبل عمالة المدينة، ومن جهة ثانية لم تعد حتى المدن الأخرى التي كانت تساهم بأطرها في عمالة الرباط، تقوم بذلك خلال الفترة المدروسة، وقد قضى بعض هؤلاء العمال مدة قصيرة جدا في وظيفته مثل محمد بن الطاهر الزبدي ومثل السرايري، الأول لانتقام السلطان منه ونزعه عن العمالة التي لم يأخذها بصفة شرعية، وإنما اغتصبها كما سيأتي تفصيل ذلك في فصل لاحق، والثاني لضعفه وعدم قدرته على قيادة المدينة على حد قول قنصل فرنسا بطنجة ونائبه بالرباط الذي كان مع ذلك صديقا له 30.

---

24 - ابن زيدان. الإتحاف. ج 5. ص 135. محفظة 9. ج 1، خ.م، رسالة 19 جمادى 2 سنة 1247

25 -الناصري: الإستقصا ج 9 ص 55

26 - الحجوي: اختصار الإبتسام: مخطوط رقمه ح 114. ص 426 خ.ع. انظر الوثيقة 4 و 5 في الملحق.

27 - محمد بن علي دينية، مجالس الانبساط ص 210.

28 - محفظة 10 ج 1: خ.م. رسالة محمد السويسي إلى الصفار 8 جمادى I 1270 والمرجع السابق ص 210.

29 - محمد بن علي دينية: مجالس الانبساط. ص 210.

30 - Ar. A.E.F. Corres. Pol. Lettre de 8 Novembre 1852

أما محمد السويسي الذي تقلد الولاية سنة 1853 بعد عزل السرايري فالغالب على الإعتقاد أنه هو العامل نفسه الذي عين في بداية عهد السلطان ، ولم ينزع عن وظيفته إنما افتقدته هي بسبب وفاته بوباء الكوليرا التي ضربت الرباط والتي ذهب ضحيتها عشر سكان سلا والرباط على حد قول القنصل بوميي 31 .

وابتداء من محمد السويسي تعاقبت أسرته على عمالة المدينة بدون منازع إلى عهد المولى عبد الحفيظ ، وقبل تنصيب السويسي عاملا كان السلطان قد عينه قبل ذلك ناظرا على أحباس المدينة سنة 1823/1239 32 . وهذا يدل على أن وجاهة هذه الأسرة ازدادت خلال النصف الثاني من القرن .

وإذا كانت أسرة السويسي لم يرد لها ذكر إلا في بداية القرن التاسع عشر . فإن الأسر الأخرى وهي الزبدي وفرج والسرايري اشتهرت منذ بداية الدولة العلوية .

فأسرة الزبدي من الأسر الأندلسية المهاجرة في بداية القرن السابع عشر ، ولقد كان منها الحاج محمد الزبدي عضو الديوان الأندلسي في القصبة 33 وظهر منها الحاج إبراهيم الزبدي أحد فقهاء الرباط ومدرسيه المتخرجين عن الشيخ الكبير العكاري 34 كما كان ابنه محمد الزبدي فقيها ملازما للشيخ المذكور 35 .

أما محمد بن الطاهر العامل سنة 1845 فقد كان من أكبر أعيان المدينة وأشهرهم استطاع بفضل مكانته الإجتماعية المرموقة كتاجر غني وكمنحدر من أسرة ذات وجاهة متوارثة منذ القدم أن يستميل عددا من أعيان الرباط ضد العامل محمد السويسي في تلك السنة كما سيأتي مفصلا في فصل لاحق .

31 - Ar.: A.E.E. corres. com. Rabat Tome I . rapport du 15 Mai 1853

32 - الإتحاف لابن زيدان ج 5 ص 230 .

33 - بوجندار : مقدمة الفتح . ص 221 .

34 - بوجندار : الإغتباط . ص 102.

35 - دينية : مجالس ... ص 91.

وبرز أحد أفراد أسرة فرج كعامل ، وهناك من يرجع أصل هذه الأسرة إلى الأندلس ، بينما يرجعها البعض الاخر إلى أولاد فرج بدكالة، وعلى كل حال برزت من هذه الأسرة الرباطية الشهيرة شخصيات مرموقة في القرن الثامن عشر مثل الناظر محمد بن ابراهيم فرج الذي كان تولى النظارة سنة 1791/1209 ، ومثل المكي فرج الذي تزعم حي الگزا ضد مناصري الأمير هشام بعد وفاة السلطان محمد بن عبد الله [36].

وتعد أسرة السرايري أيضا من الأسر التي أنجبت شخصيات مرموقة في نفس الفترة مثل يحيى السرايري الذي كان ضمن وفد أعيان الرباط الذي حمل الهدية إلى السلطان المولى سليمان بمراكش في 3 حجة 1231 25 أكتوبر 1816 [37] ومثل الفقيه السرايري المتوفى في 6 شوال 1229 [38] نستنتج من هذا العرض الخاص بماضي هذه الأسر أنها ليست حديثة العهد بالنعمة ، بل كان منها أعيان سابقون هم آباءهم وأجدادهم الذين نصبوا في قيادة الرباط في عهد المولى عبد الرحمان ، وانطلاقا من ذلك يمكن القول بأن الوضعية الإجتماعية لهؤلاء الوجهاء كانت معززة بعاملين مهمين : أولهما المجد العائلي ، وثانيهما السلطة المكتسبة ، وقد تطرق أصحاب التراجم لوصف بعض هؤلاء الأعيان فاتخذوا الجانب الأخلاقي المقياس الأول لذكرهم أو لإهمالهم ، واعتبروا أن الإتصاف بمكارم الأخلاق والصلاح والدين مبررات لترجمة هاته الشخصيات واعتبارهم أعيانا ، لذلك نجد أنهم اغفلوا ذكر بعض أصحاب السلطة لأنهم كانوا خارجين عن الجادة واتصفوا بظلم أو بقسوة ، ومن بين المذكورين في هذه التراجم على سبيل المثال عبد اللطيف فرج وعبد السلام السويسي ، فقد حلى محمد بن علي دينية العامل فرج بما يلي : «هو العامل الأجل ، والطالب الأحفل ، قائد الرباط السيد عبد اللطيف بن عبد الله فرج الرباطي ، كان من الوجهاء وأعيان

36 - محمد الضعيف : المرجع السابق ص 276.
37 - أيضا . ص 500.
38 - كذلك . ص 499.

النبلاء ، وكانت له محبة كبيرة في الأشراف» 39 .

وقال دينية في حق القائد عبد السلام السويسي : «العامل الأرشد الطالب الأسعد ، القائد الهمام الأرضى ، كان رحمه الله من أهل المروءة والصيانة ، والعفة والديانة» 40 .

ويمكن القول إن هذه الأمثلة تعبر عن رأي الفقهاء في بعض رجال السلطة ، ومن الأسئلة التي تبدو ملحة عند المقارنة بين جدول العمال القدماء ، وعمال عهد المولى عبد الرحمان على الرباط واحد يختص بسبب شروع السلاطين (وأولهم هذا السلطان) في اختيار عمال المدينة من الأسر الرباطية فقط .

فمن الملاحظ أن العلاقة بين أهل هاته الحاضرة والسلاطين العلويين قبل القرن التاسع عشر اتسمت بكثير من التنافر فقد رأينا في المقدمة التاريخية كيف استقل الرباطيون بأنفسهم وعينوا المسؤولين عنهم ، وخاصة في أوقات ضعف بعض السلاطين . وكانت فوضى الحكم تساهم في تمرد أهل البلد ككثير من المدن والأقاليم ، فكان السلطان عندما يستتب له الأمر يعين عليها قائدا صلبا من أهل البادية . وقد يفعل ذلك إذا ظهر من أهل المدينة تمرد وعصيان . وهذا ما فعله السلطان محمد بن عبد الله عندما اسند لصهره عبد الله الرحماني قيادة الرباط سنة 1785/1199 .

أما في عهد مولاي عبد الرحمان فقد تميزت المدينة بالهدوء ، ولم يعد سكانها يتمردون كما كان الأمر سابقا . فعند وفاة المولى سليمان الذين كانوا مخلصين له بادروا إلى بيعة خلفه بدون حدوث أي مشكل ، بل إن أعيان الرباط بمن فيهم العلماء والأشراف والوجهاء كانوا من الوفود الأولى التي حررت عقد البيعة والتزمتها . وإذا أردنا معرفة سبب سكون أهل المدينة وأعيانها في أيام السلطان عبد الرحمان فربما يكون الجواب كامنا في تذكر الرباطيين دائما قرار السلطان محمد بن عبد الله الذي أراد إخراجهم من الرباط وترحيلهم إلى الصويرة . وكذلك ما كان فعله ببعض وجهائهم الذين سجنهم أو نفاهم عن مدينتهم عندما كان

---

39 - دينية : المرجع السابق ص 171.

40 - المرجع نفسه ص 210.

أميرا ، إضافة إلى أن تفتح المغرب على التجارة الخارجية جعل المخزن نفسه طرفا من هذا الإنفتاح فلم يعد مبرر للإحتياط من المدن وهذا ما يضيف عنصرا آخر الى العناصر المفسرة لاختيار السلطان عمال الرباط من المدينة نفسها [41] .

ومن التعقيبات التي يمكن إبداؤها عن عمال الرباط خلال هذا النصف الأول من القرن الماضي أنه على الرغم من استقلال العامل بتسيير المدينة بعد أن كانت تنضاف إلى إقليم معين أو تدمج مع جارتها سلا ، فإن ذلك لا يعني أنه تمتع بنفوذ كامل في تسيير شؤونها ، فلقد كان عمال الرباط في هذه الفترة ذوي سلطة محدودة حسبما يتبين من الوثائق التي تظهر كيف أن عمال منطقة الشمال وهم بوسلهام بن علي أزطوط ، وعمال أسرة عشعاش التطوانية وهم عبد الرحمان وابنه محمد وابنه عبد القادر ، وعبد السلام السلوي وكلهم نصبوا عمالا على طنجة وتطوان والعرائش وأصيلة وعلى قبائل الريف [42] كانوا مثلا يتدخلون بأمر من السلطان في شؤون تعني مدينة الرباط من عزل لأمنائه أو من تعيينهم أو من تدخل في شؤون التجار المسلمين والأجانب في ميناء الرباط .

وقد دامت هذه الظاهرة طوال عهد المولى عبد الرحمان . ومن الأمثلة على ذلك أن السلطان أصدر أمره إلى قائده على تطوان محمد بن عبد الرحمان عشعاش سنة 1837/1253 بأن يختار هو - لا عامل الرباط - أمينا يرسله ليعمل في مرسى الرباط ، في الوقت الذي لم يكن يعين سوى أمين واحد في المرسى . وفعلا إختار العامل أمينا مسنا هو عبد الرحمان مدينة [43] الذي لما ظهر عجزه عزله السلطان وأمر العامل بتجديد انتخاب أمين أصغر من الأول هو حدو الحداد [44] .

41 - محمد الضعيف : المرجع السابق ص 177 .
42 - محفظة رقم 3 : خ.م. عدة رسائل سلطانية تبتدئ من سنة 1243.
43 -المحفظة المذكورة ظهير 5 رمضان ، وظهير 20 رمضان سنة 1253.
لا يعني أن هذا العامل فعل ذلك فقط بالنسبة للرباط بل كان السلطان يكلفه باختيار أمناء موانئ أخرى مثل الجديدة والدار البيضاء وغيرهما .
44 - المحفظة رقم 3 ظهير 16 محرم 1254.

ومن ذلك أيضا أن السلطان كلف بوسلهام بن علي عامل طنجة والريف بالإشراف على إستيفاء الديون من تجار الرباط بمساعدة أمناء المدينة أنفسهم ، بينما بقي عاملها مبعدا عن تنفيذ هذه المهمة عندما جرت في ربيع الأول من سنة 1265 / يبراير 1848 [45].

ويمكن القول ختاما إن تهميش عامل الرباط في عهد السلطان المذكور لم يكن ظاهرة تخص هذه المدينة وحدها بل إن عمال الشمال في الحقيقة كان إليهم المرجع في أمور كثير من المدن الأخرى .

2 . القضاة والمحتسبون والنظار

1.2 -القضاة

لاحاجة الى التأكيد على مكانة خطة القضاء في مجتمع القرن التاسع عشر إذ أن القاضي هو الشخص الثاني في المدينة بعد القائد وهو من أكبر أعيانها لأنه لا يمارس السلطة فقط مثل القائد - وإن كانت طبيعة سلطتهما مختلفة - وإنما أيضا لأنه من العلماء .

وقبل التطرق الى قضاة العهد الرحماني الرباطيين من الضروري مرة أخرى الرجوع الى ما قبل عهده حتى يمكن عقد المقارنة بين ما ظل ثابتا وما تغير في الأصل العائلي للقضاة القدماء والجدد . وقبل ذلك يمكن القول إن بيوتات العلماء الرباطيين ساهمت بوفرة في تخريج قضاة المدينة . وفي كثير من الأحيان كان الإبن يخلف أباه في هذه الخطة ، وغالبا ما كان القضاة يتناوبون فيما بينهم على تقلد قضاء الرباط وقضاء مدن أخرى . وهذه الملاحظة تشمل قضاة رباطيين مثل القاضي الشهير الطيب بسير الأندلسي وقضاة من مكناس وفاس مثل يوسف البوعناني والقاضي القسمطيني اللذين توليا القضاء في بداية القرن الثالث عشر [46].

---

45 - المحفظة رقم 10ج 1 : ظهير آخر ربيع 1 سنة 1265.

46 -بوجندار : الإغتباط . ص 474-318-316

الإسم	سنة الولاية وسنة الوفاة	المكان
محمد مورينو 47	20 ربيع الأول 1156 إلى رجب 1156	الرباط
محمد كراكشو 48	رجب 1156 توفي 1163	"
المهدي مورينو 49	؟ إلى 1185	"
الحاج الحسن الغربي 50	جمادى الأولى 1185/رجب 1186	"
محمد بن سعيد الفيلالي 51	رجب 1186 - 1188	"
المهدي مورينو 52	رجب 1188 توفي في رمضان 1188	"
محمد بن المهدي مورينو 53	رمضان 1188 توفي في 1229	"
يوسف البوعناني 54	بداية القرن الثالث عشر	"
العربي القسمطيني 55	" " "	"
عبد الله بناني 56	؟ 1209	"
محمد بن عبد الله الغربي 57	29 شعبان 1209- 23 جمادى II 1214	"
	جمادى الثانية 214 رمضان 1214	"
محمد اليسع الفيلالي 58	جمادى الثانية 1214 رمضان 1214	"
أحمد الحكمي أو الحكماوي 59	2 رمضان 1214-23 جمادى II 1219	الرباط وسلا
ابن عمرو 60	كان ينوب عنه	الرباط وسلا
الطيب بسير الأندلسي 61	جمادى الثانية 1219 رجب 1220	الرباط ومكناس
صالح الحكمي أو الحكماوي 62	تداول الخطة مع سابقه	
عبد القادر بن المهدي مورينو 63	رجب 1220-9 شوال 1230	الرباط
محمد بن جلون 64	9 شوال 1230 - 1234	الرباط

47 - محمد الضعيف المرجع السابق ص 148.
48 - أيضا . الصفحة نفسها .
49 - أيضا . ص 176 .
50 - أيضا . الصفحة نفسها .
51 - أيضا . الصفحة نفسها وكذا ص 178 .
52 - أيضا . ص 178 .
53 - أيضا . الصفحة نفسها .
54 - بوجندار الاغتباط ص 416
55 - أيضا . ص 474
56 - أيضا . ص 294
57 - أيضا . ص 294
58 - أيضا . ص 385
59 - أيضا . ص 387-418
60 - نفسه 34 ص 30
61 - محمد الضعيف المرجع السابق . ص 338.
62 - بوجندار 34. والإغتباط ص 34 .
63 - الضعيف المرجع السابق ص 338 .
64 - كذلك . الصفحة نفسها .

ونستنتج من خلال الجدول سيطرة واضحة لعائلة مورينو الأندلسية التي تولى منها أربعة قضاة هم محمد والمهدي وابنه محمد وعبد القادر، ومنهم من تولى مرتين مثل المهدي. تأتي بعدها عائلة الغربي التي أنجبت عدة فقهاء وعلماء منذ عهد المولى إسماعيل، وكان منها قاضيان هما الحاج حسن ومحمد بن عبد الله [65].

ونجد أسرة الحكمي التي اشتهر منها القاضي أحمد وابنه القاضي صالح (وقد سماهما الضعيف الحكماوي وبوجندار الحكمي). وقد صنف محمد بن علي دينية أسرة الحكمي ضمن العائلات الرباطية [66] وحلاه أبن زيدان وهو يتحدث عن القاضي أحمد الحكمي بقوله « أبو العباس أحمد بن أحمد الحكمي الأصل، الرباطي المنشأ والدار » [67]. وساهمت أسرة بناني أو البناني بأحد القضاة، وتدل كثير من المراجع على أنها أسرة رباطية هاجرت الى المدينة منذ القديم، فالقاضي عبد الله بناني هو حفيد عبد السلام البناني الفاسي الذي رحل الى الرباط واستقر فيها نهائيا في عهد المولى إسماعيل وتعاقب نسله بها. ويقول بوجندار إن السلطان المذكور كان بعثه « برسم الإقراء ونشر العلم بالرباط كما في طبقات حفيده العارف بالله الشيخ فتح الله » [68].

وعائلة ابن جلون التي ظهر فيها القاضي محمد استوطنت الرباط منذ مدة، فقد اعتبر الضعيف وبوجندار ودينية أن أباه محمد رباطي [69]، أما عن أسرة اليسع الفيلالي فقد هاجرت في عهد جده اليسع، وهذا الجد وصفه بوجندار بالرباطي [70].

وهكذا كانت الأغلبية الساحقة من قضاة الرباط خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر ينتمون الى أسر محلية، بعضها من العنصر الأندلسي كمورينو وكراكشو وبسير، وبعضها من الأسر ذات الإستقرار البعيد بعد أن هاجرت من فاس أو تافيلالت على سبيل المثال.

---

65 - يظهر أن بوجندار أخطأ عندما قال إنه محمد بن أحمد (الإغتباط ص 134) بينما سماه الضعيف مرارا محمد بن عبد الله انظر تاريخ الدولة السعيدة. ص 258.

66 - دينية : مجالس ... ص 138.

67 - ابن زيدان : الاتحاف ج 1. ص 346.

68 - بوجندار: الإغتباط... ص 388.

69 - دينية : مجالس .. ص 146

70 -.بوجندار : الإغتباط ... ص 139

وهذا يدل على أن المدينة لم تكن محتاجة الى أن يقوم فيها بهذه الخطة قضاة من المدن الأخرى .

ولكن من المعلوم أن معظم هؤلاء القضاة الرباطيين تخرجوا على يد أساتذة القرويين .

2.1.2 - القضاة في عهد المولى عبد الرحمان

هل تغيرت ظاهرة اكتفاء الرباط بقضاة منها في هذا العهد ؟ قبل الجواب لابد من الإشارة أولا إلى أن المصادر والوثائق لا تجود إلا بأسماء قليلة للقضاة اللذين تتابعوا في المدينة في بداية عهد السلطان عبد الرحمان ، ويقول بوجندار إن القاضي صالح الحكماوي السالف والحسن بن فارس والطيب بسير كانوا يتداولون القضاء بالمدينة بالتناوب .

إسم القاضي	سنة التولية وسنة العزل	سنة الوفاة
الحسن بن فارس 71	27-1826/1242 ؟	44.43/1259
محمد الطيب بسير	كان قاضيا سنة 1249 / 1833- 34	55-1854/1271
عبد الرحمان البريبري 72	1849/1266- 50 إلى 65-1864/1281	77-1876/1293

وقد تحدث بوجندار عن القاضي الحسن بن فارس الذي تولى سنة 1827 فقال عنه : « الشريف الحسني الفاضلي ثم الرباطي ، استوطن الرباط مدة تولى فيها قضاءه عام اثنين وأربعين ينوب عنه فيه السيد أحمد بن المختار الغربي 73. وربما كان ابن فارس من أصل فاسي ، وقد ذكره محمد بن جعفر الكتاني في كتابه سلوة الأنفاس ضمن وفيات عام 1259 بفاس .

أما القاضي بسير الذي كان سبق له أن تولى الخطة في عهد المولى سليمان فقد قال عنه بوجندار : «أسندت إليه خطة القضاء فتحمل أعباءها على أكمل ما يرام ، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا جرأة مقدام ،

71 - المرجع السابف ص 293.

72 -أيضا .ص 365 . وعطير البساط له أيضا ص 33، وكذلك الناصري : الإستقصا. ج 9 . ص 160.

73 - بوجندار : الإغتباط ... ص 294.

ومكث فيها نحو الخمسين سنة تداول فيها قضاء الرباط ومكناسة الزيتون ، على سبيل النيابة تارة والإستقلال أخرى» 74.

ونلاحظ بروز عائلة جديدة في ميدان العلم والقضاء وهي عائلة البريبري التي ينتمي إليها القاضي عبد الرحمان . وقد برز فيها قاضي آخر فيما بعد .

بقي عبد الرحمان البريبري في خطة القضاء مدة طويلة 75 فبعد أن أخذ العلم عن عدد من العلماء والفقهاء بفاس رجع إلى الرباط ، وقبل أن يتقلد خطة القضاء « إعتكف على نشر العلم به ودرس الفقه والحديث و والنحو والتصريف وعلوم البلاغة وغيرها» 76 .

ويلاحظ استمرار الظاهرة التي أشرنا إليها سابقا ، فقد ظل قضاة الرباط يتخرجون منها كما كان الأمر في القرن الثامن عشر . والإستثناء الوحيد هو القاضي ابن فارس الذي كان من فاس كما قلنا . لا شك أن ضلاعة هؤلاء القضاة المذكورين في الفقه هي ما جعل السلطان يختارهم لهذه الخطة ، ونجد عند أصحاب التراجم أوصافا لهم بالتبحر في العلم والتتلمذ على جماعة من علماء فاس وأخذ الإجازات عنهم وعن آخرين ، ثم أصبح هؤلاء وغيرهم من علماء الرباط أساتذة تخرج على يديهم عدد من الطلبة ، وتأسست بالمدينة مدرسة بعد فترة من الركود الثقافي ، وقد اتخذت ميزة خاصة في النصف الثاني من القرن كما سيأتي.

2.2 - المحتسبون

كان محتسبو الرباط في الماضي يختارون عادة من الأسر الرباطية مثلما كان يقع بالنسبة للقضاة . ولم تكن هذه الظاهرة تخص المدينة وحدها ، فجل المدن المغربية والعريقة منها على الخصوص كان محتسبوها يختارون منها . وإذا رجعنا الى عهد المولى سليمان نجد ثلاثة محتسبين توالوا في هذه الخطة هم :

---

74 - أيضا . ص 318.
75 - أيضا . ص 366.
76 - أيضا . ص 366.

- السعيدي شنتاق الأندلسي[77] الذي بقي في الخطة إلى سنة 1209/ 1795.

- الحاج الجيلاني قريون [78] الذي بقي فيها أربع عشرة سنة إلى 29 شوال 1223 .

- محمد الحيمر [79] الذي استمر في منصبه من سنة 1223 إلى ذي القعدة 1226 ليرجع قريون مرة أخرى إلى الخطة ومكث فيها إلى أواخر عهد المولى سليمان [80] .

أما في العهد الرحماني فقد توالى المحتسبون الآتية أسماؤهم : محمد بناني [81] : تولى الخطة في بداية عهد السلطان ، ولا نعرف سنة توليته ولا سنة عزله ، وقد خلفه ابن عمه وسميه [82] وقد تولى هذه الخطة في سنة مجهولة إلى حدود سنة 1266/1850 التي عزل فيها .

أما أشهر المحتسبين في هذا العهد فهو محمد بن العباس الزكي الذي تولى الخطة ابتداء من سنة 1266 وبقي فيها ستا وعشرين سنة [83] .

ويتبين مما سبق ظهور عدة أفراد من أسرة البناني في المناصب المهمة في المدينة ، ولم يحدث انقطاع في دورها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، سواء كان هذا الدور علميا أو متمثلا في تقلد مناصب السلطة وهي مناصب لم تكن تخول إلا للأعيان .

3 . 2 - النظار

الملاحظة نفسها تنطبق على هذا الصنف من أصحاب السلطة . ويمكن القول إن الناظر مثل في الرباط العنصر الرباطي خلال القرنين الثامن العاشر والتاسع عشر ، ويظهر ذلك في الجدولين الأول والثاني اللاحقين .

---

77 -محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة ص 258 .
78 -أيضا . الصفحة نفسها و ص 346 .
79 -أيضا . ص 346 و 367 .
80 -أيضا . ص 367 .
81 - بوجندار : مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح . ص 229.
82 - بوجندار مقدمة الفتح ص 229.
83 - المرجع السابق

1.3.2 - النظار في القرن الثامن عشر

إسم الناظر	المدة
الحاج المكي بن عبد الله برگاش 84	من 1772/1185 إلى 1789/1204
محمد بن إبراهيم فرج 85	شوال 1209 / مايو 1795 إلى جمادى الثانية 1216 / شتنبر 1801
الحاج الهاشمي المستيري 86	19 جمادى 1216 / أكتوبر 1801 الى ما قبل 1219 / 1804
الحاج محمد والزهرا 87	سنة 1219 / 1804
الحاج العربي ملين 88	سنة 1226 /1811
الحاج محمد بن ابراهيم فرج 89	من 1226 / 1811 الى 1236 / 1820
الحاج العربي بناني 90	من 1236 / 1820 الى 1238 / 1822

نرى أن العائلات التي لعبت أدوارا قيادية سواء في القرصنة أو في الباشوية أو في العلم هي نفسها التي أنجبت النظار خلال عهد السلطانين محمد بن عبد الله والمولى سليمان .

وقد اختلفت مدة النظارة كثيرا فبينما استمر فيها المكي برگاش تسع عشرة سنة لم يبق فيها الحاج العربي ملين الا بضعة أشهر في حين نجد أن بعض النظار تقلدوها مرتين ، وهذه حالة محمد فرج الذي عين في المرة الأولى لمدة سبع سنوات ، وللمرة الثانية تسع سنوات وقد رأينا أن شخصيات سياسية وعلمية مرموقة تخرجت من هذه الأسرة وظلت تلعب الدور الإجتماعي ذاته خلال القرن التاسع عشر بل ربما ازدادت أهميتها في النصف الثاني من القرن كما سنرى .

أسرة المستيري تولت رئاسة البحر والنظارة على السواء ولكن

84 -محمد الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة ص 176 .
85 - كذلك . ص 260 .
86 - كذلك . ص 323
87 - كذلك . ص 335 .
88 - كذلك . ص 358 .
89 -كذلك . ص 367 وأيضا : Louis Brunot : la mer dans les Traditions ... p. 236 et (Suiv)
90 - المصدر السابق وكذلك الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة ص 368 .

لم يعد لهذه العائلة دور خلال القرن التاسع عشر ، وهذا الإنمحاء عرفته أسر أخرى ذات أمجاد ماضية مثل آل مورينو الذين رآيناهم في القضاء خلال القرن الثامن عشر فلم تعد لائحة أعيان القرن التاسع عشر تضمهم ، في حين نجد بروز اسم عائلة بناني ، وهذه ملاحظة أثيرت في الخطط السابقة .

أما عائلة والزهرا فكان لها وجود في مختلف المناصب المهمة فقد رأينا أن أحمد والزهرا كان من قواد الرباط وظل كذلك إلى أن اغتيل سنة 1165 في حوادث عهد المولى عبد الله [91] .

وقد وصف بوجندار الحاج محمد والزهرا الناظر قائلا : « أصله من الأندلس ، وجده كان من وجهاء الأندلسيين أهد الحل والعقد بالرباط أواخر الدولة السعدية ، ولم يزل بيته من أوجه البيوتات الرباطية الى اليوم » [92] .

أما الناظر الحاج العربي ملين فمن المعلوم أنه ينتمي الى أسرة أندلسية أيضا ولكن لم يبرز أعيان مرموقون كثيرون منها خلال القرن الثامن عشر حسب مصادرنا .

2.3.2 - النظار في عهد المولى عبد الرحمان

إسم الناظر	فترة النظارة	المدة
محمد بن الحاج الجيلاني قريون [93]	من 1822/1238 إلى 1828/1244	6 سنوات
الحاج محمد بن عبد الله السويسي [94]	1828/1244 إلى 1832/1248	4 سنوات
محمد بن الحاج محمد السويسي [95]	1833/1249 إلى 1833/1249	بضعة أشهر
الحاج محمد بن الحاج محمد والزهرا [96]	1834/1250 إلى 1847/1264	14 سنة
الحاج أحمد غنام [97]	1848/1265 إلى 1867/1284	19 سنة

91 - الضعيف : تاريخ الدولة السعيدة . ص 156 .

92 - بوجندار : الإغتباط ص 12

93 ، 94 ، 95 ، 96 و 97 - L. Brunot . La mer dans les industries indigènes de Rabat et: Salé, Paris 1920 p. : 236 et 238 .

انظر الوثيقة 8 في الملحق.

وقع استمرار للأسر السابقة في المناصب العليا فقد تولى قريون خطة النظارة بعد أن كان أبوه محتسبا وتولى الحاج محمد السويسي هذه الخطة بعد أن كان قائدا ، ونفس الأمر بالنسبة لولده محمد أيضا ، وخلف الحاج محمد والزهرا أباه وسميه في هذه الخطة . ولكن برز اسم جديد هو غنام فبعد أن كان مقتصرا على النشاط البحري انطلاقا من تتبع ما قاله الضعيف من أن أحد أجداد أحمد غنام وهو عباس كان رئيسا من رؤساء البحر أيام السلطان محمد بن عبد الله (انظر الفصل الرابع) ، أصبح هذا الإسم يتردد خلال القرن التاسع عشر كما سنرى . ونلاحظ أن مدة النظارة التي قضاها الحاج أحمد غنام أطول مدة نظارة بالنسبة لآخرين ، وهذا مؤشر على بداية أهمية شخصيات هذه الأسرة الوجيهة التي علا شأنها في النصف الثاني من القرن ، وأصبح لبعض أعضائها حظوة خاصة لدى السلاطين .

الفصل الثامن
دور الأعيان في الإنتفاضات الحضرية

حللنا في الفصول السابقة من هذا الباب الثاني العناصر التي تكونت منها تشكيلة أعيان مدينة الرباط في عهد السلطان الذي حكم في النصف الأول من القرن، ونقصد به المولى عبد الرحمان، ورأينا أصول هؤلاء الأعيان في الماضي القريب. ولقد حان الوقت لرصد الحوادث المتعلقة بهم وهي وحدها تفسر التطور التاريخي. وعلى الرغم من شح المصادر والوثائق لابد من تتبع المواقف التي كان لهم فيها دور بارز على قلتها.

ولقد عرفنا كيف أن القرن الثامن عشر تميز بصفة عامة بسوء العلاقة بين المخزن والمدينة، وخاصة مع أعيانها، وأشرنا إلى أن عهد المولى عبد الرحمان تميزت فيه البلدة باستقرار وهدوء بصفة عامة، لكن حادثة وقعت بها سنة 1845عكرت هذا الصفاء، وهي حادثة استثنائية تبين على كل حال أحد الأدوار التي كان بإمكان بعض وجهاء المدينة أن يلعبوها فكيف وقعت ؟

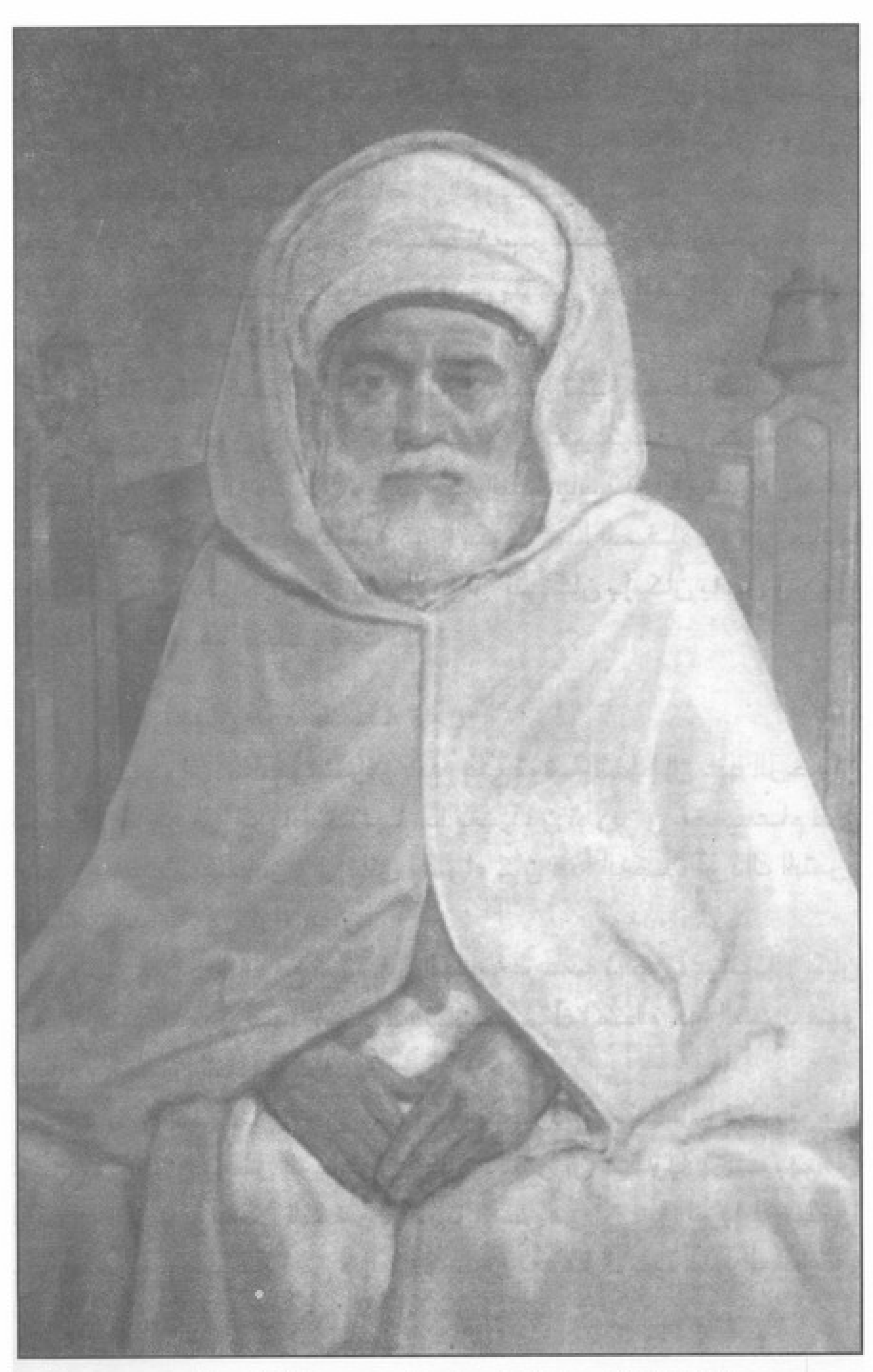
1 - تمرد أعيان الرباط سنة 1845

مرت حوالي ثلاث وعشرين سنة على تولية السلطان عبد الرحمان الحكم لم يظهر في الرباط خلالها ما يعبر عن تمرد أو غضب عام لدى السكان حسب المصادر والوثائق، سواء كان هذا الغضب أو ذاك التمرد نابعا من العامة أو من الأعيان.

وفي سنة 1845 وقع تمرد في المدينة تزعمه بعض أعيانها. ،كان موجها ضد العامل الحاج محمد السويسي. أما منظم هذا التمرد فهو الحاج محمد بن الطاهر الزبدي.

ويقول الناصري عن سب هذا التمرد إن العامل رفض توسط الزبدي في شأن بعض الرباطيين الذين يظهر أن عقوبة نزلت بهم من طرف العامل [1]. ويعطي الناصري تبريرا آخر هو أن أهل الرباط «سئموا ملكة السويسي ومرضوا في طاعته لأسباب تعدها الرعية على العمال» [2]

1 -الناصري : الإستقصا، ج 9، ص 54.
2 - المرجع والصفحة نفسهما.



العامل ثم الأمين ثم السفير الحاج محمد بن الطاهر الزبدي

وغضب الزبدي من العامل الذي كثيرا ما كان يجالسه ويبدي له الصداقة والمودة واستدعى «جماعة من أعيان البلد ممن يعلم انحرافهم عن العامل المذكور وأطعمهم وأطلعهم على خبيئة صدره في أمر العامل فوجدهم إليه سراعا» 3 .

وقد اتحد هؤلاء الأعيان وتعاهدوا على كلمة واحدة وهي الرفض المطلق للعامل السويسي ، والعمل على عزله من القيادة ، ويزيدالناصري قائلا : «ثم مشوا إليه وأنذروه وتقدموا إليه بأن يلزم بيته» 4 واتفقوا على أن يولوا عليهم الزبدي ، وفعلا نصبوه بدون إذن السلطان كما كان أجدادهم يفعلون أيام ضعف السلطة المركزية وخاصة في فترة ما قبل عهد السلطان محمد بن عبد الله . ويقول المؤرخ أن الزبدي استطاع أن «يضبط أمر البلد» .

ولما علم السلطان بالأمر وهو بعاصمته فاس اشتد غضبه طبعا وأرسل إليهم خطابا يعظهم فيه ويؤنبهم لكنهم لم يأبهوا بذلك وتمادوا في شأنهم ، وقد سلك السلطان نفس السلوك الذي كان أسلافه يبدونه عند حدوث تمرد في المدينة ، وهو تعيين قائد أجنبي عليهم . وهكذا بعث إليهم الطيب الوديني البخاري وهو من عبيد البخاري قائدا عليهم ، وأمره بالقبض على رؤوس الفتنة ، لكن هذا الأخير طرد شر طردة ، ويحكي الناصري كيف رجع هذا الأخير الى فاس يخبر السلطان ، مالقيه من صعوبة في الرجوع إلى العاصمة . وحينئذ لجأ السلطان إلى حيلة وهي التظاهر بقبول الأمر الواقع ، فأرسل إلى الرباط كاتبه محمد العربي الجامعي الذي قام بجمع أعيان المدينة وخيرهم فيمن يتولى عليهم ، فاختاروا الزبدي وقد أجابهم السلطان وصادق على هذا الإختيار فأرسل ظهير تعيين الزبدي 5 .

وظن أعيان الرباط أن الأمر انتهى بعد أن مرت ستة أشهر على الحادث ، لكن لما أتى السلطان إلى المدينة واستقر بها بعض الوقت بحث عن «رؤوس الفتنة» ، فألقى القبض عليهم بمن فيهم الزبدي وأرسلهم

3 - أيضا . ص 54 و 55.
4 - أيضا . ص 55.
5 - أرسل السلطان ظهيرا إلى أهل الرباط أورده ابن زيدان في الجزء الثاني من الإتحاف ص 314.

إلى فاس حيث سجنوا هناك [6] .

هذه الحادثة تبين تمرد صنف خاص من الأعيان . فمحمد بن الطاهر الزبدي كان من التجار الكبار في المدينة . وتقول تقارير القنصل الفرنسي عن هذه الحادثة إن كل الأعيان الذين تبعوا الزبدي كانوا أيضا من التجار ، بل هم أهم تجار المدينة [7] .

وحسب رسائل القنصلية العامة بطنجة إلى وزارة الخارجية الفرنسية آنذاك نتعرف على وجه آخر للحادث :

فقد أرجع القنصل إيدمون ده شاطو Ed. deChasteau بطنجة في إحدى رسائله إلى باريس أن رغبة أعيان الرباط في تغيير السويسي راجعة إلى تذمرهم من ابتزازه واستبداده [8].

وفي هذه الوثائق أن تمردهم تجلى في إصدار الأعيان الأمر لبعض الناس لمحاصرة دار السويسي وحراستها وألا يسمحوا لأحد بالدخول أو الخروج .

وبعكس الناصري الذي قال إن الأعيان لم يأبهوا بتهديد السلطان ، فإن هذه الوثائق تفيد بأنهم أرسلوا الى السلطان يطلبون منه إقالة السويسي ، وأن بعث الطيب الوديني البخاري كان بمثابة جواب على هذا الطلب .

وتفيدنا رسالة القنصل بأنه ساد الإعتقاد بأن السلطان سعى في طلب التاجر الشهير مصطفى الدكالي واستدعائه من باريس التي كان مقيما بها آنذاك لينصبه على قيادة الرباط ، لذلك وجه السلطان رسالة إلى جبل طارق في هذا الشأن .

وتتفق وثيقة القنصل مع الناصري في شأن تظاهر السلطان بقبول الأمر الواقع وتعيين الزبدي على أهل الرباط .

وتقول رسالة [9] أخرى لدوشاطو بأن الرباطيين استغلوا قضية

---

6 - الجمل الواقعة بين مزدوجتين هي كلام الناصري

7 - Ar. de A.E.F. Maroc 1845, Direction Politique : de Chasteau lettre 26 Février 1846

8 - أيضا.

9 - المصدر نفسه ، رسائل في 18 غشت 1845.

أخرى للتخلص من السويسي ، وتتلخص في أن الأخير نزل عند رغبة الأوساط القنصلية الفرنسية عندما ألحت عليه أن يساندها في قضية يهودي يافع تسبب في مشكلة بين الهيئة الدبلوماسية والمخزن .

وملخص هذه القضية أن هذا اليهودي البالغ 14 سنة إلتجأ الى دار الوكيل القنصلي الممثل لفرنسا وإنجلترا وهو اليهودي يعقوب سيرويا . وقد اختبأ هذا اليافع هروبا من تنفيذ وصية أبيه عدي عمور الذي اعتنق الإسلام ومات عليه ، وكان عين شخصا مسلما هو الحاج عبد الله بناني لتنفيذ وصيته ، ولما أراد بناني إفهام الطفل اليهودي بوجوب اعتناق الإسلام كأبيه وأن يتسلم ثلثي تركة والده على أن يأخذ بناني الثلث الباقي كما نصت عليه الوصية ، امتنع الطفل اليهودي امتناعا كليا عن ترك دينه وصرح بتخليه عن إرثه وهرب ، واتهمت الأوساط القنصلية الحاج عبد الله بناني بأنه سجن الطفل وضربه ضربا مبرحا وعامله معاملة سيئة ، ولما تدخل العضو القنصلي لدى محمد السويسي وألح عليه سانده هذا الأخير في مساعيه . وكان دوشاطو قد وجه رسالة إلى عامل طنجة والعرائش بوسلهام بن علي يحكي فيها هذه القصة بمبالغات واضحة . كما كتب الوكيل الإنجليزي رسالة مماثلة إلى القائد، وتبودلت عدة مراسلات في هذا الموضوع بين دوشا طو ووزير الخارجية الفرنسي ، وبينه وبين يعقوب سيرويا .

وتقول رسالة دوشاطو الأولى إن هذه الحادثة كانت من الذرائع التي استند عليها أعيان الرباط ليحتجوا على السويسي ويتخلصوا من قيادته 10 وأخيرا تقول إحدى رسائل دوشاطو إن السلطان ألقى القبض على المتمردين وأرسلهم مكبلين إلى سجن العرائش . وقد علمنا أن الناصري ذكر أنهم وجهوا إلى سجن فاس 11 .

ومن المناسب أن نتساءل هل كان هذا التمرد معبرا عن تحد للمخزن أو عن حزازات شخصية بين الأعيان أنفسهم . إن الوثائق المغربية تتفق على أن انتفاضة أعيان الرباط كانت موجهة ضد العامل

---

10 - Lettre du 26 Février 1846. Op. Cit.

11 - الوثيقة نفسها. وكذلك الناصري الإستقصا ، ج 9 ص 46

شخصيا لا ضد المخزن ولذلك فهي لا تشبه تمردات القرن الثامن عشر التي كانت تعبر عن رفض لبيعة سلطان ما أو عن رغبة في الاستقلال ، ولقد أورد الناصري حادثة هذه الانتفاضة التي وقعت في السنة وفي الظروف نفسها التي برزت عواقب معركة إيسلي كما قال . فمن هذه العواقب «ارتفاع السكة» وتنازل السلطان «للأجناس» على «ما كانت تؤديه» إلى غير ذلك من العواقب . فيظهر أن الناصري يريد أن يلمح إلى أن انتفاضة الرباط ناتجة عن هذا الضعف المفاجئ الذي نزل بالسلطة المركزية إثر الانهزام ، علما بأن ضعف السلطة كان دائما سببا في التمرد .

ومع ذلك ، وحتى لو صحت هذه الوجهة من النظر ، فإن الأعيان المذكورين لم يستغلوا فرصة ضعف المخزن إلا ليحققوا رغبتهم في تنصيب الزبدي ، لا لينالوا من سمعة المخزن أو السلطان .

وبعد إلقاء القبض عليهم قام السلطان بتعيين عبد اللطيف فرج عاملا على المدينة ، ووجه إلى أهل الرباط رسالة في هذا المضمار.[12]

2 - حادثة سنة 1850

بعد حادثة سنة 1845 لم نعد نجد في عهد السلطان عبد الرحمان مثيلا لها اللهم ما كان يسود سائر المدن من تذمر مؤقت إثر قرار سلطاني يفرض ضريبة جديدة أو يصرح باحتكار بيع بعض المواد من طرف المخزن . وقد أشرنا سلفا إلى هيجان حدث في الرباط في نونبر 1850 إثر قرار السلطان بمنع بيع جلود الأغنام والأبقار المذبوحة في البلاد ، وبملكية المخزن لها . ولكن المدينة كانت فقط تابعة لما حدث في فاس التي احتج فيها الدباغون وقاموا بالتظاهر في أزقة المدينة . ومثل ذلك حدث في مراكش وفي بعض القبائل التي هاجمت مكناس ، مما جعل المدينة تستنجد بالسلطان الذي لم يستطع الخروج من عاصمته ،[13] أما في الرباط فقد قام الجزارون بإضراب . وإذا كان هذا التمرد يعبر عن

---

12 - رسالة أوردها محمد بن الحسن الحجوي في مخطوطه اختصار الإبتسام رقمه ح 114 ص 426 - أنظرها في الملحق . الوثيقة 4.

13 - Ar : A.E.F. Corres Com : Tanger 1848-1851 : Lettre 20 Nov. 1850

سخط الفئة المتضررة من دباغين وجزارين فلا شك أن محركيها هم أرباب هذه الحرف ، وقد أشرنا إلى أن عرفاء الجزارين لم يكونوا بمعزل عن هذه الحركة في الرباط وكانوا في ذلك الوقت يعتبرون من أعيان المدينة ، نظرا لاكتسابهم نوعا من النفوذ على أهل الحرفة .

3 - رفض الأشراف والمجاذيب للأجانب

زيادة على هذه الأمثلة التي أظهرت مواقف لسخط بعض الأعيان ، ومعهم العامة ، هناك مواقف أخرى عبرت عن تمرد على الأجانب .

فعندما حل نائب القنصل الفرنسي سان أندري Saint-André في نونبر 1852 بالرباط واجه مصاعب عرقلت ممارسة مهامه بالمدينة ، لذلك أخبر القنصل الفرنسي بطنجة بهذه المصاعب التي تسبب فيها سكان المدينة ، ونظرا لحدة الموضوع وجه خطابا 14 إلى وزير خارجية بلاده يخبره بالحادثة التي تتلخص فيما يلي :

تقول رسالة القنصل بأن خمسين من المتسولين نصف الحمقى وصفهم ب «الأولياء» Saints هددوا سان أندري عندما حل بالرباط ، وشحنوا بنادقهم استعدادا لإطلاق النار على النصارى الذين يتجولون بجيادهم في أزقة المدينة ، وقرروا التربص بالقنصل مختبئين وراء الجدران ، وأعلم هؤلاء المجاذيب القائد نفسه بقرارهم وأبدى القنصل دهشته من كون القائد عوض أن يلقي عليهم القبض اكتفى بحماية سان أندري بحرس يلازمه . وقد صرح القنصل أن الذين دبروا هذه المؤامرة أشخاص يسّريون ، في حين أن سكان الرباط ليس لهم مسؤولية في ذلك .

واتصل القنصل الفرنسي بباشا طنجة ، وحكى له خبر هذا التهديد، وطلب منه أن يتدخل للعمل على إلقاء القبض على هؤلاء المجاذيب الخمسين المسلحين .

وفي رسالة أخرى 15 عبر القنصل عن مخاوفه من أن ينقاد كل سكان الرباط وراء هؤلاء «الأشرار» وحبذ لو أتى إلى الرباط قائد عسكري خاص يضمن أمن المدينة مصحوبا بالجنود لنشر الأمن وحفظ

AR : A.E.F. : Lettre du Consul : 8 Novembre 1852 n° 25 - 14

AR. A.E.F. : Lettre au Pacha de Tanger : 8 Novembre 1852- 15

حياة نائبه ، ولقد تعددت المساعي القنصلية لدى السلطان لإقالة قائد الرباط المتهم بضعفه وعجزه .

وقررت القنصلية الفرنسية 16 بطنجة تقديم طلب رسمي للسلطان لطرد هؤلاء المجاذيب من الرباط . وصرح نائب القنصل بأن هؤلاء المجاذيب ليسوا سوى أداة مستعملة من أجل إضفاء طابع ديني على المؤامرة ، وبأن سكان الرباط ولو أنهم ليسوا شركاء في المؤامرة كلهم، فإنهم ليسوا غرباء عنها.

وانطلاقا من ملخصات هذه المراسلات ، يمكن أن نتساءل هل حقيقة أن فريقا من سكان الرباط عبروا عن رفضهم المطلق لوجود الأجانب بمدينتهم ؟ هل كان هذا الفريق مكونا من أشخاص بعضهم يخفي حقيقة هويته ؟ وهل كان هؤلاء منخرطين في إحدى الزوايا أو تابعين لشخصية ذات نفوذ في المدينة كما تلمح بذلك هذه المراسلات ؟ وهل حصول هؤلاء الثائرين على السلاح دليل على تأطيرهم من طرف هيأة لا تعرف هويتها للوقوف ضد التسرب الأوربي . وهل كانوا مسلحين فعلا ؟

من الصعب الجواب على هذه الأسئلة بدقة لعدم وجود مصادر تثبت أو تنفي صحتها . وإذا تتبعنا بقية الحادثة وجدنا أن نائب القنصل فضل الإنسحاب من مهمته ، والرجوع إلى بلاده 17 . ولكن الأمر لم ينته بذهابه ، فقد ترك نائبا عنه أحد الشبان وهو شوميل Chaumiel الذي خرج مرة يتجول كعادته مع قبطانين من البحرية الفرنسية . وعند التواء أحد الدروب التقوا بواحد من أولئك المجاذيب ، فهجم «المجذوب» بسكين في يده اليمنى وبعصاه في يده اليسرى على شوميي الذي أصيب بجرح خفيف ، واستطاع الثلاثة التغلب على المعتدى واقتادوه إلى القائد ، وكم كانت دهشتهم كبيرة عندما صرح لهم القائد أن هذا المجذوب شريف وله اعتبار كبير في البلاد 18 .

تدل هذه المراسلات على أن هؤلاء المجاذيب ربما ضموا عددا من

16 - AR. A.E.F. : Lettre du Vice Consul - : 15 Novembre 1852

17 - AR. A.E.F. : Lettre du Consul : 8 Février 1852

18 - AR. A.E.F. Lettre du Consul : 8 Février 1852

الشرفاء . وتلمح هذه الوثائق أن هناك حركة سرية مناهضة للأجانب نظمها وأطرها من كان لهم القدرة على ذلك ماديا ومعنويا ، أي صنف من الأعيان .

وقد كان سان أندري قد أشار إلى أن هناك أشخاصا استعملوا المجاذيب كأداة للتخلص من الأجانب .

إن هذه المعلومات المستقاة من المراسلات القنصلية الفرنسية لم تشر إليها أية وثيقة أو كتابة تاريخية مغربية . وهذا هو الداعي لطرح الأسئلة السابقة بسبب غرابة هذه المعلومات . ربما كان هناك تعبير شعبي عام عن رفض الوجود الأجنبي مخافة أن يتفاقم ويزداد تركيزه في البلاد . ولكن من المستبعد أن تكون هناك حركات سرية مسلحة ومؤطرة من طرف ذوي النفوذ ، وفي انتظار العثور على وثائق تنفي أو تدعم هذه الإدعاءات لايسعنا إلا أن نميل إلى القول بمبالغة هؤلاء الوكلاء القنصليين الفرنسيين ومحاولتهم تضخيم الأحداث لإلهاب عواطف المسؤولين في وزارة الخارجية الفرنسية قصد الدفع بحكومتهم لاتخاذ أسرع التدابير لتثبيت قدمهم ببعض المراكز المغربية وتدعيم الإستيطان ولو بقوة عسكرية ، وهذا ما حصل بعد مدة ليست بالطويلة .

الباب الثالث
الأعيان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر 1859-1912

كان عهد المولى عبد الرحمان بداية لتغييرات حاسمة في تاريخ المغرب . فالتحولات الإقتصادية والإجتماعية التي حدثت في البلاد بصفة عامة وأصابت الرباط من بين باقي المدن والبوادي ، من حركة في التجارة الخارجية وارتفاع في السكة ، وتدهور أحوال المعيشة ، ومنافسة البضائع الأجنبية ، وتصاعد فئة التجار ، كلها راجعة الى ما سمي عند المؤرخين الأوربيين بانفتاح المغرب ، أو بعبارة أصح التسرب الأوربي الذي ترك آثارا عميقة في تاريخ المغرب المعاصر . وأهم هذه الآثار معركة ايسلي التي ذكرنا بعض عواقبها وأيضا ما وقع في الخمسينيات من القرن من ضغط أجنبي متزايد أدى الى توقيع معاهدة مع المملكة المتحدة كان لها أثر فعال على سيادة البلاد والنيل من استقلالها التجاري والقضائي ، وانعكس ذلك على فئات السكان في البوادي والحواضر .

وتقوت هذه الإنعكاسات في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان الذي يعد بداية لصفحة جديدة . فقد حاول نهج سياسة «الإصلاح» راغبا في تغيير بعض الهياكل الموروثة منذ القدم وسلك خلفه السياسة ذاتها في الإدارة والمالية والجيش ، ونحاول في هذا الباب أن نعرف في ضوء ذلك ، دور الأعيان الرباطيين في تبنيهم أو رفضهم للمساعي الأوربية التي كانت المسؤولة عن الدفع بالسلاطين الى هذه السياسة . كما أن تعاظم التغلغل الأوربي داخل البلاد أدى الى مواقف متباينة أبداها الأعيان تجاه الأوربيين خلال النصف الثاني من القرن الماضي وبداية القرن الحالي . ويهمنا أن نتعرف على هذه المواقف التي أظهرها الأعيان المذكورون طوال هاته المدة ، لكن قبل ذلك لابد من تتبع أصنافهم كما رأيناهم في عهد السلطان السالف .

الفصل التاسع
مدى استمرار العائلات الرباطية الكبرى
في السلطة بالمدينة

1 - سيطرة عائلة السويسي في العمالة

رأينا أهمية أسرة السويسي في منصب العمالة منذ العهد الرحماني وقد تقلد أعضاء منها أيضا مناصب أخرى كالنظارة ، وإذا كانت هذه الأسرة قد شاركتها أسر أخرى في الفترة السالفة فإنها استقلت في النصف الثاني من القرن بمنصب العمالة استقلالا مطلقا من سنة 1855 إلى 1909 كما يتضح من الجدول أسفله :

إسم العامل	سنة التولية	سنة الوفاة أو الاعفاء	المدة
عبد السلام السويسي 1	1855/1271	1885/1302	30 سنة
محمد السويسي 2	1885/1302	1899/1317	14 سنة
أحمد السويسي 3	1900/1318	1908/1326	10 سنوات
عبد النبي السويسي 4	1908/1326	1909/1327	سنة واحدة
الصديق برگاش 5	1909/1327	1917/1336	9 سنوات

استخدم إذن السويسيون مع كل سلاطين الفترة ، وفي غالب الأحيان لم يكن يخل منصب العمالة من أحد أفرادهم إلا بسبب موته . فقدتوفي عبد السلام سنة 1885 ومات خلفه محمد سنة 1899 وقتل أخوهما أحمد السويسي في سنة 1908 في الوقعة التي دارت بين الأخوين المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ ، والإستثناء الوحيد هو عبد النبي الذي لم يدم في منصبه إلا بضعة أشهر عوض بعدها بعضو من أسرة برگاش سنة 1909 6 بسبب حظوة هذا الشخص لدى السلطان المولى عبد الحفيظ .

ومن جهة ثانية نلاحظ من خلال الجدول طول مدة تولية بعض

1 - محمد بن علي دينية : مجالس الإنبساط ، ص 210.
2 - بوجندار : مقدمة الفتح ص 226 ، وأيضا وثائق عائلة السويسي .
3 - بوجندار : مقدمة الفتح ص 226 ومجالس الإنبساط ص 289 .
وأيضا : ar. Vinc : rapport du 29 Avril 1900
4 - ظهير تعيين عبد النبي السويسي عاملا ، وثيقة خاصة بتاريخ 24 شعبان 1326 الوثيقتان 26 و 27 في الملحق .
5 - Bul, com. Af. Fr. année 1909 - p. 296
6 - أيضا .



عامل الرباط عبد السلام السويسي

هؤلاء العمال مثل عبد السلام الذي نصب في وظيفته منذ عهد المولى عبد الرحمان سنة 1855 ، فقد طالت ولايته ثلاثين سنة ، وهذا يعني أنه استخدم في عهد كل من المولى عبد الرحمان وسيدي محمد والمولى الحسن . كما نرى أن ثلاثة إخوة تعاقبوا على العمالة بالتوالي ، فبعد عبد السلام خلفه أخوه محمد وبعد محمد خلفه أخوه أحمد . أما عبد النبي فهو حفيد محمد .

اكتسب إذن بيت السويسي جاها متزايدا في النصف الثاني من القرن ، وتعززت وضعيته بالمصاهرات مع العائلات الرباطية الأندلسية فقد تزوج محمد السويسي ابن القائد محمد بفاطمة بنت أحمد مرسيل ، وأسرة مرسيل أنجبت في الماضي رؤساء الجهاد البحري وأمناء المراسي في القرن التاسع عشر [7] .

وتزوجت رقية أخت عبد النبي السويسي وحفيدة القائد محمد بعضو من عائلة بلافريج وهي عائلة أندلسية عريقة [8] ازدادت مكانتها في أواخر القرن الماضي على الخصوص [9] .

أما عن سلطة عمال الرباط هؤلاء فإنه من المفيد أن نذكر أنها بدأت تتزايد في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان ، فلم يعد عامل الشمال يتدخل في شؤون المدينة كما كان الأمر سابقا ، وربما يرجع ذلك من جهة أولى إلى شخصية عبد السلام السويسي القوية واعتماد المخزن عليه في كثير من المهام ، وإلى غياب عمال الشمال القدماء من جهة أخرى إذ توفي عبد السلام السلوي سنة 1840 وتبعه بوسلهام بن علي سنة 1851 . ومن المؤشرات التي تدل على الإعتبار الذي كان يكنه السلطان لعبد السلام السويسي أن المولى الحسن أرسله سفيرا إلى مدريد سنة 1877/1294 [10] لما توسم فيه من مقدرة ودراية .

واتسعت منطقة نفوذ قائد مدينة الرباط فعليا فأصبح محمد السويسي الذي تقلد منصبه سنة 1885 يتولى شؤون صخيرات القرنفل[11]

7 - عقد صداق مؤرخ بـ 4 ربيع الثاني 1283 : وثائق السويسي أنظر الوثيقة 7 .

8 - عقد صداق مؤرخ ب 10 ربيع الثاني 1322 ، وثائق السويسي .

9 - أصبح منها عدد من الأمناء مثل أحمد بلفريج ، في مستفاد أزمور ((كناش 439 : خ.م.ص : 158 : ملخص رسالة 18 رجب 1316) .

10 - الناصري : الإستقصا ج 9 ص 164.

11 - مصطفى بوشعراء : الإستيطان والحماية ج 2 ص 744 .

وأصبحت بلاد الولالدة راجعة إلى إشرافه [12] .

وصار السلطان يراسل عامل الرباط للتوسط في النزاعات القائمة بين القبائل المجاورة للمدينة لحسم مادة الخصام . وهكذا تدخل محمد السويسي بأمر من المولى الحسن لإصلاح ذات البين بين قبيلتي الدغمة وآل بوعريف [13] . ومثل هذا الدور لم يكن يعطى له في السابق حسبما يظهر في وثائق الفترة .

وغدا العامل يستوفي الواجبات المخزنية المالية والعينية المفروضة على القبائل . وهكذا قبض محمد السويسي في رمضان من سنة 1305 / مايو 1888 ، 800 ريال من القائد محمد الحيمر العشيشي من قبيلة الدغمة بحضور أمناء العدوتين [14] .

وفي نفس الوقت أصبح عامل الرباط - بفضل تحركات مولاي الحسن الكثيرة وكون المدينة ممرا أساسيا له - يقوم بدور الحارس فأمست الحاضرة أكثر من السابق مركزا لتأديب الخارجين عن طاعة المخزن وعن الشريعة ، فأودع حبسها عدد كبير من السجناء كانوا يرسلون إليه من كل الأنحاء ، وصار العامل بدوره يسجن الكثير من المتمردين من أهل القبائل الخاضعة له أو يسرحهم ، بحيث أضحى هذا الجانب من مميزات سلطته وهو أمر لم يكن يقوم به عامل الرباط في عهد المولى عبد الرحمان كما أشرنا .

وفي سنة 1887/1305 على سبيل المثال نقل العامل عددا من مساجين قبيلة القائد بوعزة بن عمر الميموني الزعري إلى سجن الرباط[15] . وأودع هذا السجن أيضا بعض المحميين الذين تطاولوا على المخزن . وهكذا أرسلت إيالة أحمد بن العربي المديوني أحد الشرفاء المحميين وهو الحاج أحمد القدميري مصحوبا بولده وصهره إلى عامل الرباط لحبسهم [16] وفي سنة 1309 أودع سجن الرباط رهط من أعراب الرباط إثر حدث وصفته المصادر ب «يوم وقعة أعراب الرباط»

12 - كناش 371 رسالة 3 ربيع الأول 1303,

13 - كناش 371 رسالة 3 ربيع الأول 1303,

14 - محفظة 200. رسالة عبد السلام بن محمد برشيد إلى السلطان مولاي الحسن في 2 رمضان 1305.

15 - محفظة 203 - رسالة في متم جمادى الأولى 1305.

16 - محفظة 204 - رسالة 21 قعدة 1304.

لم تعرف أسباب هذه الحادثة ولا كيف جرت ولا أين وقعت وقد سرحوا بعد حين وبقي منهم سبعة أشخاص ، فأرسل «بواب العتبة الشريفة بأجدال الرباط» محمد الرايس البخاري يخبر السلطان بتشفع نساء بني ورى ، وهي القبيلة التي كان ينتمي إليها هؤلاء المساجين ، وقد «ذبحن على العتبة الشريفة» راجيات الإفراج عن رجالهن وأولادهن 17 .

ومما يدل أيضا على اتساع سلطة عامل الرباط أن كثيرا من القبائل أخذت تعبر عن استجابتها لأوامر العامل ، بما أنه يمثل السلطان القوي المولى الحسن . ولنأخذ فكرة عن ذلك فقد أجاب قواد أعراب الرباط محمد السويسي إلى طلبه في إلقاء القبض على ستة من الأعراب منهم قاموا بمخالفة ليست مذكورة في الوثائق ، وأرسل خليفته في طلبهم وهو الصديق برگاش فوجههم إليه ليودعهم سجن المدينة 18 .

وهكذا تميز عهد المولى الحسن بتعزيز نفوذ عامل الرباط كمدينة كانت ممرا أساسيا بين الشمال والجنوب ، وأضحت مكانا لتجمع القبائل الذاهبة إلى الحركات السلطانية . وهذا ما لم يكن موجودا في النصف الأول من القرن أو في عهد محمد بن عبد الرحمان . وهكذا خيم بالمدينة سنة 1892/1310 رجال من إيالة محد بن العربي الخرازي 19 وآخرون من إيالة القائد أحمد بن العربي المديوني 20 في انتظار تجمع مزيد من رجال القبائل ، استعدادا لانطلاق حركة هذه السنة وفيها أيضا انضاف إليهم آخرون من إيالة الحاج المعطي بن عبد الكبير المزامزي الذي أرسل إلى السلطان يخبره قائلا : «فأنهي إلى كريم علم مولانا أعزه الله أنه خيمت يوم تاريخه برباط الفتح بحركة إخواني وإيالتي» 21.
ولما حلت سنة 1893/1311 ، استعدت بعض القبائل للتوجه إلى الرباط قصد التهييء لحركة تنطلق من المدينة ، وأرسل القائد الأحسن بن ميمون الگداري إلى السلطان في رمضان يخبره : «وما ذكر سيدنا كله

17 - محفظة 102 - ظهير 9 شوال 1309.
18 - كناش 432 خلاصة رسالة 26 شوال 1315 ص 145 خ.م.
19 - محفظة 400 رسالة 28 شوال 1310 خ.م.
20 - محفظة 407 رسالة 27 شوال 1310.
21 - محفظة 403 رسالة 28 شوال 1310.

سار بالبال عن الحركة الميمونة عند السمع والطاعة إن شاء الله بقصد رباط الفتح» 22.

هذه الأمثلة تؤكد إذن الصبغة العسكرية للمدينة التي أشرنا إليه في الفصول الأولى والتي تعززت أكثر من قبل في عهد هذا السلطان . وكان من نتائجها إخضاع عدد من القبائل ، والتي كانت منها بجوار الرباط قبائل أصبحت تابعة لعامل المدينة . ففي ظهير تعيين عبد النبي السويسي سنة 1909 نجد أن منطقة نفوذه 23 ضمت كلا من جماعة الولالدة والمعاضيد والأعشاش وأولاد زيد والمغاني والفقراء وأولاد سيدي موسى بن علي ، وهؤلاء من أعراب الرباط ، بمعنى أن سلطة هذا العامل امتدت إلى حدود فضالة 24 .

ومنذ عهد المولى الحسن أصبحت هذه القبائل تقوم بدور حراسة الطرق إلى الرباط ذهابا وإيابا من خطر قطاع الطرق من القبائل المشاغبة 25 معززة الوضعية الاستراتيجية لهاته الحاضرة .

وما دمنا نتحدث عن المكانة التي ازدادت لعامل الرباط فلابد من الإشارة إلى أنه كان يتكلف داخل المدينة بجمع الجبايات ومنها ما كان يأخذه أمناء الحرف من الحرفيين ، ولكن هذه الجبايات التي كانت تسمى الفريضة كانت تشمل -زيادة على حصة كل صانع في الحنطات 26 حقوق الإستيراد والتصدير ورسوم الأبواب والأسواق . ومما يسترعي النظر أن الأمناء في مدينة طنجة مثلا هم الذين كانوا يتولون إرسال هذه المقادير إلى العاصمة مباشرة دون المرور بالقائد27. وهذه الملاحظة تجرنا إلى التساؤل عن مدى نزاهة عامل الرباط أو عن مدى استغلاله الفرص لتنمية ثرواته إذ كان بإمكانه اقتطاع جزء من هذه المداخيل لحسابه الخاص بكل سهولة 28 . ويمكن الرجوع إلى بعض الوثائق

---

22 - محفظة 500 رسالة 27 رمضان 1311.

23 - ظهير تعيين عبد النبي السويسي . انظر الوثيقتين 26 و 27 في الملحق.

24 - L. Mercier : **l'Administration Marocaine à Rabat. in archives marocaines Vol., VII** p. 350.

25 - كناش 123 : خ.م. نسخة رسالة 11 حجة 1301 إلى عبد السلام السويسي .

26 - L. Mercier : **l'Administration Marocaine à Rabat. in archives marocaines Vol., VII** p. 358.

27 - المرجع والصفحة نفسهما .

28 - أيضا .

المفيدة في هذا المجال ، ومنها نستنتج أن هذا الموظف الكبير لم يكن يتنزه عن القيام بعمل كهذا . ففي رسالة سلطانية حسنية إلى القائد الدهيمي يمكن أن نقف على ذلك إذ يقول السلطان : «وبعد وافى كتابك بأن الخديم السويسي لما أمر بشد عضدك على إخوانك صار يقبض على الأغنياء منهم بالمدينة ويقبض منهم الطمع وييسرحهم ...» 29 .

فقد أتت هذه الرسالة بما يحتمل تصديقه في أمر ارتشاء العامل ومع ذلك يمكن أن يكون كلام الدهيمي تحاملا وكذبا على السويسي .

وعلى كل حال كان المخزن من أجل الحد من استغلال العمال لنفوذهم في جمع الثروات يسلك سياسية معروفة ، فوظيفة العامل أو غيره من رجال السلطة لم تكن محددة المعالم ، فالوظائف تتداخل اختصاصاتها ولا تستقر إذ يمكن لخليفة العامل أن يتدخل في أمور العامل ويمكن للأمين أحيانا أن يقوم بمهمة الناظر ، وربما اضطلعا هما معا بمهام يكون مرجع النظر فيها إلى العامل ، وقد دلت الوثائق الكثيرة سواء في عهد المولى الحسن أو عهد المولى عبد العزيز على أمثلة متعددة من هذا التداخل في الإختصاصات . ويظهر أن المخزن كان يسلك هذه السياسة عن قصد حتى تقع مراقبة رجال السلطة بعضهم البعض لكي لا يستغلوا نفوذهم .

2 - أعيان السلطة الآخرون :

ازدادت الظاهرة التي لاحظناها منذ القرن الثامن عشر رسوخا ، فالأعيان الذين أسندت إليهم وظائف القضاء والنظارة والحسبة لم يكونوا طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين سوى أعضاء العائلات الوجيهة المحلية ، وعلى الرغم من أن بعض الأسماء كانت مغمورة في الماضي حسب ما أتى به الضعيف وأصحاب التراجم ، فإن عامل بروزها في النصف الثاني من القرن يرجع الى الضلاعة في العلم على الخصوص . لذلك تبوأ أفرادها منصب القضاء أما المحتسبون والنظار المغمورون فهم نادرون جدا .

---

29 - كناش 371 : خلاصة ظهير ربيع الأول 1303.

1.2 - القضاة :

بعد أن لاحظنا تولي الغرباء عن الرباط القضاء في عهد المولى عبد الرحمان تغيرت هذه الظاهرة بعد تنصيب القاضي عبد الرحمان البريبري سنة 1850/1266 ليصبح قضاة المدينة من الأسر المحلية بدون استثناء ، وهذا يدل كما سنرى في الفصل الخاص بالعلماء على كثرة الرباطيين المؤهلين لخطة القضاء ، خاصة وأن الشهادات تدل على كفاءتهم في هذا الميدان ، وهذا مؤشر أيضا على تطور الحركة العلمية بالمدينة خلال النصف الثاني من القرن . أما القضاة المتعاقبون في هذه المدة فهم بالتتابع .

- محمد بن ابراهيم : تولى القضاء بعد سلفه عبد الرحمان البريبري سنة 1864/1281 ومع أن أسرته كانت مغمورة فقد كان فقيها ومفتيا وخطيبا ومدرسا . وقد قال عنه بوجندار «إنه مشار إليه بالمشاركة في كثير من الفنون خصوصا الحديث والسير والمعاملة والفرائض والتوثيق والحساب بين جبر ومقابلة ...» 30 .

وقد تتلمذ على قضاة سابقين مثل القاضي بسير ، وخصص له تلميذه العربي الوزاني ترجمة في مؤلفه معجم الشيوخ .

وكان السلطان محمد بن عبد الرحمان قد «وجهه لقضايا كانت بينه وبين الأجناس بطنجة ليفصلها مع بعض العلماء ، فكانت له اليد البيضاء في ذلك» 31 « وكذلك السلطان مولانا الحسن رحمه الله كان عنده بمنزلة كريمة يرفع إليه القضايا من فاس ومراكش فيفصلها» 32 .

وقد استمر في هذه الخطة 16 سنة إلى وفاته سنة 1879/1297.

- الحاج أحمد بن عبد السلام ملين : خلف سابقه مباشرة بعد وفاته ، ومكث في منصبه عده سنوات ، بحيث كان سنة 1885/1302 لايزال كذلك 33 . وقد اشتغل ملين بالتدريس وبالتجارة قبل أن يتولى القضاء وهو ينتمي إلى تلك الأسر الأندلسية التي ساهمت بحظها في تاريخ

30 - بوجندار الإغتباط ص 197 . تعطير البساط ص 38 انظر الوثيقة 9 في الملحق .
31 - بوجندار الإغتباط ص 197 . تعطير البساط ص 199.
32 - بوجندار الإغتباط ص 197 . تعطير البساط ص 199.
33 - بوجندار : الإغتباط ص 54 تعطير البساط ص 39 ومصطفى بوشعراء الإستيطان والحماية ج 2 ص 793 وأيضا دينية : مجالس الإنبساط ص 214.

المدينة منذ القديم.

- محمد بن عبد الرحمان البريبري [34] هو ابن القاضي عبد الرحمان الذي رأيناه في عهد السلطان المولى عبد الرحمان، تولى القضاء بعد القاضي ملين مباشرة سنة 1888/1305 وظل أكثر من عشر سنين وقد تتلمذ على والده واشتغل بالتدريس بل توليته القضاء، وقال عنه بوجندار «بيته بيت مروءة وحسب ونسب ونزاهة» [35] توفي عام 1908/ 1326.

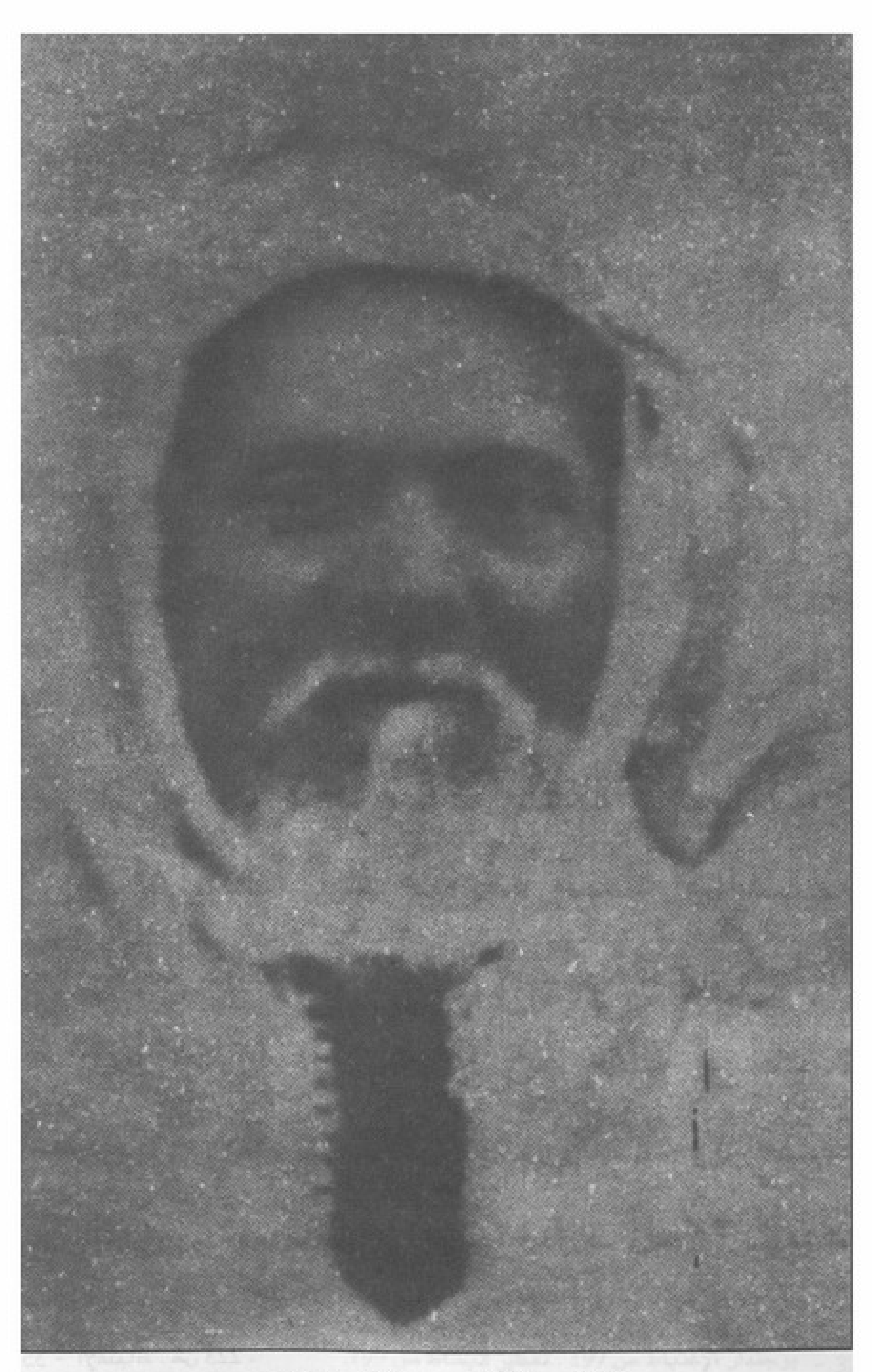
- علي دينية: أسرة دينية أندلسية، أصلها من مدينة دانية، وقد وصف بوجندار هذا القاضي فقال: «... بيته من البيوتات الرباطية ذات المجد والشأن، الشهيرة بالعلم والعرفان، إلى الآن ...» [36] وقبل أن يتقلد القضاء كان عدلا بالمرسى وبالسماط ثم صار كاتبا لعبد السلام السويسي، كما كان مفتيا، شغل منصب القضاء ثلاث سنوات من 9 ذي الحجة 1899/1316 إلى 23 شعبان 1902/1319، رافق عبد السلام السويسي في سفارته إلى مدريد سنة 1294 [37] وقد خصص له ابنه محمد صاحب مجالس الانبساط حيزا كبيرا في مؤلفه.

- أحمد بن محمد بناني: تقلب في عدة وظائف، قضى نحو ثلاثين سنة في العدالة. وفي سنة 1882/1300، عين عدلا برسى الرباط لمدة خمس سنوات، ولما توفي القاضي ابن ابراهيم عينه السلطان المولى الحسن إماما للزاوية الناصرية وخطيبها [38] وتكلف بالوعظ والتدريس بها، وتولى القضاء بالرباط تداولا مع سابقه سنة 1900/1317 وبقي فيه خمس سنوات إلى 1322.

- المكي البطاوري " المعروف بالشرشالي نسبة إلى شرشال بالجزائر وينتمي إلى الشرفاء الأدارسة. ولهذه الأسرة وجود قديم بالرباط، إذ كان أحد أجداد المكي معاصرا للسلطان محمد بن عبد الله. أما تسلسل نسبه فهو المكي ابن الفقيه محمد ابن الفقيه علي ابن عبد

---

34 - الإغتباط. ص 223 - تعطير البساط ص 41 - مجالس الإنبساط ص 288.
35 - الإغتباط. ص 223.
36 - تعطير البساط. ص 42. الإغتباط ص 446.
37 - مجالس الانبساط. ص 279.
38 - الإغتباط، الصفحات من 77 إلى 79.



القاضي الشيخ محمد المكي البطاوري

الرحمان البطاوري ، وكان جده علي المتوفي سنة 1267 خطيبا بمسجد مولاي سليمان. 39 وكلف الشيخ المكي بتعليم أبناء مولاي رشيد بن عبد الرحمان بن هشام ، ثم أصبح عدلا بمرسى الرباط ، وبعدها عدلا بمرسى طنجة ، ثم كاتبا لصهره النائب محمد بركاش لمدة عشر سنوات ، وقد توجه معه إلى مدريد عند انعقاد مؤتمر 1880 ، وبعذ ذلك سافر إلى فرنسا وانجلترا 40 وفي سنة 1905/1323 أسندت إليه خطة القضاء بالرباط ومكث فيها تسع سنوات ، وقد عرف بالعلم الغزير وبالكفاءة في خطته التي دام فيها إلى 1913 .

2.2 - المحتسبون

رأينا أن محمد بن العباس الزكي كان قد تولى خطة الحسبة في عهد السلطان السابق ، ومكث كذلك حتى سنة 1875/1292 . أما المحتسبون الذين خلفوه فهم على التوالي :

إسم المحتسب	سنة التولية	سنة الإعفاء	مدة الحسبة
الجيلاني الكراري العدلاني 41	1875/1292	1881/1298	6 سنوات
الحاج عبد الخالق فرج 42	1881/1298	1910/1328	29 سنة
العربي الزبدي 43	1910/1328	1911/1329	أقل من سنتين
أحمد الشرايبي 44	1911/1328	1912/1330	" "

لقد سبق أن تعرفنا على أسرتي فرج والزبدي ، أما الأسر الأخرى الممثلة في هذا الجدول فهي أقل شهرة كالكراري أو من الأسر المنتمية إلى مدن أخرى . فأسرة الشرايبي 45 أسرة فاسية هاجرت في وقت غير معروف إلى الرباط . ومن المرجح أنها هاجرت من فاس في القرن

39 - نفس المرجع ص 444.285.188.180 وأيضا تعطير البساط ص 46 .49.
40 - المرجع الأخير ص 49.
41 - عبد الله السويسي : تاريخ رباط الفتح ص 229.
42 - كذلك. أنظر الوثيقة رقم 18 في الملحق.
43 - أيضا.
44 - أيضا.
45 - بوجندار : الإغتباط ص 18.

الماضي ، نظرا لعدم وجود هذا الإسم لا عند الضعيف ولا عند من ترجموا للأعلام الرباطيين الذين عاشوا قبل القرن التاسع عشر وخلاله .

أما أسرة الكراري فهي قديمة الوجود بالرباط ، إذ أن أول اسم منها وهو أحمد بن محمد الكراري المتوفى سنة 1725/1138 يعود إلى عهد المولى إسماعيل وهو صاحب الضريح بالرباط [46] وقد تناسلت ذريته بالمدينة .

ومما يثير الإنتباه طول مدة الحسبة لدى الحاج عبد الخالق فرج التي امتدت على طول 29 سنة ، وهذا يدل على المكانة التي كان مخزن المولى الحسن وخاصة مولاي عبد العزيز يضعه فيها ، وقد كلفه كل من السلطانين بشتى المهام في الدولة [47] .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض هؤلاء المحتسبين كانوا قد تقلبوا في عدة وظائف ، فكان الكراري أمينا لمستفاد الرباط قبل أن يصبح محتسبا. والأمر نفسه بالنسبة لعبد الخالق فرج ، أما العربي الزبدي فقد كان أمينا للحسابات وهو ابن محمد بن الطاهر صاحب انتفاضة سنة 1845، كل هذا يدل على أن مثل هذه الوظائف الكبرى كانت تسند لنخبة معينة قليلة الأفراد .

3.2 - النظار

ظلت الأسر الرباطية مسيطرة بصفة مطلقة على وظيفة النظارة كما يتبين من الجدول الموالي :

---

46 - أيضا .

47 - عدة معلومات متعلقة بمهام المحتسب عبد الخالق فرج منها التكليف بجمع أموال الحركات من قواد القبائل والمشاركة فيها والإشراف على عدة خدمات مخزنية . كنانيش 734.234.432.776 خ.م.

الناظر	فترة النظارة	المدة
الحاج أحمد غنام 48	1867/1284 - 1848/1265	19 سنة
محمد غنام 49	1885/1303 - 1868/1285	18 سنة
الحاج عبد القادر المعموري 50	1898/1316 - 1886/1304	12 سنة
المكي بن عبد الرحمان والزهرا 51	1902/1320 - 1899/1317	3 سنوات
محمد بن عبد القادر غنام 52	1909/1327 - 1902/1320	6 سنوات
الحاج محمد الأزرق 53	1911/1329 - 1909/1327	سنتان
الحاج عبد الخالق فرج 54	1912/1331 - 1911/1330	سنة واحدة

يتأكد من هذا الجدول بروز أسرة غنام التي تقلد الحاج أحمد فيها النظارة في عهد السلطان مولاي عبد الرحمان كما مر بنا . وقد استمر في هذه الخطة مدة طويلة حتى خلفه ابنه محمد الذي مكث فيها بدوره مدة مماثلة لسلفه تقريبا وهي 18 سنة في عهدي محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن . وبعد انتهاء عمله في هذه الوظيفة بنحو ثلاث سنوات تولاها عضو آخر من هذه الأسرة هو محمد بن عبد القادر . وهكذا نجد أن عائلة غنام قد احتكرت بحق منصب النظارة خلال النصف الثاني من القرن وبداية القرن الحالي ، واستطاعت أن تحرز مكانة مرموقة سواء في مدينتها من ضمن الأسر الكبرى أو لدى المخزن الذي قرب إليه بعض أعضائها وكلفهم بمهام مختلفة . واستفادت أسرة غنام من هذه المكانة لتحقق ثروة مهمة ، فهي من الأسر التي اغتنت في القرن التاسع عشر 55.

ونلاحظ في الجدول اسم والزهرا وهو عبد الرحمان ابن الناظر الحاج محمد الذي تقلد النظارة في النصف الأول من القرن . وهكذا نجد أن هذه الوظائف الكبرى في المدينة كانت في غالب الأحيان تورث من الأب للإبن ، وقد لوحظ ذلك في القيادة والحسبة والقضاء إلى جانب خطة النظارة . وهذا يبين أن تسيير المدينة وإدارتها كانا موكلين إلى

من 48 إلى 50 Louis Brunot : La mer ... p : 236-238
من 51 إلى 53 مجالس الإنبساط ص 246-247
- 54 L. Brunot , Op. Cit. p. 238
- 55 **Livre d'or du Maroc, dictionnaire des personnalités passées et contemporaines du Maroc 1934-1935. p. 34.**

أسر وجيهة محلية تجمعت فيها أحيانا مختلف وظائف السلطة .

أما الأسماء التي لم تكن مذكورة من قبل فهي أسرة المعموري وأسرة الأزرق ، وبينما لا توجد معلومات عن الأسرة الأولى ، يقول بعض المهتمين بأنساب الرباطيين أن الأسرة الثانية ذات الأصل المكناسي ربما هاجرت إلى الرباط خلال القرن الماضي [56] وعلى كل حال تأصلت في المدينة واشتهرت بغناها وأملاكها داخل الرباط .

ويخبرنا الجدول أعلاه بتقلد عبد الخالق فرج لهذه الخطة بعد أن رأيناه محتسبا لمدة طويلة ، وهو شخصية فريدة في الحقيقة ، لأنه جمع بين ثلاث وظائف في آن واحد [57] زيادة على المهمات التي كان يكلفه بها المخزن خارج الرباط .

لقد كونت هذه النخبة من الأعيان جماعة لم تكن السلطة المقياس الوحيد لبروزها ، إذ كان الحسب والنسب يفرضان وجودهما في هذه الجماعة . ويمكن القول إن عنصري السلطة والعائلة قد تداخلا لدى هذه الأسر منذ القرن الثامن عشر على الأقل ، فلم تفتأ السلطة تبرز بعض العائلات على مر العقود والأجيال ، وكانت شهرة العائلة مدعاة لاختيار المخزن أيضا أعضاء السلطة منها.

وبفضل هذه الحظوة تمكنت هذه الأسر من تكوين ثروات وأملاك خلقت قاعدة مادية استند عليها الأبناء بعد ذهاب آبائهم ، وكثير من أزقة المدينة ودروبها حمل أسماء هذه الأسر دليلا على أهمية المباني السكنية التي أقيمت في بعض أحيائها العتيقة مثل زنقة فرج ودرب والزهرا ودرب غنام ودرب العدلاني ودار الأزرق .

كما أن بعض الأراضي الخارجة عن المدينة تسمت بهم مثل أرض سويسية ، وأرض زبدية ، أو جنان برگاش وغير ذلك من العقارات التي نصادف أسماءها في الرسوم القديمة .

وقد بينت بعض التركات أن ثروات هؤلاء الأعيان كانت كبيرة ولكن دون أن يبلغوا ثراء فاحشا . فهناك فرق عظيم بين علية موظفي المخزن من الوزراء والحجاب ، وبين أصحاب السلطة المحلية . ويكفي

---

56 - أنظر مجالس الإنبساط ص 291.

57 - محفظة 21.خ.م. رسالة أمين المستفاد إلى السلطان : الوثيقة رقم 10 في الملحق.

دليلا على ذلك ما استطاع وزراء آل الجامعي والبواخر من آل موسى بن مبارك ، وخاصة الحاجب أحمد بن موسى ، أن يشيدوه من قصور صرفت عليها مقادير باهضة من الأموال .

ولنأخذ فكرة عن المستوى المادي لهؤلاء الأعيان أي رجال السلطة المحلية الرباطيين من عمال وقضاة ومحتسبين ، يجدر بنا أن نتعرف - قدر الإمكان - على أجورهم ، ثم على ما كان لهم من ثروات انطلاقا من وثائقهم الشخصية إن توفرت .

ويذكر ميرسيي Mercier أن قائد الرباط كان يتقاضى في حوالي 1906 أجرا شهريا قدره 100 ريال دورو وهو ما يساوي 500 بسيطة ، وكان الريال في الرباط يتكون آنذاك من 14 مثقالا [58] ولتكوين تصور عن قيمة هذا الأجر فإن ثمن أمة كان 50 ريالا سنة 1908 [59] وكان بإمكان عائلة متكونة من ستة أفراد أن تعيش عيشا متوسطا ب 25 أو 30 ريالا في الشهر[60] وهكذا فإن الراتب الذي كان يتقاضاه العامل كان أجرا محترما يضمن له العيش الكريم ، دون أن يكون كافيا لضمان الغنى لصاحبه . وهذا ما يدعو إلى البحث عن عامل آخر كان هو سبب غنى هؤلاء الأعيان ، هل كان هو استغلال النفوذ ؟ أم كان هو الإرث من السلف ؟ فعلى سبيل المثال كان القائد عبد السلام السويسي يمتلك عرصة شاسعة قرب نهر أبي رقراق شمال المدينة .

كان قائد المدينة يقبض أعلى أجر مقارنة مع أصحاب الوظائف المحلية فالمحتسب الرباطي كان له راتب قريب من أجر العامل وهو 90 ريالا[61] . أما القاضي فلم يكن يتقاضى سوى 30 مثقالا يأخذها من الأحباس ولكن كان له تعويض مهم ، في حين كان الناظر في الرباط سنة 1906 لا يتعدى أجره 45 ريالا [62] .

---

58 - Louis Mercier : L'Administration Marocaine ..., in Ar. Mar, Vol. VII p. 358

59 - وثائق فرج - رسالة 8 رمضاء 1326.

60 - رسالة القاضي أحمد الزعيمي إلى ابنه محمد في 28 رمضان 1324 (وثائق خاصة) أنظر الوثيقة 22 في الملحق.

61 - L. Mercier .L'Administration ..., in, Ar. Mar.Vol. VIII p. 391

62 - كذلك.

أجور رجال المخزن المحليين تدعو إلى أن نتصور المستوى المتوسط الذي كان عليهم أن يعيشوا فيه ، لكن من الناحية العملية تدل تركاتهم على أنهم عاشوا في مستوى أحسن مما نتصور .

وبالإضافة إلى ما كان العمال يلتجئون إليه من طرق لتحقيق المداخيل الإضافية [63] كان الموظفون الآخرون يلتجئون إلى الطرق نفسها . وكان المخزن عالما بسلوك موظفيه ، وتدل كثير من الوثائق من جهة أولى على التساهل في محاسبته لهم وتظهر من جهة أخرى أنه كان يمكن أن يصادر ثرواتهم بعد موتهم أو بالأحرى كل الأموال التي جمعوها إبان خدمتهم ، ويترك لهم ما يعتقد أنه كان ملكا لهم قبل تقلدهم للمنصب المخزني . فمثلا بعد وفاة عامل الشمال بوسلهام بن علي استولى المخزن على ثرواته التي قدرت ب 5 ملايين فرنك ذهبي [64] .

وبدون شك كان ذلك يصيب أيضا عائلات عمال الرباط بعد وفاتهم، وكما أن العامل كان بإمكانه الإستغناء بطرق غير مشروعة كانت تتاح للناظر والمحتسب الفرص نفسها . فكان الناظر على سبيل المثال وهو المتصرف في أموال الأحباس يشرف على جباية الأموال من كراء العقارات وبيع فواكه العرصات المحبسة وثمارها والحوت الشابل، وهو الذي يدفع أجور الرباعة المشتغلين في العرصات ، ورواتب الأئمة والمؤذنين والحزابين . كما كان يتصرف في دخول مالية أخرى مثل كراء بهائم السقي [65] .

أما المحتسب فنظرا لاتصاله بأهل الحرف والصنائع والتجار فكان له فرصة تلقي الهدايا . ويذكر ميرسيي Mercier أن محتسبي الرباط كانوا يقبضون من أمناء البقالين عينات من الأغدية كل صباح بدعوى تجربتها ، ولكن المحتسب عبد الخالق فرج أبطل هذه العادة [66] .

63 - محفظة 4. ملف 10. ظهير 18 شعبان1256 حول احصاء متروك عبد السلام السلوي .
64 - ar. A.E.F. corres. com : Tanger 1848-1851 dépêche de 23 Février 1851
65 - رسالة من الناظر أحمد غنام إلى السلطان محمد بن عبد الرحمان في 28 ربيع الأول 1283 في حوزة المرحوم الأستاذ عياش، أنظر الوثيقة 8 في الملحق.
66 - L. Mercier:L'Administration ..., in, Ar. Mar.Vol. VIII p. 391

وعلى الرغم من أن المخزن لم يكن يتشدد مع أصحاب السلطة فإنه كان يعمل جهده للحد من استغلال نفوذهم في هذا المضمار بأن يجعلهم مراقبين لبعضهم البعض-وكانت وظيفة أمين الحسابات تدخل في هذا الإطار- فكان النظار يترقبون المحاسبة بين الفينة والأخرى . وهكذا قام الحاج محمد الزبدي أمين الحسابات بمراقبة الناظر محمد والزهرا وقد ساعده في ذلك الأمين زنيبر وأحد العدول67.

وكان الناظر في عهد مولاي عبد الحفيظ لا يقبض كراء الأحباس بمفرده بل بحضور العامل وعدلين كما تبين من بيان سجله الناظر عبد الخالق فرج في كناش الأحباس 68 .

وكان العامل أو خليفته يراقبان أيضا المحتسب من بعيد ، وكانت تداخلات اختصاصات أمناء المرسى والعامل والمحتسب وأمين المستفاد من وسائل المخزن لمراقبة موظفيه الكبار بعضهم البعض.

وبيانا لذلك لابأس من أن نسترشد بإحدى الوثائق الخاصة وهي عبارة عن تركة 69 تخص المحتسب العدلاني الكراري المثبت في جدول المحتسبين أعلاه .

فعندما توفي هذا الأخير سنة 1881 ترك أملاكا يمكن بإلقاء نظرة عليها أن نتعرف على المستوى المادي له ولأمثاله من المحتسبين ولرجال السلطة الموجودين في مرتبة المحتسب بكيفية عامة . وقد امتلك ما يأتي:

---

67 -كناش 3208 - ظهير 4 شوال 1261 : خ.م. غير مرقم .

68 -كناش 819 - صائر الأحباس الكبرى على يد السيد عبد الخالق فرج.

69 - تركة العدلاني الكراري في حوزة صاحب الرسالة ، وهي مؤرخة في مرحلتين الأولى في أوائل 1302 ، والثانية في جمادى الأولى 1305 ، وقد قومها نائب الأيتام محمد ابن مسعود والعدل الحاج محمد بن المكي الغربي.

النوع	الموقع	الثمن
دار	زنقة سيدي بن عيسى	18 000 مثقالا
نصف دار	زنقة سيدي بن عيسى	1440 مثقالا
دار صغيرة	زنقة سيدي بن عيسى	720 مثقالا
دار صغيرة أخرى	زنقة سيدي بن عيسى	1440 مثقالا
نصف دار بوعبيد	زنقة بناصر الكراري	600 مثقالا
نصف دار صغيرة	متصلة بدار بوعبيد	360 مثقالا
حانوت بقالية	أمام الدار السابقة	960 مثقالا
المجـــــمـــــوع		23 520 مثقالا

وترك المحتسب عددا من الأراضي والجنانات يبرزها الجدول الآتي :

النوع	الموقع	الثمن
أرض	متصلة بعرصة افلوريش	1500 مثقال
أرض بلگناوي	داخل باب القبيبات	1500 مثقال
جنان	قرب مسجد السنة	720 مثقالا
جنان الطرابلسي	قبالة سور باب شالة	2400 مثقال
جنان	متصل بجدار مسجد حسان وبجنان العياشي وجنان بن موسى	1200 مثقال
جنان	متصل به غربا	1200 مثقال
المجـــــمـــــوع		8520 مثقالا

وقد قومت مجموع هذه الأملاك ب 32922 مثقالا إذا أضفنا مداخيل كراء بعض الدور الذي لم يكن قد سدد بعد ولمدة عام .

لم تكن هذه الأملاك موروثة ، لأن تركة العدلاني تذكر أنه توفي في

حياة والده ووالدته وزوجته عائشة بنت محمد البوعمروي ، معنى هذا أن المحتسب اكتسب هذه الأملاك في مدة عمله فقط وقد أشرنا أيضا إلى أنه قبل توليه خطة الحسبة كان أمينا للمستفاد في بداية عهد مولاي الحسن سنة 1873 [70] .

وإذا أردنا أن نقيم أملاكه فهي - بالإضافة إلى ما تعنيه من تعدد وتنوع - لايمكن أن نقول إنها تعبر عن ثروة كبيرة إذا نظرنا إلى رقم 32922 مثقالا أو 2743 ريالا (باعتبار 12 مثقالا في الريال كما نصت عليه التركة نفسها) ويجوز القول أيضا من خلال قيمة الأملاك أن الأراضي والدور كانت ذات أثمان منخفضة جدا بالقياس إلى أثمان بعض المشتريات المجلوبة من الخارج على سبيل المثال في ذلك الوقت .

70 - مجلة الوثائق . ج 3. رسالة أمناء العدوتين إلى أمين الأمناء مؤرخة ب 9 قعدة - ص 405 و 406.

الفصل العاشر
مكانة العلماء والأشراف والمرابطين من بين الأعيان الرباطيين

كانت الترجمة للعلماء والأولياء يقصد بها الثواب استنادا الى حديث ضعيف : «من ورخ عالما فكأنما أحياه» ، كما كان يراد بها التبرك والدعاء لأن بذكرهم تنزل البركات كما يقول الهاجيوغرافيون .

ولقد خصص أصحاب التراجم أكبر حيز في مؤلفاتهم للعلماء ، بل إنهم اعتبروا أن لفظة الأعيان تنطبق عليهم بالدرجة الأولى . وهذا الوصف قديم جدا وليس خاصا بالمغرب ، ويكفي للدلالة على ذلك أن نذكر كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان الذي عاش في القرن السابع الهجري أي الثالث عشر الميلادي [1] والذي صنف كلا من الفقهاء والمفتين والأئمة والمدرسين والأطباء والقضاة والشعراء واللغويين والأدباء والخطباء والصلحاء وكذلك الأمراء وندماء الملوك [2] فجعل كل هؤلاء هم الأعيان . وإذا تصفحنا ما كتبه المؤلفون المغاربة في القرن التاسع عشر نجد أن اللفظة لا تختلف عن المعنى السابق . إذ أن الأعيان عند هؤلاء هم الجديرون بالذكر ، والمستحقون له هم العلماء والشرفاء والصلحاء أما أفضل الأعيان فهم الأشخاص الذين جمعوا بين العلم والشرف والصلاح ، ويدخل كذلك في لفظة العلماء كل من الأئمة والخطباء والمدرسين والقضاة والعدول.

وفي أحيان قليلة يقحمون رجال السلطة الذين عرفوا بالإستقامة والصلاح ضمن طائفة الأعيان من قواد ومحتسبين ونظار ، ولا نجد على سبيل المثال جماعة التجار مذكورة لدى هؤلاء إلا إذا اتصفوا أيضا بصفات الصلاح والتقوى .

وهناك فرق بين نظرة أصحاب التراجم هؤلاء وبين من يمكن أن نطلق عليهم المؤرخين والرواة .

ولنأخذ مثلا نظرة أحد المؤرخين وهو أكنسوس . فقد قال عند بيعة السلطان المولى عبد الرحمان : « فاجتمع أعيان فاس من الشرفاء والعلماء ، والقاضي الشريف مولاي أحمد العلوي ، والمفتي العلامة سيدي محمد بن ابراهيم ، والتاجر الأمين الحاج الطالب بن جلون ،

---

1 - وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان لشمس الدين أحمد بن خلكان .تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت 1968.

2 - أيضا.

والعلمـاء والأشـراف وكبـراء الدولة من الأوداية والـعبيـد » 3 فالأعيان ضموا كل هؤلاء أي ليست هناك خصوصية ينفردون بها عدا كونهم ممن يستحقون الذكر لسلطتهم أو تجارتهم أو علمهم أو شرفهم وسواء كانت سلطتهم مدنية أو عسكرية .

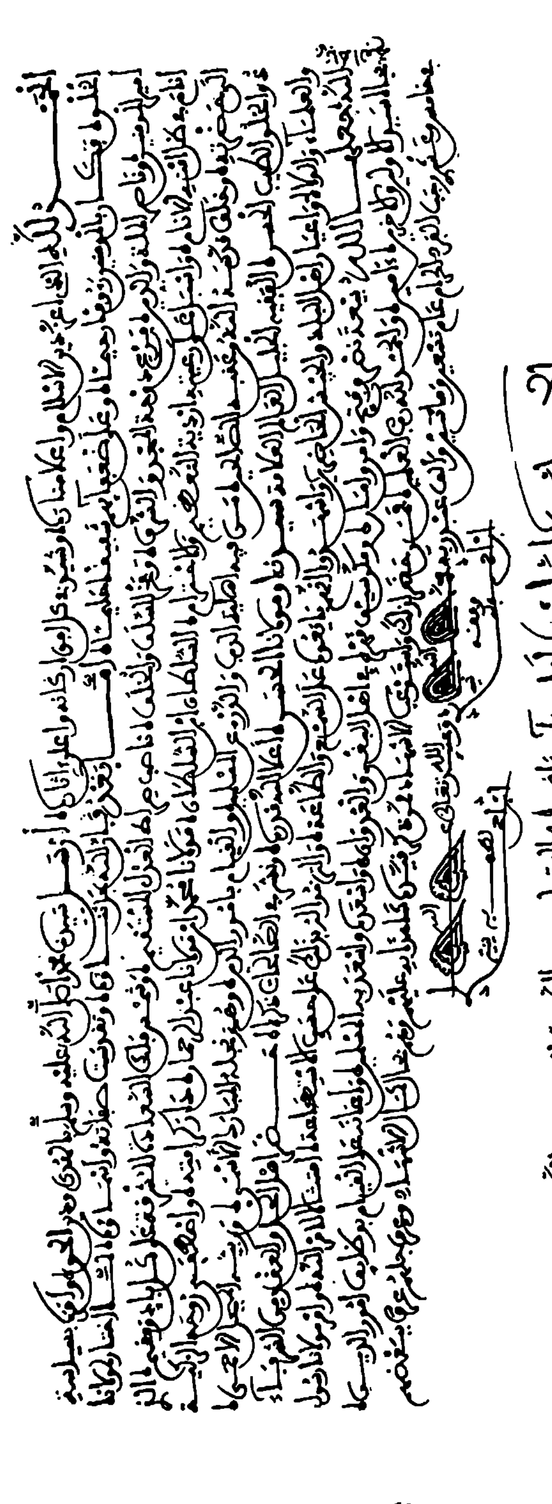
وهذا التعميم نجده عند مؤرخين آخرين ، فمحمد بن ابراهيم السباعي عبّر عن ذلك عندما وصف بيعة المراكشيين للسلطان المولى الحسن قائلا : تلقاه أعيان مراكش من أشراف وعلماء ورؤساء وقضاة قبل وصوله البلدة المسماة الحوز » 4 .

وهكذا كانت لفظة الأعيان غير مقتصرة على صنف واحد بل على عدة أصناف . وهذا ما ظهر في الفصول السابقة وستظهر تتمته في الفصول اللاحقة . إذ لا يسعنا انطلاقا من ذلك إلا أن نتتبع كل هذه الأصناف من الأعيان الذين عاشوا في المجتمع الرباطي في الفترة المدروسة . فنظرة المخزن إلى المجتمع ونظرة المؤرخين الذين وصفوا مجتمع القرن الماضي وعاشوا فيه تبينان أن هذا المجتمع كان مقسما قسمين : أعيانا وعامة .

فداخل الأعيان نجد الكبراء والرؤساء وأهل الحل والعقد والخاصة ، وضمن العامة نلقى الأمّيين والبسطاء والمهمشين وكذلك الغوغاء .

1 - العلماء : ليس الغرض طبعا دراسة موضوع العلماء دراسة شاملة تستقصي كل الجوانب المتعلقة بالعلم والعلماء بل الغرض هو إبراز أدوار العلماء الرباطيين في مجتمع مدينتهم وربما بلادهم ، وتتبع مواقفهم كأعيان سواء كانت هذه المواقف انفرادية أو جماعية ، وكذلك علاقتهم مع الأعيان الآخرين ومع المخزن ومع العامة ، ورصد أفكارهم بخصوص مستجدات القرن التاسع عشر ، وذلك لنرى مدى تأثيرهم في الحياة السياسية والإجتماعية للمدينة .

3 - اكنسوس : الجيش العرمرم الخماسي . ص 181. مخطوط خ.ع. رقمه 965.
4 - محمد بن ابراهيم السباعي : البستان الجامع : مخطوط خ.ع. رقمه ح 114 ، ص 426.



صورة النص الأصلي لبيعة اهل الرباط للسلطان مولاي الحسن الأول

لقد أثرنا موضوع العلماء من قبل عرضا عندما تطرقنا للقضاة ، أما العلماء الآخرون فهم مختلفون عن القضاة لأنهم لا يمثلون السلطة المخزنية . ومع ذلك شغل بعضهم مناصب مخزنية ، ومنهم من اقتصر على التدريس والتأليف أو الوعظ والإمامة والخطبة في المساجد والزوايا والإفتاء والإنتصاب للشهادة أو العدالة . وقد نجد منهم من مارس الكتابة مع أحد رجال المخزن سواء داخل المدينة أو خارجها .

وإن من مظاهر أهمية جماعة العلماء تحرير نصوص بيعات السلاطين والعمل على إقناع الرأي العام بتقديم البيعة لسلطان ما . وأثناءها تبدو جماعة المبايعين كهيأة منسجمة بالرغم من تعدد عناصرها واختلاف مستوياتهم الثقافية ، ويكون العلماء في مقدمة هذه الهيأة أو ما كان يعرف بأهل الحل والعقد في المدينة بما أنهم ينشؤون نص البيعة فينوبون عن سكان المدينة في صياغة هذا العقد بين السلطان ورعيته ، وفي كثير من الأحيان وكما رأينا سابقا ، لم يكن علماء الرباط يوافقون على بيعة سلطان ما لمجرد مصادقة علماء العاصمة على اختياره [5] ، ولم ينفردوا برفضها أو بالتخلف عنها .

والدور الثاني للعلماء هو التوعية والتأطير الديني والإجتماعي . فكان القاضي في آن واحد خطيبا وإماما في المساجد ، ومدرسا للعلم في المساجد والزوايا والمدارس ، ناشرا للثقافة الوقتية وقد يقوم العالم بهذه الأدوار دون ممارسة القضاء . ويظهر الدور الإجتماعي للعلماء أيضا في احتياج المجتمع إليهم في المعاملات الجارية بين الناس عندما يلتجئون إلى العدول والموثقين لتحرير عقود الزواج والطلاق والمعاملات التجارية والإراثة ... الخ خصوصا وأن الكثير من العدول كانوا علماء . كما أن من بين العلماء - وإن أطلق هذا الوصف أحيانا بشيء من التجاوز - كان يوظف الكتاب الإداريون الذين لا محيد عنهم في مختلف الوظائف المحلية والمركزية .

وقد اضطلع علماء الرباط بدور كبير في الحركة العلمية التي برزت في النصف الثاني من القرن الماضي في المدينة أي أنهم جددوا

---

5 - العروي : الأصول الإجتماعية ص 199 الى 201.

النهضة العلمية بها بعد فترة طويلة من الركود ، وأظهروا مواقف سياسية بعد فترة من السلبية ، وكونوا مدرسة علمية ناهضة .

وتأتي خصوصية علماء الرباط في هذه الفترة من كون مدرستهم لم تعد تابعة لفاس مثلما كان الأمر بالنسبة لتطوان ومراكش من حيث الإشراف الذي كان لجامعة القرويين عليهم [6] .

فبعد بروز علماء رباطيين نهلوا من علوم جامعة فاس وتتلمذوا على أساتذتها ظهر جيل أخذ مباشرة عن أساتذة الشرق العربي دون المرور بفاس مثل أحمد جسوس وأحمد بناني سالفي الذكر.

ويمكن القول إن رائد الحركة العلمية التي ظهرت بالرباط في النصف الثاني من القرن هو :

الشيخ إبراهيم التادلي : إسمه ابراهيم بن محمد بن عبد القادر التادلي ، سليل الولي سيدي جابر بن سليمان دفين تادلا وصاحب الضريح المشهور هناك [7] وأمه بنت القاضي صالح الحكموي سالف الذكر . فبعد أن درس بفاس نحو خمس عشرة سنة انتقل إلى مكناس ومراكش حيث أخذ عن علمائها وفي سنة 1859/1278 رحل إلى المشرق وتتلمذ على شيوخ كل من الأزهر والحرمين الشريفين .

كان الشيخ التادلي مجددا فهو لم يكتف بالعلوم التي أخذها في البلاد العربية بل زار إسبانيا وأخذ عن علمائها بعض العلوم الحديثة [8] وتعلم مبادئ بعض اللغات الأجنبية [9] . وهذه مؤشرات على هذا التجديد الذي بدأ يظهر لدى علماء الرباط والذي كان انفتاح المغرب على الخارج من مظاهره كما يبدو .

ولما رجع التادلي إلى مسقط رأسه قام بالتدريس فيه مدة تقرب أربعين سنة. وقد قال عنه بوجندار : «أما في الرباط فليس فيه أحد إلا وله عليه منة التعليم إما مباشرة أو بواسطة أو بهما معا» [10] «وزادت

---

6 - أيضا.
7 - عبد الله الجراري : سلسلة شخصيات مغربية عدد 5 ص 11.
8 - أيضا . ص 12.
9 - العروي : الأصول الإجتماعية ... ص 200.
10 - بوجندار : الإغتباط.... ص 246.

تآليفه عن مائة وعشرين مؤلفا ، لكن غالبها لم يتم ربما بسبب دروسه وتلاميذه» 11 .

ونظرا لشخصية هذا العالم وعدم تقوقعه داخل القوالب المحافظة والتقليدية ، ولأسفاره إلى الشرق وأوربا استطاع أن يدرك مدى الأخطار المحدقة بالعالم الإسلامي الذي كان يواجه الإمبريالية الأوربية . ولم يعبر عن ذلك بقلمه فقط بل حرر رسالة وقعها أعيان مدينة الرباط وحملها إلى السلطان عبد الحميد التركي قصد ربط علائق المغرب بتركيا عندما أحس بخطر الإستعمار وتكالبه على البلاد الإسلامية 12 خاصة وأن تركيا كانت تحاول جعل ممثل لها في المغرب 13.

وفي سنة 1886 رحل مرة أخرى إلى تركيا ليس لأجل الدراسة وإنما لمواكبة التطورات الجديدة الطارئة ، بالإحتكاك مع الأجنبي وما كان لذلك من تأثير على الأوضاع ، فاجتمع مع عدد من الدعاة والمصلحين وكبار العلماء قصد الإطلاع والإستفادة من النهضة الإسلامية الناشئة وملامحها الجديدة هناك . وقد سعى إلى ربط العلاقات من أجل البحث عن سبيل تفادي التدهور ، وقد استقبله السلطان العثماني وأظهر له كرما كبيرا 14 .

ونظرا لاتصال التادلي بالأوربيين ولأسفاره أصدر بعض التآليف التي لم تكن رائجة في المغرب ، فكتب تأليفا في تفسير بعض اللغات مثل لغة الفرس والترك والفرنسية والإنجليزية والبربرية ، ووضع أيضا كتبا جديدة في مواضيعها مثل رسالة في البوصلة البحرية وأخرى في علم الجغرافيا ... الخ 15 .

وقد كان لهذا العالم تأثير كبير على تلامذته الذين أصبحوا بدورهم من أكبر علماء المدينة من بعده ، فمنهم من تلقى العلم من الشرق ولم يتوجه إلى القرويين للدراسة مثل أحمد گسوس الرباطي المتوفى سنة

---

11 - الجراري المرجع السابق ص 13.

12 - كذلك ص 27.

13 - اختير السيد ابراهيم السنوسي لهذه المهمة وتوفي سنة 1887 المرجع الأخير ص 28 - 29

14 - كذلك .

15 - محمد المنوني : مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 1 ص 253-254 الطبعة الأولى، الرباط ، 1973.

1912 حيث درس في الأزهر ، وفعل الشيء نفسه العالم أحمد بناني الرباطي المتوفى سنة 1921 . وهكذا كانت مدرسة الرباط أشد انفتاحا من مدرسة فاس قبل أن تصبح الرباط عاصمة [16] .

لا يعني التوجه إلى الشرق مباشرة الميزة الوحيدة للمدرسة الرباطية بل كان النهوض بالعلوم والدفع بالحركة العلمية ميزتها الأساسية فقد برز فيها علماء تلقوا علومهم على يد أساتذة هاته المدينة وفاس دون السفر الى المشرق ، وطبعوا الحياة الثقافية في الرباط ، وقد سبق الحديث عن بعضهم عند التطرق إلى القضاة ، ومنهم القاضي عبد الرحمان البريبري المتوفى سنة 1876 ، والشيخ العربي بن السايح صاحب الضريح المشهور [17] . ويعتبر هذا العالم متصوفا ومرابطا من أصحاب الزوايا وصف بأنه «إمام الطريقة التجانية بالمغرب» [18] .

ومن هذه المدرسة أيضا محمد بن أحمد الرغاي ومحمد بن ابراهيم وأحمد بن عبد السلام ملين ، والحاج عمر عاشور والتهامي بناني والهاشمي بن أحمد الزياني الضرير وغيرهم .

ومن أبرز هؤلاء الأساتذه القاضي المكي البطاري الذي سلف ذكره والذي درس أيضا على يد علماء مشارقه مثل شيخي الأزهر إبراهيم الأزهري مفتي المالكية وصديق عبد الرحمان كمال المكي [19] .

ونظرا لشفوف البطاوري العلمي انتدبه السلطان المولى عبد الحفيظ لإلقاء الدروس الدينية بين يديه ، وقد جمعها في مجلد سماه "الدروس الحديثية في المجالس الحفيظية" [20] .

وبرز في هذه المدرسة أيضا علماء اعتبروا أفرادا في العلوم العقلية كالرياضيات والفلك في المغرب ، ويمثلهم محمد المهدي متجينوش المولود سنة 1267 وهو ينتمي الى الأسر الأندلسية الرباطية . ويعتبر من العلماء المجددين والمتفتحين [21] . ولم تتوقف هذه المدرسة

---

16 - العروي : مرجع سابق ص 200 - 201.

17 - مازال ضريحه مقصدا للزوار.

18 - العروي . مرجع سابق ص 418.

19 - عبد الله الجراري : سلسلة شخصيات مغربية ص 100 من ج 2.

20 - طبع طبعة أولى سنة 1946 بالرباط.

21 - له عدة أراجيز في الرياضيات .انظر الجزء 6 من سلسلة شخصيات مغربية للجراري ، بعنوان العلامة الرياضي محمد المهدي متجينوش .

العلمية بدخول الحماية بل استمرت على يد علماء أمثال محمد بن عبد السلام السايح والمدني بلحسني ... الخ .

وقد أظهرت سيرة بعض العلماء مواقف عبرت عن دفاعهم عن حقوق الأمة ومناهضة المخزن في بعض القرارات التي بدت لهم جائرة . ومن أهم الأمثلة على ذلك موقف العالم ابراهيم التادلي من قضية المكوس التي كانت مفروضة أيام السلطان مولاي الحسن . وقد أشارت إلى هذه الحادثة عدة مؤلفات [22] .

وتبين هذه الحادثة صرامة الشيخ التادلي في الحق ، وملخصها أن مولاي الحسن لما حل بالرباط في أواخر رمضان من سنة 1302 يوليوز 1885 أرسل في طلب العالم التادلي على يد القاضي السيد أحمد ملين ليحضر معه مراسيم إحياء ليلة القدر بالمسجد الأعظم ، فامتنع واعتذر بالمرض ، والسبب الحقيقي أن التادلي كان غاضبا من المكوس المفروضة من طرف السلطان . وكان الوزير أحمد بن موسى قد طلب الإذن بمقابلة التادلي فأذن له ، فزاره في داره فقال له التادلي : «زيارتكم عندنا أن ترغبوا سيدنا نصره الله حتى يعطف قلبه لزوال المكس ، فأجاب عنه سريعا بأنه عازم على إزالته » [23] .

ومما يبين مكانة التادلي كأحد العلماء المحاطين بهالة من التقدير والإحترام أن الوزير لما دق باب داره صرح التادلي بما يأتي : «حكت لنا زوجتنا أنها رأته داخلا دارنا مكتفا يديه ووقف بباب البيت حتى استأذن عليه الحاج د محمد بركاش (ابن النائب السلطاني) فدخل وقبل يدي وترامى علي وهو خافض الرأس ، ففرحت به وأكرمته ، ثم جلس نحو نصف ساعة وهو ساكت وأنا أحادثه بكلام طيب ...» [24] .

وزاد الشيخ التادلي وهو يحكي ما حدث في قضية المكوس : «وقد كنت قبل تاريخ رمضان 1302 المذكور بنحو ست سنين لما زارنا بدارنا محمد بركاش أغلظت له القول في المكس وقلت له : المكس حرام نحو

22 - بوجندار : الإغتباط ص 254 وأيضا الجراري سلسلة شخصيات ... عدد 5 ، مرجع سابق، ص 27 والعروي : مرجع سابق ص 297 . وكذلك مصطفى الشابي : العائلات المخزنية الكبرى من خلال ابن زيدان - رسالة لنيل د.د.ع. جامعة محمد الخامس سنة 1973 . ص 89 (مرقونة بالفرنسية).

23 - الجراري المرجع السابق ص 28 - بوجندار - الإغتباط ص 254.

24 - الجراري : شخصيات... عدد 5 ، ص 30 و بوجندار : الإغتباط ص 254.

مرتين أو ثلاث بحال عظيم حتى هم بالخروج من حينه ، ثم أعقبته بكلام لين .....» 25.

وفعلا صرح الحاج محمد برگاش للسلطان بقضية المكوس مدفوعا بكلام العالم ، فغضب المولى الحسن .

وأنهى التادلي حديثه في هذه القضية قائلا : «ثم سافر السلطان نصره الله من الرباط بعد ذلك بقليل حتى وصل لمراكش ، فشرح الله صدره وقدم كتابه يوم الأحد 13 ربيع الأول عام 1303 هـ بتسريح مكوس الأبواب وقرئ على المنبر بالمسجد الأعظم بالرباط فلم يبق لها من غد التاريخ من أثر26 .

ويذكر عن الفقيه التادلي أنه وجه رسالة إلى السلطان مولاي الحسن وهي عبارة عن «نصيحة يحثه فيها على الإهتمام بأمور المسلمين و الإسلام» 27 .

وتشابهت أحوال هؤلاء العلماء في الشجاعة في الحق . فيحكى عن القاضي محمد بن عبد الرحمان البريبري المتوفى سنة 1908 أن السلطان مولاي الحسن بعث إليه برسالة تتضمن تنفيذ مائة ريال شهريا من وفر مرسى الرباط ، فقابل القاضي ذلك بالشكر والثناء ، وكتب على ظهر الرسالة : «إن أربعين ريالا ياسيدي تكفيني لكل شهر ، راجيا من سيدنا أيده الله أن يجعل الستين الباقية في بيت المسلمين» 28 .

إن الأمثلة السابقة أظهرت أدوار بعض علماء الرباط وجانبا من مواقفهم حسب ما جادت به الوثائق . لكن الصورة التي تبين مكانتهم الإجتماعية وسط الأعيان الآخرين تظل بعيدة عن الإكتمال مالم نتعرف على الجوانب التي تمس حياتهم الشخصية ومداخيلهم . لقد كانت جماعة العلماء تتمتع بحظوة لدى المخزن فكانوا يحصلون على الصلات

---

25 - المرجعان نفسهما مع الصفحات نفسها.

26 - تقييد إبراهيم التادلي عى ظهر نسخة من «شرح جسوس على الرسالة » أورده بوجندار في الإغتباط ص 254 - 255 - 256.

27 - محمد بن علي دينية : مجالس الإنساط ... ص 241.

28 - عبد الله الجراري : من أعلام الفكر بالعدوتين .ج 2 ص 104.

والتنافيذ ، وكانوا أحيانا يقدمون طلبا إلى السلطان بذلك . ففي عهد مولاي عبد العزيز وجه العالم الشهير فتح الله[29] بناني وكان هو خطيب جامع السنة سنة 1896/1314 إلى هذا السلطان يطلب منه تحسين وضعيته وإلحاقه بأمثاله في راتب أهل العلم ، وفعلا لبى السلطان طلبه ، وأرسل إليه ظهيرا في هذا الشأن[30].

وكانت عائلات العلماء تحظى باهتمام المخزن حتى بعد وفاة هؤلاء العلماء . فأحمد التادلي ابن العالم الشهير إبراهيم طلب من المخزن إصلاح الدار التي كان يقطن بها والده ، وظل يسكنها هو بدوره فأصدر السلطان المولى عبد العزيز أمره لأمناء المرسى بتنفيد عشرين ريالا له للإصلاح[31] .

وأنعم السلطان بمقدار 100 مثقال وكسوة على محمد التادلي مقابل خطبة مدحه بها . وهذه الأمثلة تبين جانبا من الموارد التي كان بإمكان العلماء الإستفادة منها .[32]

وتمكنت المرأة أم هانئ وهي أم الفقيه القاضي السيد محمد بن ابراهيم الرباطية من إبقاء الصلة والكسوة التي كانت لزوجها قبل وفاته[33] . كما أن بنت الفقيه المعطي العزوزي الأوراوي طلبت إعانة من المخزن ، فأنعم عليها سنة 1899/1317 بثلاثين مثقالا[34] .

وأحيانا كان أقرباء العالم يستفيدون من حظوته لدى المخزن فتشملهم هم أيضا صلاته وتنفيذاته . فعندما أنعم السلطان المذكور على الفقيه محمد بن عبد الرحمان البريبري بصلة مائة ريال ومدّين رباطيين من القمح وكسوة نفذ لأخيه[35] - على الرغم من أنه لم يكن من

---

29 - أيضا.

30 - كناش 776 خلاصة المكاتيب الصادرة باسم السلطان مولاي عبد العزيز إلى جهات مختلفة من البلاد : خ . م : ملخص رسالة 2 محرم سنة 1314 - كناش غير مرقم .

31 - كناش 432 - ملخص رسالة 11 شعبان 1315 ص 17خ.م.

32 - كناش 432 - ملخص رسالة 26 قعدة 1315 ص 197: خ . م

33 - كناش 442 ص 19 رسالة 20 ربيع II 1317.

34 - أيضا رسالة في التاريخ نفسه.

35 - كناش 734. ملخص رسالة 20 رجب 1317 : خ.م.

العلماء - عشرين ريالا كراتب شهري في رجب في سنة 1317 نونبر 1899

ولم يكن العلماء يكونون هيأة واحدة موحدة ولكن بعض الظروف كانت تجعلهم يكونون مجلسا موحدا كما كان يحدث أحيانا عند صدور أمر سلطاني بذلك . ففي بداية سنة 1899/1317 أمر مولاي عبد العزيز علماء العدوتين بعقد اجتماع بحضور قضاتهما من أجل النظر في دعوى تقدم بها شخص هو محمد بن عبد الرحمان لباريس ضد الوكيل عن ورثة أبيه المدعو محمد بن سعيد الرباطي 36 فقد كون العلماء في هذه الحالة ما يشبه مجلسا قضائيا . لكن العلماء لم يكونوا هيأة منسجمة ، وهذا ما لوحظ على علماء فاس مثلا في نفس الفترة، 37 إذ هناك وثائق تدل على منافسات وقعت بين علماء الرباط مما تسبب في وقوع حزازات وصراعات بينهم . وهذه حالة القاضي البريبري الذي أودع السجن عددا من العلماء أمثال إبراهيم التادلي ، ولم يسمح لهم بالتدريس ، مما جعلهم يجددون الحصول على الظهائر للاستمرار في نشاطهم العلمي.

ولا تسعفنا المراجع لمعرفة مواقف علماء المدينة من أهم مستجدات القرن الماضي ، فلا نعلم مواقفهم ومشاعرهم إثر هزيمتي ايسلي وتطوان مثلا ، وليست لنا أمثلة عما إذا كانت لهم مصالح مع الفئة المغتنية من التجار المتصاعدين ، ولكننا نعلم أن بعضهم مارس التجارة ولم يعتبرها معيبة كما كان يعبر البعض عن ذلك. كما أن الوثائق لا تسعفنا في التعرف على بعض الأمثلة الخاصة بإملاك العلماء ومدى غنى بعضهم . ،لكن نعلم من جهة أخرى أن بعضهم عارض «الإصلاح» الذي من شأنه تحديد الإمتيازات . كما عارض بعضهم موقف المخزن في استخدام التجار في دواليبه ، وهذا موقف محمد بوجندار 38 .

ولكن البعض منهم شجع سياسة الإصلاح وترامى على الوظائف

---

36 - كناش 442. ملخص رسالة 28 ربيع الثاني 1317 ص 38.

37 - ادموند بورك : العلماء المغاربة : مجلة البحث العلمي عدد 31 ص 117.

38 - بوجندار : الإغتباط ص 296 - 297.

التي كانت من مظاهر هذا «الإصلاح» من جهة أولى وكانت تعززه من جهة أخرى . فبعضهم أصبح يشغل مناصب الأمانة في المراسي والمستفادات وهي وظائف شجعت على إصلاح المالية والإدارة .

2 - الشرفاء :

عرفت مدينة الرباط هجرات مختلفة لأسر الشرفاء . وهناك وثائق تدل على هجرة عدة أفراد من الشرفاء الوزانيين في النصف الأول من القرن مع العلم أن هناك من هاجر منهم إلى الرباط خلال القرن الثامن عشر ونورد هنا مقتطفا من رسالة كان السلطان عبد الرحمان بن هشام قد أرسلها إلى قائده بشأن ترحيل هؤلاء الشرفاء ، وكان السبب في هذا الترحيل قيامهم بفتنة في وزان وإرسالهم مكبلين إلى الرباط فقال : «فالشرفاء الوزانيون الذين كانوا أقاموا الفتنة وقعدوا بوزان وسجنوا لأجل ذلك ، فبوصول كتابنا هذا إليك كلفهم برحيل أولادهم لرباط الفتح واحدا بعد واحد ، وعد بالتسريح إن فعلوا، ويرحل كل واحد وحده ، وقدم أول رحيل عيال السيد الطاهر بن الهاشمي حتى يصل عياله للرباط، وألحقه بهم ، ثم كلف الثاني بالرحيل حتى يصل أولاده وألحقه بهم ، وهكذا حتى يرحلوا كلهم ...» 39 .

وقد رغب شرفاء آخرون في الإنتقال إلى الرباط فسمح لهم السلطان بذلك وهم المكي بن عبد الله الوزاني وابن عمه الطيب بن أحمد بأولادهما 40 وضمت المدينة شعبا عديدة من الأشراف سواء الذين استقروا فيها منذ القديم أو الذين ظلوا يهاجرون إليها حتى في النصف الثاني من القرن .

وقد لعبوا دورا قريبا من دور العلماء . فعند بيعة السلاطين يكونون في مقدمة الأعيان ، فيساهمون في تأييد الناس للسلطان المبايع بعد تبريكهم لبيعته . وقد تميز الشرفاء العلويون المحليون بتقربهم من السلاطين وبالحظوة لديه كغيرهم ممن يحملون نفس الإسم في مجموع

---

39 - محفظة 4 : الأمن الداخلي والخارجي ج 19 : ظهير 21 شعبان 1261 : خ . م

40 - محفظة 4 : الأمن الداخلي والخارجي ج 19 : ظهير متم رمضان 1261 : خ . م .

البلاد طبعا ، وبلغ بعضهم صيتا كبيرا لجمع الشرف والعلم وأحيانا كان الشخص يزيد عليهما التصوف ، فيكون له نفوذ كبير لدى العامة والخاصة . وعلى الرغم من كون وضعيتهم من حيث الحظوة كانت متشابهة في كل المدن فلا بأس أن نذكر فقط بأنهم كان لهم نظام خاص، وكان المخزن يرعاهم فكان ينفذ لهم الأجور الشهرية أو الصلات المالية والكسوة والمؤونة في بعض الأعياد مثل عاشوراء وعيد المولد ، كما كان يمنحهم الهدايا في مناسباتهم الخاصة كالزواج وختان أطفالهم...، وتمتع الأشراف المشهورون بظهائر التوقير والاحترام التي كانت تعفيهم من أداء الواجبات والكلف المخزنية .

وفي عهد المولى الحسن كان الشرفاء العلويون بالرباط تحت نظر نقيبهم مولاي عبد الله بن المامون . وقد حبس عليهم السلطان أرضا وكلف أمناء العدوتين بدفع كرائها وتسمى بلاد تهركست، [41] كما أمر السلطان الأمناء بتنفيذ بعض الهبات لهم كما يتبين من الرسالة التي بعثها إلى النقيب المذكور قائلا :

«ابن عمنا النقيب بالرباط مولاي عبد الله بن المامون» ،

و«بعد وصل كتابك معلما بأن العادة الجارية مع الشرفاء العلويين الذين يحضرون الموسم النبوي مع جانبنا السعيد أن يكسوا كل سنة ، وقد وقعت الغفلة عن شرفاء الرباط خاصة طالبا الإنعام عليهم بتنفيذها ، وصرنا على بال . «فقد أنعمنا عليهم بها ، وكتابنا الشريف بتنفيذها لأمناء المرسى يوافيك طيه ، والسلام» [42] .

« 7 جمادى الثانية 1303 /14 مارس 1886».

وهذه الرسالة تبين أن هناك تمييزا بين الشرفاء . فالذين أمر السلطان بالإنعام عليهم هم فقط الذين كانوا يحضرون معه عيد المولد أما الآخرون فلا حق لهم في الصلة .

وكان هذا الميز موجودا ليس داخل الفريق الواحد بل بين فرق الشرفاء ، ولاشك أن العلويين كانوا يأتون في المقدمة كما دلت على ذلك عدة أمثلة من الوثائق . أما الشرفاء الأدارسة فكانوا يأتون في المرتبة

---

41 - كناش 121 - ص 91 - ملخص رسالة 4 شوال 1301 خ.م.
42 - كناش 370 - ص 123 خ.م.

الثانية ما عدا الشخصيات العلمية البارزة التي لمعت على سبيل المثال في الأسرة الوزانية الرباطية .

ومن مظاهر هذه الحظوة التي تمتع بها علويو الرباط أن استخدم بعضهم في المناصب المخزنية المهمة ، فقد عين المولى عبد العزيز المحب العلوي الرباطي كاتبا في الصدارة 43 .

ولنأخذ فكرة عن المكانة التي كانت للشرفاء في المجتمع الرباطي لابد من ضرب أمثلة عن هؤلاء الأعيان . ويلاحظ أن أغلبهم انتمى إلى الأسرة الوزانية التي عرفت دارها بدار الضمانة بزنقة سيدي فاتح . وكان يحف بهم من الاحترام والتقدير ما يجعلهم في أعلى مكانة اجتماعية ، ولم يكونوا مقصد أهل الرباط وحدهم بل مقصد جموع البدويين أيضا الذين سمعوا بصيتهم ، وكانوا يحملون إليهم الهبات والهدايا طالبين «بركتهم» . ومن أهم هؤلاء في النصف الثاني من القرن:

- مولاي التهامي الوزاني :

عرف بصلاحه واشتهر بعلمه بحيث كان طالبو العلم يَغْشَوْنَ مجلسه بضريح مولاي المكي ، بمن فيهم كبار العلماء في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان مثل «الفقيه محمد بناني والحاج عبد السلام الزبيدي والفقيه محمد ملين والفقيه ابن جينوش والفقيه السيد المكي الأزرق والمحتسب الفقيه السيد محمد الزكي» 44 .

- مولاي العربي الوزاني :

ولد بالرباط سنة 1250 ، وهو من كبار العلماء ، له عدة مؤلفات وتكلف بنقابة الشرفاء الوزانيين بكل المغرب ، وكان يقصده العلماء للتبرك والتماس الدعوات 45.

- مولاي عبد الله الوزاني :

جمع بين الشرف والعلم وانخرط في سلك العدول بالرباط وبآسفي، وخلف خزانة نفيسة من الكتب 46 وكان نقيب الشرفاء الوزانيين ويحظى

---

43 - دينية : مجالس الإنبساط ص 302 .

44 - بوجندار ، المرجع السابق ص 283.

45 - المرجع السابق ص 429.

46 - دينية ، مرجع سابق ص 325.

بتقدير خاص من السلطان ، فكان العربي الوزاني يصاحب مولاي عبد العزيز في حركاته ولاسيما حركة الحوز 47 .

وللتعرف على بعض جوانب حياة الشرفاء وعلاقاتهم مع أصحاب السلطة ومع غيرهم من الشرفاء نأخذ بعض الأمثلة من الوثائق التي تصور بعض هذه المظاهر . ونعرف منها مثلا أن بعض الشرفاء ذوي النفوذ كانوا يستغلون وضعيتهم وتقربهم من المخزن لإرضاء رغباتهم على حساب الشرفاء الآخرين . ففي جمادى الثانية من سنة 1317 / أكتوبر 1899 قام نقيب الأشراف العلويين مولاي عبد الله بن المامون بإدخال ابني أخيه إلى السجن على يد عامل البلد وكبلهما بالحديد وبحث عن أخيهما الثالث محمد ليفعل به نفس الأمر 48 ولما أنهى ذلك إلى علم السلطان أرسل إلى محمد السويسي يستفسره ... ولا يعلم القرار الذي اتخذه السلطان في هذا الأمر .

وقام الشريف نفسه بقطع ما كان منفذا لبعض الشرفاء وهم أولاد مولاي الطيب العلوي ، فشكوه إلى مولاي عبد العزيز . وكانت شكايتهم تتلخص في أن النقيب قطع عليهم ما كان السلطان مولاي الحسن قد نفذه لهم من خبز وسمك ومرتب شهري لمدة سنة كاملة 49.

وكان الشرفاء يختارون النقيب الذي يمثلهم . فإثر وفاة عبد الله بن المامون اجتمع أربعة عشر نفرا من الشرفاء ذكورا وإناثا وانتخبوا مولاي إسماعيل بن أحمد المترجى نقيبا عليهم في أواسط رجب 1320 / أواخر أكتوبر 1902 .

ويمكن القول أخيرا إن الشرفاء الرباطيين الذين لعبوا دورا اجتماعيا مرموقا كأعيان بارزين في مدينتهم كانوا قلائل ، ويمكن ضرب الأمثلة عنهم بأعضاء الأسرة الوزانية الذين سلف ذكرهم والذين جمعوا بين الشرف والعلم والتقوى .

---

47 - بوجندار، المرجع نفسه ، ص 429.
48 - كناش 734. ملخص رسالتي 2 شعبان 1317 خ.م.
49 - كناش 442 ص 87. ملخص رسالة 16 جمادى الأولى 1317. خ.م.

3 - المرابطون

وجدت في الرباط زوايا وطرق كان لها متزعمون استقطبوا كثيرا من المريدين والفقراء . وكان هناك انخراط شبه عام لكل الحرفيين في هذه الزوايا ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك . وكان لهذا الإنخراط تأثير على الحياة الدينية للناس . فزيادة على تعلم مبادئ الدين وأصول التربية التي كان يتقاها هؤلاء المريدون والتي تتجلى في قراءة الأوراد وتلاوة القرآن ، كان هناك اتجاه آخر معروف في القرن الماضي وما قبله لدى كثير من الربط والزوايا ، وهو اتجاه ابتداعي منحرف لدى عيساوة وحمادشة وجيلالة ، وكلها كانت لها فروع نشيطة في الرباط .

وكانت الزوايا المختلفة سواء المتشبثة بالتقاليد الإسلامية أو المنحرفة عنها والمتعاطية للسحر يرأسها أشياخ أو مقدمون حظي بعضهم بصيت كبير ، وخاصة الذين جمعوا بين الصلاح ورئاسة الزاوية.

وقد كان لبعض هؤلاء أثر فعال في الحياة الإجتماعية ، بل السياسية أحيانا ليس داخل المدينة فقط بل في نطاق يتعداها ومن الأمثلة على ذلك أن مولاي عبد العزيز عندما غادر الرباط في 11 يوليوز 1908 متوجها إلى الجنوب ومحاولا جمع القوات لمواجهة أخيه المولى عبد الحفيظ ، لم يكن من اليسير عليه اجتياز بلاد زعير لولا حماية أحد هؤلاء المرابطين وهو عبد القادر المباركي الذي كان له نفوذ على منطقة شاسعة تمتد من الرباط إلى ما بعد تمارة في اتجاه الدار البيضاء، وعلى بلاد زعير على الخصوص 50 .

وكانت للمباركيين زاوية في الرباط . ولا يعرف وقت تأسيسها ، وعلى كل عرفت أسرة المباركي في العدوتين معا .

وكان السلاطين يقدرون المرابطين وأصحاب الزوايا المعروفة ببعدها عن البدع ، وكانوا يعاملونهم مثلما يعاملون بعض أصناف الأعيان الآخرين من حيث الإنعامات النقدية والتنافيذ المختلفة .

ويلاحظ أن بعض المرابطين كان لهم وجود في أكثر من مدينة

Ar. Vinc. rapport de la mission militaire Française à Rabat, le 19 Aout 1908 - 50

فالمرابط المكناسي قاسم بن عبد السلام بوعسرية كان يستقر أحيانا في الرباط ويحضر في زاويته ، وقد طلب من مولاي عبد العزيز إعانة لتزويج ولده والإنعام عليه بدار كانت منسوبة لزاويته بالمدينة ، فأجابه السلطان إلى طلبه بعد أن كلف من أخرج الساكن القديم [51] .

ونظرا للحظوة التي كانت للمرابطين لدى القبائل المجاورة للرباط فإن حضورهم كان ضروريا في الاجتماعات لبحث القضايا التي تهم هذه القبائل . وهكذا استدعي عبد القادر المباركي لحضور الإجتماع الذي عقده القائد محمد السويسي مع قائد الأوداية قاسم الأوديي ومع قواد الأعراب في شأن الواجبات التي لم تؤدها القبائل [52] .

ويظهر أن المرابط المباركي تخوف من منافسة أحد أعيان الرباط المحميين في مناطق نفوذه ، لذلك بادر بتقديم شكوى ضد هذا المحمي المسمى أحمد الباشا الذي كان تاجرا غنيا [53] .

وقد اتهمه بالمخالطة مع أهل زعير ومع قطاع الطرق منهم . ومما قال في هذه الشكوى : «ويمشي معهم في غابتهم وأوديتهم وهم لا يعرفون نصارى ولا يهودا ، وربما قتلوه في بعض الأحيان مع أن خروجه عندهم ودخولهم عنده للرباط إنما هو على الوجه الذي لايرضى شرعا» [54] .

وزيادة على هذا النوع من المرابطين ذوي الأتباع سكان ضواحي المدينة وبعض القبائل ، كان هناك نوع ثان وهو المرابطون الملتزمون بالزاوية والمتكلفون بتربية المريدين وسلوك طريق التصوف وإلقاء الدروس العلمية التي كان يتردد عليها طلبة العلم والعلماء في بعض الزوايا . وقد بلغ تصوف بعضهم درجات من التقوى والصلاح نسج حولهم حكايات حول «البركات» والإتيان بالمعجزات ، وكان ذلك مدعاة لأن تشد إليهم الرحال من المدن والقرى ويمكن أن نَسْتَدِلّ بأمثلة لهؤلاء الذين ما انفكت أضرحتهم مزارات عامرة إلى اليوم وأهمهم :

---

51 - كناش 776 - ملخص رسالة 17 محرم 1314 خ.م.
52 - كناش 432. ص 235 ملخص رسالة 18 حجة 1315 خ.م.
53 - كناش 242. خلاصة رسالة 15 قعدة 1317 : خ.م.
54 - الرسالة الأخيرة .

- سيدي العربي بن السايح :

وقد أشرنا إليه عند التطرق إلى العلماء لكن شهرته لا تأتي من علمه فقط ولكن من كونه أيضا متزعم الطريقة التجانية و أحد أقطاب التصوف في الرباط وفي المغرب في وقته . وكانت زاويته تملأ بالمريدين من العلماء والزوار على مختلف طبقاتهم إلى وقت مماته سنة 1309 / 1891 وتجدر الإشارة إلى أنه ليس من مواليد الرباط ، فقد ولد في مكناس ونشأ بالرباط ولكن شفوفه في هذه الأخيرة جعله من أعيانها في أواخر القرن الماضي . وقد دفن في زاويته التي لم تفتأ مزارة كبيرة للنساء والرجال الى الآن . وينتسب هذا العالم المتصوف إلى سيدي محمد الشرقي صاحب الزاوية الشرقاوية الشهير حسب عمود النسب الآتي :

سيدي محمد الشرقي البجعدي : 55



- أحمد بن عاشر الحداد

هو مؤسس الزاوية الحراقية بالرباط اشتهر بالتصوف ويحكي أنه كانت له قوة جسدية خارقة وكانت وفاته سنة 1326 56

ومن هؤلاء المرابطين أيضا أعضاء من أسرة العيساوي أصحاب الزاوية العيساوية التي كان يؤمها عدة مريدين في النصف الثاني من

---

55 - بوجندار - الإغتباط ص 418.

56 - الجراري ، من أعلام ...ج 2 ص 20.

القرن الماضي وبداية القرن الحالي [57] وأهم أفرادها سيدي علي بن المهيدي العيساوي المتوفى سنة 1304 .

وترأس بعض العلماء الرباطيين فروع الزوايا المشهورة بالمغرب. وهكذا كان الفقيه فتح الله بناني هو مقدم الزاوية الدرقاوية بالرباط وقد عرف بتصوفه الذي بلغ درجة عليا . كما أن الفقيه عبد الله لزارو الرباطي كان رئيس الزاوية المختارية بالرباط ، وكان قد ذهب إلى الصحراء حيث تلقى الطريقة الشاذلية على يد الشيخ الغازي بن العربي وصار لزارو من شيوخ التربية يلقن الطريقة في الزاوية المختارية بالمدينة ، وكان له أتباع من بعض الأعيان مثل الأمين أحمد بلفريج ومحمد السويسي [58] والوزير ابن ادريس .

وهكذا يستخلص من هذه الأمثلة أن أصحاب الزوايا كان لهم دور كبير في المجتمع بما كانوا يقومون به من تربية دينية . ومما يثير الانتباه أن هذه الظاهرة التي تمتد جذورها إلى الماضي السحيق ظلت سارية المفعول إلى ما بعد انتصاب الحماية الفرنسية ، إذ ظلت الزاوية إطارا للتجمع وغشيانها يوميا أو أسبوعيا مما جعلها جزءا لا يتجزأ من الاهتمام العادي للسكان من كافة المستويات ومكانا للعبادة وكذلك إحدى معالم تحديد العقلية السائدة ومتنفسا ومكانا للإراحة النفسية ، وأخيرا جمعية لتقوية روح التضامن والتعاضد ، ومن أجل ذلك كان المشرفون عليها ذوي مكانة في مجتمع القرن الماضي .

---

57 - ذكر ميرسيي L. MERCIER أن عدد مريديها بالرباط كان 400 شخص سنة 1906. أنظر مقاله حول العقلية الدينية في الرباط ونواحيه في Archives Marocaines, Volume VIII

58 - دينية ، مجالس الإنبساط : ص 171.



بالصورة الشيخ محمد المكي البطاوري ، وعن يساره الشيخ فتح الله البناني الرباطي ووراءه
ثلاثة فقراء من مريديه وعن يساره السيد أحمد التادلي ، وولد البطاوري واقف
يسار آخر الجميع في الصف الثاني

الفصل الحادي عشر
تزايد أهمية أعيان الأودايا

ما يهمنا في هذا الفصل هو أن ندرك التطور الذي حصل لدى أعيان الأودايا في النصف الثاني من القرن بعدما رأينا في الفصل الخامس بداية استقرار هؤلاء الأعيان في القصبة بعد انتقالهم في عهد سلطان الفترة .

ولقد ازدادت أهمية قائد الأودايا بما حققه من خدمات ناجحة للمخزن فقامت فرق گيش الأودايا بدور مهم في حراسة أحواز الرباط من جهة أولى وبوضع حد لتمردات بعض الفرق من القبائل التي كانت النزاعات فيما بينها تؤدي إلى اندلاع الفوضى وانعدام الأمن وقتل الأرواح من جهة ثانية . وأهم هؤلاء الأعيان هم :

1 - القائد علال بن ادريس الجراري :

خلف أخاه محمد في هذا المنصب وبرهن على كفاءة عسكرية كبيرة ووصفه المبعوث العسكري الفرنسي بالرباط بالذكاء والديناميكية وقال بأن سلطته ونفوذه كانا يتزايدان يوما بعد يوم على حساب سلطة باشا الرباط السويسي سنة 1880 ، كما اعترف بالتنظيم المحكم لگيش الأودايا تحت قيادته [1].

ولأخذ صورة عن نوع العمل الذي كان يدخل في اختصاصات هذا القائد نطل على بعض أحداث سنة 1884/1301 حين ثار أولاد كثير من قبيلة زعير على گيش الأودايا في الشهر الأول من هذه السنة فتحالفت قبائل الولالدة والأعراب والدغمة واللماغة والمحارزة كلها على الزعريين وأخبروا إخوان علال الجراري بهذا الاتفاق . غير أن أفرادا من قبيلة أخرى تسمى العگبان توجهوا إلى أرض زعيرلإخبار الزعريين بهذا الاتفاق ضدهم ، وروى القائد الجراري ما وقع في هذه الحادثة في رسالة وجهها إلي السلطان قائلا : «... وحين أطلع النهار أخبرت فوجهت الرماة لناحية الغابة يكمنوا بها . ولما وصلوا أَلْفَوْهُمْ يتضاربون فوق وادي عكراش ، ووقع شر كبير حيث مات منا ومنهم : فمن الجيش ثلاثة ومن الخيل اثنان ، وجرحوا من الجيش ستة رجال ،

---

1 - ar: Vinc : Carton 3h3 ; rapport du lieutenant Falcon 1880

ومن الخيل ستة ، وظهرت والحمد لله سعادة مولانا أعزه الله ...»[2].

وكان النزاع بين القبائل المذكورة وقبيلة الأودايا يؤدى أحيانا إلى الهجوم على قصبة الأودايا بتمارة . ففي شعبان من السنة نفسها مايو 1884 هوجمت القصبة من طرف قبيلة الولالدة التي كانت متضامنة مع الأودايا في الوقعة السابقة ، وكان سبب الهجوم راجعا إلى رفض علال الجراري الإفراج عن ضيف زعري كان القائد بوعزة المرهادي الزعري قد ألقى عليه القبض عندما كان يستضيف القائد الولادي . وكانت نتيجة عدم تسريح الضيف الزعري ، مجابهة عنيفة بين الولالدة والأودايا أدت إلى قتل رجل من كل طرف وجرح بعض الرجال ، ونهب الولالدة جملين وفرسا ، وانتهت المجابهة بتدخل بعض الأعراب لإصلاح ذات البين وسرح الضيف الزعري [3] .

تبين هاتان الوقعتان أن الأودايا الذين وضعوا من طرف المخزن من أجل حراسة طريق الرباط والذين استقروا بتمارة كانوا يتعرضون لهجومات القبائل المجاورة وإذا كان القائد علال الجراري قد انتصر بقبيلته على القبائل الأخرى في الوقعة الأولى فإن الأمر كان مخالفا في الوقعة الثانية إذ لم تنته المجابهة مع الولالدة إلا بتدخل الأعراب .

وكانت مشاغل القائد الجراري لا تسمح له أحيانا بالتعييد مع السلطان . فقد أرسل على سبيل المثال إلى العاصمة في 26 رمضان /20 1301 يوليوز 1884 وفدا ينوب عنه بمناسبة عيد الفطر ووجه معه رسالة يعتذر فيها عن عدم الحضور [4] . وكان القائد الجراري يشرف على الأمن والدفاع عن الطرق المؤدية إلى الرباط . لكن دوره هذا والشجاعة التي كان موصوفا بها لم يجعلاه في مأمن من الإدانات والتهم التي ليست لنا وسيلة معرفة مدى صحتها . فقد أرسل أحد قواد زعير وهو الكبير بن الحسن القصيصي إلى السلطان مولاي الحسن يشتكي من علال الجراري ويتهمه بما يلي :

2 -محفظة رقم 35. رسالة 16 ربيع الأول 1301. خ.م.
3 -محفظة رقم 36. رسالة 4 شعبان 1301 من عبد السلام السويسي إلى السلطان.
4 -محفظة رقم 50. رسالة 26 رمضان 1301. خ.م.

- أنه كان استولى على فرس وبندقية من إخوان القصيصي ولم يرد ذلك إلى أصحابه ، على الرغم من أن السلطان أمره بإرجاع المتاع إلى أصحابه.

- أنه كان يستبد في أخذ الزكاة من زعير وخاصة فريق المزارعة فكان يأخذ من كل دوار 50 ريالا أو جملا أو رؤوس غنم ، وكان أهل زعير يشاهدون ماشيتهم عنده ،

- أنه ساوم رجلا اسمه أوديود كان السلطان قد أمر بالقبض عليه بزعير وسجن، ساومه بأن يطلق سراحه ويرجعه إلى الولاية على إخوانه أي إلى منصبه القديم ، مقابل 300 ريال وفرس . وفعلا دفع الرجل ذلك وأصبح أولاده فقراء يتسولون في الدواوير على حد قول المشتكي .

وختم القصيصي رسالته إلى السلطان بأن سلوك الجراري هذا ألب عليه أرباب الفرس فهجموا على الودايا [5] .

وعلى الرغم مما قيل في حق علال الجراري فإن الوثائق تدل على أنه كان حازما سديد الرأي كما دلت على ذلك بعض مواقفه . ففي السنة المذكورة أمر السلطان القائد الجراري بالإشراف على ترحيل فرقة الشياحنة إلى وادي يكم ، فلقي الجراري معارضة قسم منهم لأنهم أرادوا الرجوع إلى موطنهم الأول المرحلين منه . وحتى لا تتطور الأمور تطورا سيئا اقترح على السلطان اقتراحا وجيها فقال له :

«والذي ظهر للخديم ما فيه مصلحة هو أن يصدر الإذن الشريف أعزه الله بقسم محلهم المذكور ثلاثا - الثلث (يعمرونه) إخوان القائد الطاهر بوعريف المجاورين لهم ، والثلث لعامل الدغمة والثلث للقائد محمد بن العربي الزيادي لتحسم مادة تشوفهم للرجوع ... » [6] فقد ارتأى هذا القائد أن يوزع الشياحنة إلى ثلاث فرق كل فرقة تستوطن جهة معينة حتى يضع حدا لرغبتهم في العودة إلى حيث كانوا .

2- القائد المهدي الجراري :

خلف أخاه علال في منصبه في أواخر عهد السلطان مولاي الحسن

---

5 - محفظة رقم 36. رسالة 6 حجة 1301. خ.م.
6 - محفظة رقم 35 . رسالة 22 جمادى الأولى 1301. خ.م

ومن خلال الرسائل المتبادلة بينه وبين السلطان نلاحظ أنه بالرغم من استقراره في قصبة الأودايا فإنه كان غالبا ما يلتحق بإخوانه في الأراضي الموجودة بين تمارة والصخيرات للدفاع عن مصالحهم ، ويظهر أن أراضي الأوداايا كانت تمتد حتى بوزنيقة . فقد أرسل القائد المهدي هذا إلى السلطان يخبره بامتناع القائد محمد بن العربي الزيادي (قائد الزيايدة) عن ترك قصبة بوزنيقة للأوداايا الذين كانوا مستقرين بها أيام أخيه علال . ومما ذكره في رسالته : «ونسأل الله سيدنا أن يعيد أمره الشريف إليه بالتخلي عن النزول بالقصبة ، وأن يمن مولانا على إخواننا بحرث ما حولها من الأرض بقصد الإعانة » 7 .

كما كان المهدي الجراري قد أرسل إلى السلطان خطابا في شأن أرض أعطيت لأهل الأوداايا كتعويض عن أرض أخرى اضطروا إلى التخلي عنها لصالح القائد مبارك الشليح بمنطقة مكس .وقد اشتكى الجراري إلى السلطان بأن هذه الأرض الجديدة : منها ما هو صالح للحرث ، ومنها ما هو غير صالح ، وأن «غاية ما تسعه حرث ثلاثة أزواج أو أربعة » وذكر السلطان بوعده بتعويضهم بأرض أخرى اخصب منها ، واستعجله في هذا التعويض قائلا : «... والأرض التي بيدنا الآن ضيقة جدا لا تسع حرثنا ولاحرث إخواننا . وغير خاف عن كريم علم سيدنا إبان الحرث ، وبه المعاش ، ونطلب من سيدنا أن يأمر خديمه المذكور (القائد بوعزة الأوديي) بتنفيذ أرض قرب محل نزولنا ، وأنا في خاصة نفسي لم نجد محال للحرث...» 8 .

كان إذن قواد الأوداايا ، بالإضافة إلى حياتهم بالمدينة في القصبة التي اصطبغت بالنمط الحضري ، يقومون بحرث أراضيهم في ضواحي الرباط ، ولعل النمط الفلاحي القروي كان يغلب عليهم نظرا للصبغة القبلية لأصول هؤلاء القواد ، ولعدم انفصالهم عن أفراد قبيلتهم بالرغم عن سكناهم بالمدينة التي هم أعيان فيها ، ولكن من نوع خاص مخالف للأعيان الآخرين المتأصلين في الرباط .

ولعل سكنى قواد الأوداايا في المدينة كان يؤدي بهم أحيانا إلى

7 - محفظة رقم 200. رسالة 9 ربيع الأول 1305. خ.م.

8 - محفظة رقم 205. رسالة 28 صفر 1305. خ.م

إهمـال شؤون قـبيلتهم . فـقد اتـهم به قـائد الصـخيرات وهو الأحسن بن أحمد الوديي 9 ، وذلك مـا نفـهمه من رسـالة وجـهـهـا الوديي إلى المولى الحسن يخبره بانعدام الأمن في طريق الرباط سواء بإيالة القائدالهواري أو بتـراب الولالدة التـابعـة للقـائد السـويسي أو الأودايا إيالة المـهـدي الجـراري ، ووصف كل هؤلاء القـواد «بالمـزاح مع بعضـهم بعضـا على الطمع» 10 واشـتكى إلـى السلطان أن هـذا الإهمـال الفظيـع أدى إلى قـتل ثمـانية أشخاص ذبحـوا بمنطقة شراط ولم يأبه قـائد المنطقة بالأمـر مع ذلك .

3 - القائد قاسم الأوديي :

هو الذي خلف المهدي الجراري في منصبه . ومن المهـام التي كـان يتكلف بها الإشراف على السجناء الذين كـانوا بسجن الرباط قـرب قـصـبـة الأودايا بحي العلو . ويلاحظ أن قـائد الأودايا تدخل في أمـر السـجناء بدلا مـن عـامل البلد، وقـد رأينا سلفـا تعمـد المخزن أن يجعل اختصاصات رجال السلطة المحلية تتداخل لأسباب ذكرناها . فقد قام هذا بإحصاء المساجين الذين كانوا في سجن الرباط في عهد مولاي عبد العزيز في شهر ذي القعدة 1315 مـارس 1898 فوجد به مائة وثمانية وثلاثين سجينا من الأحياء وثمانين ميتا وكلهم من قبيلة الرحامنة . وهذا يدل على ما أشرنا إليه سابقـا من أن الرباط أصبحت مـركزا مهمـا من المراكز التي اعتمد عليها المخزن سواء كمنطقة انطلاق للحركات أو كمنطقة تجـميع أهل «الزيغ والفسـاد» . وهكذا كـان بـهـا سـجن ضـخم أحصى به القـائد المذكور بالإضافة إلى أهل الرحامنة 372 من قبيلة الأعشاش إضافة الى 72 من الأموات منهم 11.

9 - ذيل هذا القـائد إمضـاءه بلقب الزعيـمي ، ولكن الخط الرديىء الذي كتبت به رسالته يتيح الفرصة للإعتقـاد بأن هذا اللقب هو الزعيم وليس الزعيمي ، إذ من الباعث على الدهشة أن يكون أحد أفراد الأودايا ، وهي ليست من الشرفاء ، حاملا لاسم مثل هذا ، عرف عن أصحابه انتماؤهم إلى سلالة الأشراف الأدارسة كما تدل على ذلك ظهائرهم وشجرة أنسابهم.

10 - محفظة 400. رسالة 22 شعبان 1310 خ.م.

11 - كناش 432. خلاصة رسالة 21 قعدة 1315.ص 188 : خ.م. كان يقع إحصاء كل من مات من السجناء وتعطى الوثيقة الرقم الإجمالي للموتى لفترة لا تحددها.

وكـان قـائد الأودايا يجـتـمـع مع ق ائد المدينة ومع قـواد القـبـائل المجـاورة للتـبـاحث فـي الإجـراءات الواجب اتـخـاذهـا عند تمرد هذه القبـائل . وهكذا حضـر قاسم الأوديي مـع مـحمد السـويسي وقواد قـبيلتي الأعراب والكفيان اللتين لم تؤديا الوظائف المخزنية في وقتها [12] .

ويظهـر الفرق واضـحـا بين قـاسم الأوديي كقـائد الأوداية وبين من سـبـقـه من القـواد الجـراريين . فـبـينمـا كـان أفـراد هذه العـائلة على علم بالقواعـد المخزنية وبالواجـبات التي كـانت عليهم كان قـاسم الأوديي قد أظهر تقـصيرا في ذلك ، ممـا عـرضـه إلى توبيخ المولى عـبد العزيز ، فـقد أرسل الأوديي من ينوب عنه لحـضـور مناسـبـة لدى السلطان وبعث عـددا من عسـكر الأودايا وحـناطيهم ، ولم يرسل مـعهم كشفـا بعددهـم ، فـوجـه إليه السلطان رسالة يقـول فيها : « وهذا دليل على تهورك وعدم مـعرفتك بالقواعد المخزنية وآدابها ، وكأنك لست بمخزني» [13] .

وكـان قـائد الأودايا باعـتبـاره يحـتل منصـبـا يعد من أهـم وظائف السلطة بالمدينـة وأحوازهـا يبادر إلى إخـبـار المخزن بالأمـور الطارئة وكـأنه ممثل المخـزن بالمنطقـة ، فـعندمـا توفـي قـائد الـرباط مـحـمـد السـويسي بادر قـاسم الأوديي بإيصـال هذا الخبـر إلى المخـزن قـبل أن يقوم بهذا العمل أخوه الذي خلفه في منصبه [14] .

ونظرا لاقـتـسـام كل من عـامل الرباط وقـائد الأودايا مـسؤوليـة الإشـراف على القـبـائل فـإن شـغـبـا حـادثـا لدى إحداهـا كـان يسـتـدعي مسـاعدة الواحد منهمـا للآخر لتهدئة الشغب . فبعد حدوث مشاجرة تبودل خلالهـا البـارود في قـبيلة الولالدة التـابعـة لإشـراف السـويسي طلب هذا الأخيـر من السلطان إصـدار أمره للقـائد الأوديي لمسـاعـدته وشد عـضـده وذلك ما وقـع فعلا [15].

---

12 - الكناش نفسه، ص 235 ، خلاصة رسالة ذي الحجة 1315 . خ.م.
13 - كناش 734. ملخص رسالة 27 جمادى الثانية 1317 : خ.م. غير مرقم .
14 - الكناش نفسه ، ملخص رسالة شعبان 1317(بدون تاريخ اليوم) وملخص رسالة 19شعبان1317. خ . م.
15 - كناش 439 - ص 34 - ملخص رسالة 2 جمادى الثانية 1316 خ.م.

زيادة على وظيفة قيادة الأوداية التي أسندت لأعيانهم تقلد بعض أفراد عائلة الجراري بعض الوظائف الكبرى فكان عبد الله بن محمد الجراري علافا للجيش . وقد ضمت القصبة بعض هذه العائلات التي عاشت حياة حضرية ، وربطت العلاقات مع الأعيان والأسر الرباطية . فعندما توفي عبد الله المذكور سنة 1853 ترك ثروة كبيرة بددها ابنه الأكبر أحمد في علاقاته مع الأعيان ورجال المخزن .

ويظهر أن وجهاء الأوداية لم يكونوا الوحيدين الساكنين في القصبة إذ كانت هناك عدة عائلات من أهل السوس كما أشرنا وهي فريق من الأوداية قد أتت إلى القصبة في فترات متقطعة وسكنت في «النوايل» 16.

وتدل الإشارات المختلفة أن أعيان الأوداية قد اندمجوا مع السكان الرباطيين ، بعكس الفئات السفلى منهم التي كانت متنافرة مع أهل المدينة .

وكانت هناك عدة مناسبات يلتقي فيها أعيان الأوداية بوجهاء الرباط الآخرين . وكانت تربطهم عدة علاقات . فكان قائد الأوداية يستدعي أعيان المدينة أثناء استقبال قنصل في داره بالقصبة ، وكان الجميع يختلطون عندما يؤدون صلاة الجمعة في مسجد القصبة الذي كان سلاطين الفترة يقصدونه كلما حلوا بالمدينة .

---

16 - جاك كايي : مدينة الرباط من الأصول إلى الحماية ... ص ... 334.

الفصل الثاني عشر
تطور التجار وأهمية الأمناء

تطرقنا في الفصل الخاص بالتجار الكبار إلى بعض النماذج القليلة التي استفادت من انفتاح المغرب على أوربا ، لكن الجديد هو أن هذا الصنف من الأعيان الذين برزوا في الرباط وفي باقي المدن المغربية المهمة أخذ يتعدد أفراده في النصف الثاني من القرن من جهة أولى . وأخذ المخزن يعتمد على هؤلاء التجار في شتى أموره من جهة ثانية ، لذلك تقلد التجار مختلف مناصب الدولة في المالية والإدارة وغير ذلك.

ومنذ عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان أصبحت الرباط تساهم بقسط وافر في سلك الأمناء بعدما كان أغلبية هؤلاء في عهد سلفه يأتون من تطوان وفاس ليشتغلوا في ميناء العدوتين ، وصاروا يختارون من الأعيان الحضريين . فلقد حققوا غنى كبيرا ولعبوا دورا مهما في العلاقات بين المغرب والدول الأوربية عن طريق تكليفهم من طرف المخزن بالمباحثات والمفاوضات بسبب اكتسابهم خبرة لم تكن لغيرهم في المعاملات الأوربية . وأصبح الأمناء ذوي نفوذ لأنهم أوكل إليهم تسيير كثير من أمور المدينة ، وكانوا يراسلون المخزن المركزي في شتى الأمور التي تهم المدينة أو في شؤون الموظفين والجيش .

1 - أمناء المرسى والمستفاد

يرجع تنظيم جهاز الأمانة إلى تحسين الجهاز الإداري الذي قام به سيدي محمد بن عبد الرحمان عقب المشاكل المترتبة عن حرب تطوان . فمن المعلوم أن خزينة الدولة فرغت مؤقتا بعد اضطرار المغرب إلى دفع الغرامة الإسبانية الباهضة ، ولم يستطع تعويض النقص بسرعة ، لأنه حرم من قسط كبير من إيرادات الجمارك التي كانت من أهم مصادر بيت المال ، بسبب الإقتطاعات النقدية اليومية التي كان المراقبون الإسبان يجمعونها في الموانئ المغربية لتسديد مقدار الغرامة بالإضافة إلى تسديد الدين الإنجليزي بعد أن قامت الحكومة البريطانية بمنح قرض للمغرب . فتنظيم جهاز الأمانة ككل يرجع إلى التغيرات الطارئة في

القرن الماضي وإلى ما كان المخزن يراه من ضرورة لإصلاح الجهاز المالي والضريبي عوضا عن الطرق الإدارية التقليدية التي لم تعد تنفع أمام العجز المالي الذي كان التسرب الأوربي من أهم مسبباته .

وفي سنة 1862 طبق تنظيم جهاز الأمانة فأصبح في كل مرسى أمينان أحدهما من أهل المدينة والآخر أجنبي عنها ، ولا يهمنا هنا سوى الأمناء الرباطيين طبعا . فقد أصبحوا صنفا آخر من أعيان المدينة لم يكن موجودا في النصف الأول من القرن إلا نادرا ، ومن أهم مميزات أمناء التنظيم الجديد الإستقلال عن العامل وتمتعهم برواتب إن لم تكن مرتفعة [1] فهي على كل حال مجزية .

وقبل الحديث عن الأمناء الرباطيين تقلدوا مناصب في المرسى أو في المستفاد فمن الضروري التعرف على المهام التي كان يتكلف بها أمين المرسى .

1.1 - أمين المرسى

يسمى أيضا أمين التعشير ، ومهمته مراقبة إيرادات التجارة الخارجية وفي عهد مولاي عبد الرحمان كان عامل المدينة يتولى الإشراف على الدخول الجمركية ، لكن السلطان الجديد حاول ضبطها بإعادة تنظيم سلك الأمناء على قواعد جديدة .

وكانت وظيفة أمين المرسى في مراقبة تجارة المغرب تتجلى في تحصيل حقوق الديوانة على السلع الصادرة والواردة . وكانت الأموال التي تتجمع لدى أمناء المرسى يخصصون منها قسطا للنفقات مثل تسديد الديون وأداء أثمان المشتريات ونفقات الإصلاحات ، وفيما يخص الصادرات والواردات كانوا يراقبون أنواعها ولا يسمحون بخروج أو دخول إلا للبضائع التي لا حظر عليها .

وسميت الرسوم المفروضة على الورادات بالأعشار . أما رسوم الصادرات فأطلق عليها الصاكة [2] وكان على أمين المرسى أن يقوم ثمن البضاعة المستوردة ليفرض عليها 10٪ منه ، ويقبض من كل سفينة

---

1 - التوزاني نعيمة : الأمناء بالمغرب .... ص 36 .
2 - أيضا " " " ص 82 .

تجارية في الشحن أو في الإفراغ واجب المخطاف 3.

وبالإضافة إلي ذلك كان يستخلص ضرائب من نوع أخر هي أعشار الحبوب التي تؤديها القبائل المجاورة أثناء فترات خضوعها للمخزن ولكن هذه الأعشار تكلف بها أحيانا العامل السويسي أو قائد الأوداية .

وكان أمين المرسى أو أمناؤه يتكلفون بالإشراف على استيراد بضائع لحساب المخزن ، فقد استورد أمينا العدوتين سنة 1884 ثيابا لصنع لباس الجيش 4 وتولى أمناء المرسى صرف نفقات متعددة مثل دفع رواتب الموظفين بما فيها رواتب الأمناء أنفسهم ورواتب العدول وعلى سبيل المثال كان راتب أمين مرسى العدوتين سنة 1893 - 94 ، أربعين ريالا واثنى عشر بليونا بينما كان راتب الأمينين الأجنبيين عن المدينة 84 ريالا 5 .

وكان على الأمين أيضا دفع رواتب القبطان أو رئيس المرسى وخليفته وكاتبه زيادة على الحراس والمخازنية والعساسين وعدد من الموظفين الآخرين 6 .

وكان يوكل إلى أمناء المرسى تعهد أملاك المخزن والمنشآت العمومية والقيام بالنفقات رغم أن ذلك من اختصاص أمناء المستفاد فهم يتوفرون على سجل لهذه الأملاك وينفقون على صيانتها وترميمها ويقومون أيضا بإنشاء أملاك مخزنية جديدة 7 .

ومن النفقات أيضا : الانفاق على رجال المخزن بالمدينة مثل الجيش وموظفي المدينة فكان عامل الرباط يتلقى من مرسى العدوتين راتبا شهريا ، و من النفقات أيضا رواتب الشرفاء مثل أولاد مولاي رشيد ، وأيضا صلات بعض الموظفين وأكسية الجيش ونفقات أخرى غير منتظمة .

ولقد كان أمين المرسى يختار من العائلات الوجيهة والغنية ،

---

3 - كذلك . ص 84.
4 - كذلك . ص 88.
5 - كذلك. ص 90.
6 - كذلك. ص 91.
7 - كذلك . ص 94.

ويمكن التعرف على ذلك من خلال الجدول الآتي الذي يبين أسماء الأمناء من عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى عهد السلطان مولاي عبد العزيز وقد اقتصرنا طبعا على أسماء الأمناء الرباطيين وتركنا الآخرين الغرباء عن المدينة على الرغم من اشتغالهم في مرسى الرباط وكانوا إما فاسيين أو تطوانيين على الخصوص .

اسم الأمين	المدة أو سنة ممارسة الأمانة
محمد فرج 8	? 43-1842/12
الطيب مرسيل 9	? 61-1860/1277
عبد القادر غنام 10	من 1279 إلى 1862-63 من1281/ إلى 1864-65
عبد الخالق فرج 11	? 64-1863/1280
محمد الحساني 12	66-1865/1282
عبد المجيد بركاش 13	87-1886/1304
الصديق برگاش 14	من 1304/ إلى 1308/ من 1887 إلى 1890-91
عبد الخالق فرج 15	97-1896/1314
عبد القادر غنام 16	1897/1314
بوبكر بن قاسم جنسوس17	1906-1905/1323

يلاحظ أن العائلات التي تولت السلطة هي نفسها التي وظف منها أمناء المرسى على طول النصف الثاني من القرن إلى حدود 1906 .

كما أن بعض الشخصيات تقلبت في وظائف الحسبة والنظارة والأمانة وقد أشرنا سابقا إلى أن عبد الخالق فرج يمثل واحدا منها فقد دفعت خبرته وحزمه كلا من السلطان محمد بن عبد الرحمان والمولى

8 - محفظة التجارة الداخلية والخارجية ج 5 : خ.م. رسالة 20 محرم 1258 .
9 - دورية الوثائق الملكية. ج 2 وثيقة 271 ص 387.
10 - ملف 37 : رسائل عهد محمد بن عبد الرحمان : خ.م. وأيضا محمد داود : **تاريخ تطوان** ج 6 ص : 131 - 132 - 133.
11 - داود ، الجزء والصفحات نفسها .
12 - كذلك .
13 - كناش 229 خ.م. (بدون أرقام) .
14 - كذلك .
15 - أيضا .
16 - أيضا .
17 - كناش 266 أملاك المخزن خ.م. (مقدمة الكناش) .

الحسن والمولى عبد العزيز لاستدعائه للعمل معهم ، وهكذا بعد أن عين أمينا للمرسى سنة 1863/1280 أعيد إلى هاته الوظيفة سنة 1896 بعد أن شغل منصبي الحسبة والنظارة وولي المستفاد في عهد المولى الحسن .

ولم يكن فرج الوحيد الذي نصب لأمانة المرسى أكثر من مرة . فعبد القادر غنام تقلد هذا المنصب في عهد كل من سيدي محمد ومولاي عبد العزيز .

ويلاحظ أن أسرة برگاش مثلت بأمينين هما عبد المجيد والصديق. ومن أهم الملاحظات على هذا الجدول وجود فراغ كبير هو الواقع بين 1282 و 1887-1865/1304أي بين وقت أمانة كل من محمد الحساني وعبد المجيد برگاش وذلك راجع إلى ندرة الوثائق . ومن المحتمل جدا أن هذه الفترة عرفت من بين أمنائها الرباطيين بعض أسماء هؤلاء المذكورين في الجدول تكرر تنصيبهم .

وربما كان اختيار الأمناء من الأسر الغنية ضمانة مالية يمد المخزن يده إليها عند الإقتضاء ، فقد تصدر منهم مخالفات أو اختلاسات تحتاج الدولة إلى محاسبتهم وتغريمهم عليها ، كما أن هذا الغنى من شأنه أن يكف أطماعهم في مال الرعية والدولة ، وربما كان الحصول على هذا المنصب نفسه يقتضي تقديم مقابل مالي لا يستطيع تحمله إلامن اتسعت ذات يده [18] .

كان أغلبية الأمناء تجارا قبل تقلدهم لمنصبهم الذي بحكمه قد ازدادوا غنى . وتكاد هذه الظاهرة تكون عامة ، وكانت نتيجة ذلك أن أصبح هؤلاء الأعيان في وضعية ممتازة ، وهذا حال مَحمد برگاش النائب السلطاني ، ومحمد بن الطاهر الزبدي الذي أسندت إليه وظيفة من وظائف الأمانة المركزية وهي أمانة الحسابات ، وابنه العربي وغيرهم، فكل هؤلاء مارسوا التجارة في البداية فانتقل مَحمد برگاش منها إلى منصب أمين مرسى الدار البيضاء [19] ثم إلى منصب النائب السلطاني .

ولم يكن الأمناء منزهين عن الإختلاس ، ولهذا السبب كان محمد بن عبد الرحمان عند إصلاح جهاز الأمانة قد رفع من أجور الأمناء ،

---

18 - التوزاني، الأمناء بالمغرب ... ص 64

19 - Henri de la Martinière : Souvenirs du Maroc. p . 28

وقد أرسل إلى قائده محمد بن ادريس الجراري قائلا : «إنا جعلنا لكل أمين من المرتب الشهري ما يعينه على القيام بأوصاف الصدق والأمانة، واجتناب ما يزري بجانبه من السرقة والخيانة . ومن عثرنا له بعد ذلك على خيانة أقمنا عليه حد السارق ، وأهناه ، وزجرناه زيادة على ذلك وعاقبناه . [20]

وكان هناك تهافت على منصب الأمين ، لأنه يعبر عن الشرف والثقة والإحترام والسلطة التي يحرزها صاحبه [21] . وقد أشار الكتاب الأروبيون إلى شراء الأمناء لمناصبهم ، فقد بين أحدهم وهو بيير جاكان Pierre Jacquin (وهو يتحدث عما سماه الفساد الإداري وسوء تنظيم الموانئ المغربية في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي) كيف أن بعض الأمناء اشتروه بمقدار تراوح ما بين 50 000 و 60 000 بسيطة ، وسواء صح قوله أو لم يصح والغالب أنه صحيح فإن ما قاله إشارة إلى ما كان هذا الوظيف يدره من أموال على صاحبه ، وقد وصف هذا المؤلف سلوك الأمناء فقال بأن الأمين كان يتواطؤ مع التجار فيكتب معلومات وأرقاما خيالية في سجلات المرسى مع التجار [22] فيسجل مثلا أن مقدار الصوف المصدر هو 200 بالة عوض 400 ، أو أن مبلغ القمح المصدر هو 1000 كيس عوض 2000 ، فلا يدخل بيت المال سوى نصف الرسوم المفروضة ، بينما يذهب النصف الباقي إلى جيوب الأمناء والتجار . ومن ثمة أصل النكتة المشهورة عن المركب الذي «دخل فارغا وخرج فارغا» وهو جواب الأمناء المرتشين المختلسين عندما يسألون عن علة النقص في دخل المرسى [23] .

2.1 - أمناء المستفاد

كانت الرباط من المدن التي يعين فيها أمينان للمستفاد ، ويسمى بأمين المدخولات ، وهذه الدخول تتكون من الضرائب على التجارة

20 - نهليل. ظهير 1278.
21 - Pierre Jacquin : L'action Française au Maroc. Paris 1911 p. 114
22 - نفسه . ص 116 - 117.
23 - نفسه . ص 118 . انظر الوثيقة رقم 22 في الملحق ، وكذلك مصطفى بوشعراء : الإستيطان والحماية . ج 1. ص 221.

الداخلية وموارد أملاك المخزن ، وتركات المنقطعين ممن لا وارث لهم ، ورسوم البريد بعد تنظيمه 24 وقد أسندت إلى محتسب المدينة الذي طالما كررنا ذكره وهو عبد الخالق فرج . كما عهد بوظيفة أمين المستفاد إلى بعض النظار ، وهذه حالة الناظر عبد القادر المعموري الذي تقلد منصب أمين المستفاد سنة 1894/1312 وكلف به أيضا الأمين العربي الزبدي سنة 1905/1323 25 . وهكذا أوكلت هذه المناصب إلى الأشخاص الذين سبق لهم أن عينوا في المناصب الكبرى داخل المدينة أو خارجها.

وقد لاحظ أحد أعيان الرباط وهو الحسن بلا فريج تمتع أمين المستفاد في المدينة بعدة امتيازات زيادة على نظارة الأحباس ، فطلب من المولى عبد العزيز أن يسند إليه هذه الوظيفة . فأجابه كاتب السلطان بأنه أطلع عليه العاهل قائلا : «وبعد وصل كتابك شارحا حالك وما أنت عليه من ضيق الوقت ، طالبا استخدامك بمستفاد الرباط لكون المستخدم الآن منفع بغير أمر النظارة ، وأنهينا كتابك لمولانا أعزه الله، فصار مضمنه بباله الشريف ...» 26 .

وكان الأمين المذكور يتكلف بدفع أجور كبار موظفي المدينة كالعامل وخليفته . وعن ذلك جاء في رسالة مخزنية إلى الأمين عبد القادر المعموري : «وصل كتابك بأنك بعدما أمرت بتصيير نصف مشاهرة عامل الرباط وخليفته برگاش من المستفاد والنصف الآخر يفرضه أمين الهدية ورد عليك الأمر بقطع مشاهرة برگاش ، فقطع نصفها من المستفاد وأطلعنا به علم مولانا نصره الله ...» 27 .

2 - تألق التجار الكبار :

أشرنا قبل إلى فئة التجار أصحاب الدكاكين الصغيرة الذين كونوا قسما كبيرا من سكان المدينة ، إذ كانوا يعدون بالمئات ويتاجرون في

---

24 - التوزاني ص 113 و 114.
25 - كناش رقم 220. خ.م. مقدمة الكناش (نسخة من كتاب شريف) .
26 - كناش 439. ص 142. ملخص رسالة 14 رجب 1316 خ . م.
27 - كناش 734. غير مرقم . ملخص رسالة 24 رجب 1317 خ.م.

مختلف البضائع . وهؤلاء كانوا بدون شك يحسبون من الفئة الوسطى ، والبون شاسع بينهم وبين التجار الكبار . ويطلق على الأوائل اسم الحوانتيين ، وعلى الفرد من الفئة الثانية اسم التاجر . وقد تعرفنا على مصطفى الدكالي الذي يعتبر من أشهر أفراد الفئة الثانية. ويجدر بنا في هذا الفصل أن نتحدث عن التطورات التي عرفها ميدان التجار في النصف الثاني من القرن . فمن الملاحظ ازدياد عددهم في النصف الأول من القرن ، واصبحوا في المدينة نخبة حظيت بالإعتبار والإحترام ، لكن نظر إلى البعض من هؤلاء نظرة مريبة بسبب علاقاتهم مع الأجانب ودخولهم في الحمايات القنصلية غير أن الجانب الأخير لن نتطرق إليه إلا في فصل لاحق .

ونكتفي في هذا الفصل بوصف نشاط بعض تجار الرباط الكبار ، وما وصل إليه من اتساع في الداخل والخارج ، ونوع المعاملات الجديدة التي تطورت بتزايد تدخل أساليب الإقتصاد الرأسمالي الأوربي، وتقييم ثروات هؤلاء التجار ، وإحصاء مواردهم وأنواع أملاكهم حتى نتمكن من مقارنة ثرواتهم بثروات الأصناف الأخرى من الأعيان وقد أشار صاحب الإستقصا إلى ما جرى في النصف الثاني من القرن من تصاعد اجتماعي لفئة التجار وخاصة بفاس والرباط ، مظهرا آثار احتكاك المغاربة بالأوروبيين عندما قال : «واتخذ الناس ذوو اليسار المراكب الفارهة ، والكسي الرفيعة ، والدخائر النفيسة ، وتأنقوا في البنيان بالزليج والرخام والنقش البديع ، لا سيما بفاس ورباط الفتح ، ولاحت على الناس سمة الحضارة الأعجمية» 28 .

فقد دلت عدة إشارات على أن الذي لاحت عليه «سمة الحضارة الأعجمية» هم التجار على الخصوص . وعن عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان تنبئنا الوثائق ببعض الرباطيين منهم أمثال عبد المالك بن عبد الله وأحمد بلا فريج وكانا يمتلكان في أكدال بساتين رغب السلطان في شرائها منهم إلى جانب أراضي أعيان آخرين هناك لتشييد

---

28 - الناصري : الإستقصا .ج 9. ص 124.

قصره 29.

وان أهمية التجار الكبار واعتماد المخزن عليهم هما ما تميز به النصف الثاني من القرن . فعلى الرغم مما قام به محمد بن الطاهر الزبدي التاجر الكبير ومعه تجار المدينة من تمرد عى العامل السويسي وما تبع ذلك من سجنه مع أنصاره 30 فإن السلطان المذكور استدعاه واستخدمه معه في عدة وظائف ، وأصبح من أهم مساعديه ، فأرسل إلى طنجة لإجراء المفاوضات بشأن حرب تطوان مع النائب مَحمد الخطيب وهذا يدل على احتياج المخزن للتجار في مثل هذه المفاوضات التي تتوقف على معرفة بالأروبيين وبعاداتهم وعقليتهم وهذا ما كان يتوفر في التجار الذين سافروا إلى أوربا 31 . وقد فوض السلطان للزبدي أمر إنهاء النزاع المغربي الإسباني32 ومشاورة قنصل بريطانيا العام في مسألة هذا الخلاف 33 .

وعندما توفي السلطان كان الزبدي هو الذي نعاه إلى الأمير مولاي الحسن وأرسل يبايعه 34 وعندما تولى الحكم استخدمه أمينا ثم أرسله سفيرا إلى فرنسا وبلجيكا وبريطانيا العظمى وإيطاليا لإجراء مباحثات مع مسؤوليها ووزراء خارجيتها حول موضوع الحماية القنصلية حاملا مطالب السلطان 35 .

فهذا مثال عن تصاعد التجار الكبار وتطورهم ، وإذا كنا لاحظنا صبغة تقلد الإبن لوظيفة أبيه في مناصب السلطة المحلية ، فإن الأمر ينطبق على حرفة التجارة أيضا ، إذ ورث كثير من الأبناء تجارات آبائهم وحافظوا على إرثهم من ثرواتهم . فعندما توفي التاجر مصطفى الدكالي تابع ابنه تجارة أبيه ، ولكنه لم يكن خادما للمخزن كأبيه ، بل

---

29 - كناش أملاك المخزن في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان رقم 44 خ.م. نسخ رسوم أملاك أگدال.

30 - قال الناصري أنه بعث إلى سجن فاس ، بينما كرت وثائق الخارجية الفرنسية أنه بعث إلى سجن العرائش .

31 - دورية الوثائق. ج 2 . ص 271 . وثيقة 230.

32 - " " " ص 286. وثيقة 237

33 - " " " ص 287. وثيقة 238

34 - " " ج 3 ص 10 وثيقة 302

35 - " " ج 5 وثيقة 653

من الذين تحدوا مخزن السلطان محمد بن عبد الرحمان ومن بعده ، فدخل في الحماية القنصلية واشترك مع تاجر يهودي محمي إسباني ، ولم يرغب في إرجاع ديون المخزن 36 .

وقد سبقت الإشارة إلى أن كثيرا من المحتسبين والنظار إضافة إلى الأمناء كانوا في الأصل تجارا ، وقد رأينا الأمثلة من عائلات برگاش وغنام وفرج والزبدي ... الخ . وفي الوقت الذي كان الكثير يندد بالتجار الذين اشتركوا مع الأجانب والذين دخل عدد منهم في الحمايات القنصلية ، أصبح الفقهاء ينظرون إلى التجارة وكأنها حرفة محرمة ، ولكن البعض منهم مارسوا هم أنفسهم العمل التجاري ، وإن كان مقتصرا على التجارة الداخلية في دكان متواضع ، وهذا النقاش حول التجارة والتجار كان دافعا لقاضي الصويرة أحمد بن المامون البلغيتي أيام السلطان مولاي الحسن والمولى عبد العزيز ، لكي يؤلف كتابا سماه "بيان الخسارة في بضاعة من يحط من مقام التجارة" وذكرفيه أسماء علماء اشتغلوا بالتجارة ، منهم بعض الرباطيين ، مثل أحمد ملين الذي كان يبيع الأحذية قبل أن يتولى منصب القضاء ومثل القاضي عبد الرحمان لباريس . وقد قال في شأنه : «كان يحب التجارة ويحض عليها، ويقول لابد للفقيه من سبب وكان يتناولها بنفسه وبوكيله بعد ولايته القضاء» 37 ، ومثل التهامي بناني الرباطي الذي كان يقوم بالتدريس ويتاجر في البز ، وقد توفي 1882/1300 ، ومثل الحاج أحمد بن قاسم جسوس الرباطي الذي كان من أصدقاء البلغيثي ، وكانت له تجارات في مراكش ، ويقول عنه إنه كان «في غاية العفة وكمال المروءة وطريق الورع» 38 .

وهكذا نجد أن التجارة كانت عنصرا مشتركا تقريبا بين الفقيه والمحتسب والناظر والقاضي والأمين وربما العامل أيضا .

وكانت التجارة في ميناء الرباط حرفة جلبت بعض الأسر الفاسية

---

36 - وثائق برگاش - ميكر فيلم رقمه 2171 خ.ع. : رسالة 4 قعدة 1277 .

37 - أحمد بن المامون البلغيتي : بيان الخسارة في بضاعة من يحط من مقام التجارة : ميكرو فيلم رقمه 1323 : ص 73 خ.ع .

38 - أيضا . ص 74 .

للإستقرار في المدينة بصفة نهائية ، وهكذا هاجر السيد الطاهر برادة في عهد المولى الحسن (أواخره) وأخذ يتاجر مشتركا مع بعض أبناء عمه المعروفين بعائلة برادة الرخامي الأغنياء الذين تاجروا في المدن الأوربية ومنها مارسيليا 39 وقد تصاهر الطاهر برادة مع عائلة بلحسني الرباطية وكون أسرة لم تعد لها علاقة مع مدينتها القديمة ، وهناك أسر أخرى كانت التجارة سببا في تحولها إلى أسر قطنت الرباط نهائيا .

ولم يكن تقلد أعيان الرباط مناصب السلطة مانعا لهم من متابعة نشاطهم التجاري ، فكان عبد الخالق فرج أثناء عمله كمحتسب يمارس التجارة . وهكذا استورد سنة 1881/1299 القطن وأثواب المركان والطرول والمرزاية، كما استورد الحاج محمد برگاش ابن النائب ثوب «الملون» وصناديق المسامير النحاسية 40 . وكان العمل التجاري لهؤلاء يسير من طرف وكلاء يكونون أحيانا أفرادا من عائلاتهم مثلما كان الحال بالنسبة لأسرة فرج كما سنرى أسفله .

وقد بينت كنانيش مستفادات مرسى الرباط أسماء التجار الرباطيين في عهد المولى الحسن ووقع تكرار أسمائهم في عدة كنانيش وتتابع أرقام معاملاتهم وديونهم للمخزن في المرسى . ومنهم مصطفى برگاش وعبد السلام الروندة والمختار بلكورة ومحمد غنام وعمر لبريس والطيب الزياتي ، وكان هذا الأخير وسيطا لعائلة فرج التجارية التي كان يمثلها أحمد فرج في مدينة مانشسطر 41 .

ومن امتيازات هؤلاء التجار توسعة المخزن عليهم في دفع ديونهم. فكان الأمناء يسجلون أسماءهم في كنانيش المستفادات ، ومنهم في نفس العهد ، أحمد بن مسعود الذي كان بذمته 16.000 مثقال ، وأحمد بلافريج 5120 مثقالا ومحمد بن التهامي مرسيل 3304 مثاقيل ، وبناصر العوفير 3410 من المثاقيل 42 .

وتتضمن كنانيش مستفادات مرسى العدوتين في عهد السلطان

---

39 - رسالة عبد القادر برادة الرخامي إلى الباشا الطيب الصبيحي ، مؤرخة ب 9 شعبان 1321 - ملف :1320-1321 خ.ص

40 - كناش 651 - مستفاد مرسى العدوتين 1299 -1300 خ.م.

41 - الكناش نفسه وأيضا وثائق خاصة : وثائق آل فرج.

42 - أيضا .

المولى عبد العزيز أسماء تجار سنة 1881 أنفسهم .

لقد كونت فئة التجار هؤلاء جماعة تطورت بانفتاحها وازداد أفرادها وظهرت - إضافة إلى الرباط - في مدن فاس والصويرة وتطوان على الخصوص ، واتخذت الأساليب الأوربية في المعاملات ، والوكلاء في مختلف الموانئ الأوربية وأيضا في بعض بلدان الشرق وخاصة في مصر .

ولنأخذ فكرة عن حالة تجار الرباط وعن رؤوس أموالهم نقرأ ما قاله طبيب فرنسي مشهور عاش في الرباط أواخر القرن الماضي وبداية عهد مولاي عبد الحفيظ . هو الدكتور موران Mauran 43 فقال : «في الرباط وسلا نحو عشرين من كبار التجار المغاربة ، يتراوح رأسمالهم ما بين 100.000 و 800.000 بسيطة ... وليس من النادر أن نرى التجار يشترون الحبوب دفعة واحدة وفورا بـ 50.000 بسيطة ويقوم هؤلاء بالإستيراد والتصدير ، يأتون بأثواب القطن من إنجلترا ، والموسلين الفرنسي والإنجليزي ، وأثواب الحرير الفرنسية وأغطية النامسا وبلجيكا والعقاقير والزجاجيات والبديع من ألمانيا والسكر من بلجيكا والشموع من إنجلترا وأحيانا أكوام السميد من مارسيليا» 44 .

ولكي ندرك التطور الذي حصل في وضعية فئة التجار كصنف بارز من أصناف أعيان الرباط نضرب المثل بعائلة تجارية شهيرة بالمدينة :

3 - عائلة فرج 45 : نموذج من عائلات التجار :

برز عدد من أفرادها في التجارة ، ويتبين من خلال كنانيشها أنهم عقدوا الشركات فيما بينهم ، واقتسموا رؤوس أموال استثمروها في الداخل والخارج ، واتخذوا إما من ذويهم وإما من غيرهم وكلاء لهم ،

---

43 - عرف موران Mauran بتحامله على المغرب والمغاربة . ولكن مع ذلك أتى ببعض المعلومات المفيدة . انظر ص 68 من كتابه Le Maroc d'aujourd'hui et de demain, Rabat 1909

المرجع نفسه .

44 - تمتلك عائلة فرج عدة وثائق في حوزتها أو في الخزانة الملكية ، وهي إما رسائل شخصية

45 - تجارية وعائلية ، وإما كنانيش لمداخيلها وصوائرها وأملاكها وعملياتها التجارية .

ووسطاء تجاريين .

3-1 : تجارة العربي فرج

اشتغل العربي بن محمد فرج بالتجارة مشتركا مع عدد من أفراد عائلته في عهد السلطان مولاي الحسن ، وهكذا دفع لأخويه أحمد ومحمد ثلاث آلاف وأربعمائة ريال بتاريخ 14 ربيع الأول 21/1292 أبريل 1875 توجه بها أخوه أحمد إلى لندن للمتاجرة [46] .

ولما انتقل العربي المذكور إلى الصويرة في مهمة مخزنية ترك ابنه محمد مكلفا بتجارته في الرباط ، وقد أقرضه أبوه ألف ريال بتاريخ 17 رجب 19/1292 غشت 1875 ليستثمرها في التجارة ، وشملت الشركة التي جمعت بين الأب وابنه تجارة السكر والزيت والأثواب [47] .

أما الإبن الثاني وهو أحمد فقد ساعده أبوه للذهاب إلى مانشسطر قصد التجارة ، وكان يستقبل من هناك الصوف المغربي ويرسله إلى لندن .

ونظرا لبروزه في التجارة ولشهرته فقد انتدبه السلطان المولى الحسن للعمل كأمين في مرسى الصويرة في 17 رجب 19/1292 غشت 1875.

وقد جمع العربي المذكور بين أمانة المرسى والتجارة ، ومن الملاحظ أن بعض أمناء مخزن المولى الحسن مثل العربي بريشة التطواني كان يمارس التجارة أيضا وقد سجل فرج في كناشه أن بريشة أرسل له بتاريخ 16 جمادى الثانية 9/1293 يوليوز 1876 أثواب الحرير من مارسيليا ، وكان بريشة هذا يتاجر بفرنسا وإنجلترا ، ومرسيليا ولندن، وكلفه المخزن بالسفارة إلى مدريد نظرا لأسفاره ومعرفته بأحوال الأوربيين [48] .

ولما اتسعت تجارة السيد العربي فرج اتخذ وسطاء من الأوربيين والمغاربة المسلمين واليهود ، فكان وسيطه في لندن هو وليام كريهم W. Graham ، ووسيطه في مرسيليا هو ابن شقرون ، ومندوبه في جبل

---

46 - كناش العربي فرج في حوزة عائلة فرج ، غير مرقم .
47 - أيضا.
48 - كذلك.

طارق هو الزكاري .

وقد أشرك السيد العربي أقاربه في عملياته التجارية ، فكان محمد فرج ابن عمه يرسل السلع إلى أحد أبناء العربي فرج وقد سجل هذا الأخير في كناشه أنه حصل من بيع هذه السلع 881 ريالا و 60 بليونا بتاريخ ذي القعدة 1297 أكتوبر / نونبر 1880 ، كما تعامل مع شخص آخر في لندن من أعضاء أسرته هو أحمد فرج 49 .

وكان الجمع بين التجارة ووظيفة الأمانة قد جعل السيد فرج يتمكن من امتيازات السلطة ليوسع تجارته التي ازدادت قوة وانتشارا فامتدت في الداخل إلى مدن مراكش ومكناس والجديدة والدار البيضاء ، واشترك مع تاجر رباطي آخر هو العربي العوفير في تجارة الثياب وكان له وكلاء بمراكش هم عبد الرحمان الشديد والعربي الحساني ، بينما كان العوفير المذكور بالجديدة . وقد امتلك العربي عددا من دور السلع والأهراء ، وشملت المواد التي تاجر فيها أصنافا متنوعة كالتوابل والشاي والسكر والفواكه اليابسة والقطن والقشينية وأثواب «المركان ومرزاية وحياتي» الخ . وكان يستورد عددا من المواد التي ازداد عليها الطلب في تلك الفترة . ففي 7 صفر 8/1301 دجنبر 1882 استورد 25 برميلا من سكر القالب و 30 كيسا من سكر الغبرة من مرسيليا50 .

وكان تسديد هذه السلع يتم بواسطة ليطرات أي كمباليات كان يرسلها بواسطة السفن ، وكان عدد من الوسطاء يتكلفون بإيصالها إلى أصحابها . وتجدر الإشارة إلى أن الخدمات الملاحية تحسنت وسهلت عمليات الذهاب والإياب ، ونقل السلع والنقود والقيم المالية وتكاثرت السفن بتعدد الشركات الملاحية ذات الجنسيات المختلفة في الثمانينيات من القرن الماضي ، كما يدل على ذلك كناش تقاييد العربي فرج ، وغيره. وكان تاجرنا يتلقى أيضا من الخارج ليطرات من المتعاملين معه من التجار الأوربيين ، ولابأس أن نورد كيفية إجراء عملية من هذه العمليات التجارية التي كان يقوم بها . فتصدير الأصواف كان يستوجب

---

49 - كذلك .

50 - كذلك.

أن يدفع المصدر أجرة السمسار والحمالة وكراء مكان الخزن - وشراء حصر لتلفيف الصوف والأشرطة لحزمها ، وأجرة ملء الحصر والأكياس ، ثم أجرة البحرية زيادة على الرسوم الجمركية وثمن نقل المادة عبر السفينة ولكن رغم هذه المصاريف الكثيرة والمتنوعة فإن السيد فرج كان يجني أرباحا كثيرة سجلها في كناشه، وقد تعدى نشاطه نطاق العمليات التجارية إلى الإشتراك الفلاحي ، فقد اشترك مع العربي بريشة في عدد من رؤوس الأغنام والأبقار على سبيل المثال [51] .

وبفضل هذه التجارة والأموال امتلك عقارات متعددة بالرباط منها خمس دور مستقلة وأجزاء من دور أخرى ، وعدد من الحوانيت وأقسام من حوانيت اقتسمها مع آخرين . وامتلك سبعة أحواض من الملح ونصف جنان يدعى جنان بريطل كان يشاركه فيه صديقه مصطفى جسوس . وكانت له طاحونة للحبوب تسمى طاحونة مولاي المامون [52] .

ولما أمضى السيد فرج بعض الوقت في أمانة مرسى الصويرة ، رأى فيه السلطان رجلا مقتدرا كلفه بعدة مهام مخزنية لمصلحة البلاد والعلاقات مع الأجانب . فعلى الرغم من وجود نائب دائم للسلطان في طنجة فإن المولى الحسن كان يعززه أحيانا بمفاوضين من الأمناء والتجار ، للتباحث مع باشدورات الدول الأوربية ، وهكذا بعث في محرم 1304 / أكتوبر 1886 الأمين العربي فرج للتفاوض و للتوقيع على معاهدة مع باشدور ألمانيا كانت تخص التجارة بين الدولتين كما تبين من الرسالة السلطانية الواردة في الملحق [53] .

2.3 - تجارة السيد محمد فرج وشركائه :

نصت وثائق فرج على عدة أسماء للتجار من هذه العائلة يصعب إيجاد القرابة فيما بينهم . ويرجح أن محمد فرج هذا أخو السيد العربي فرج الذي سلف ذكره ، وقد ترك محمد فرج هذا بدوره كناشا [54] أفضل من كناش سابقه ، نظرا لوفرة المعلومات وتنوعها عن تجارته وأملاكه

---

51 - كذلك.

52 - كذلك.

53 - ظهير حسني مؤرخ ب 10 رجب 1303 وآخر بتاريخ 5 محرم 1304: وثائق فرج . انظر وثائق ارقامها 12 و 13 و 14 في الملحق .

54 - هذا الكناش كالكناش السابق كتب بلغة دارجة ، وأحيانا بلغة قريبة من الفصحى .

وعلاقاته العائليه وحتى الإفادات عن المناسبات العائلية لأسرته 55 .

ونعلم من كناشه أنه توجه إلى العرائش التي استقر بها من سنة 1322/1904 الى سنة 1326/1909 ولا يظهر سبب رحيله إليها في كناشه ومن المرجح أن المخزن استخدمه في هذا المرسى قبل أن تفجع عائلته بموته سنة 1326 / 1909 ، إذ غرقت في سواحل مالطة السفينة التي كانت تقله إلى الحج .

ونعلم من كناشه أن تجارته امتدت داخل البلاد وخارجها ، وأنه عقد شركات مع بعض الأشخاص منهم ابن عم له وأولاد أخيه .

ونظرا لكون المعلومات تتعلق ببداية القرن العشرين فإنه يمكن ملاحظة التطور الذي حصل في الأساليب التجارية وشكل المعاملات ، وكيفية الأداء ، وبروز دور الأبناك التي يمكن التعرف على مدى تعامل كبار تجار الرباط معها لا سيما وأن الإفادات المنشورة في هذا الميدان نادرة وتكاد تخص تجار فاس فقط 56 .

وقد أشرنا إلى أن تجار الرباط بدأوا يستخدمون في تجارة التصدير والإستيراد الوسطاء إما من اليهود وإما من المسلمين ، فكان الوسطاء يقومون ببعث نماذج السلع أو مويشترات ويتلقون الطلبيات ويقومون بالإتصالات ، ويتكلفون بالأداء عن السلع ، وللتاجر الرباطي وكيله الأوربي في أحد الموانئ الكبرى يتكلف بتلقي الطلبات وتلبيتها في موانئ مارسيليا أو لندن وغيرهما 57 .

كانت السلع الواردة على فرج تأتي إليه من مختلف الأنحاء . فمن إنجلترا كان يستقبل أثوابا من منشسطر ولندن 58 وهي أنواع مثل الجيم ومرزاية وحياتي وقد وردت عليه على يد التاجر الإنجليزي لام Lamb

---

55 - كناش 802 : تقييد السلع الصادرة والواردة على عائلة فرج وبيان مدخرل أملاكها مع بعض الصوائر بين 1321 - 1329 : خ . م .

56 - انظر عبد الوهاب لحلو : حول البنك ووسائل المبادلات التجارية بفاس قبل الحماية : مجلة هسبريس 1937 ص 223 وأيضا لوكلير Le Clerc في كتيبه التجارة والصناعة بفاس ، 1905.

57 - لوكلير Le Clerc المرجع نفسه .

58 - كناش 802. ص2 .

عندما كان فرج مازال في الرباط قبل توجهه للعرائش في رجب 1321 / شتنبر 1903.

ومن المدن الفرنسية التي كان يستورد منها مارسيليا وباريس فأرسلت الأولى أكياس السكر وقدرها 100 كيس ب 2895 فرنكا وذلك عندما كان في العرائش .

ولم تكن تجارة فرج مقتصرة على أنواع خاصة من السلع التي كان يستوردها ليوزعها في أنحاء البلاد ، بل كان يجلب كل ما يمكن استيراده من السلع ، فقد جلب في رجب 1322 / شتنبر 1904 معدن الحديد على يد التاجر الإنجليزي لام . ومما قيده في كناشه أنه استورد من المعدن ماصوات وعددها 125 دفع فيها أكثر من 75 ليبرة . وربما كانت الماصوات تعني القضبان لأنه كتب في 10 رجب من نفس السنة أنه وجه إلى مكناس 163 بارة من الحديد المستورد ، ومن الواضح أن البارة تعني القضيب أو السبيكة ، وقد سجل أيضا أنها وزنت رقم 1500 ، ولكنه لم يوضح وحدة الوزن ، كما وجه إلى فاس ما مقداره 2000 ميزان (?) من الحديد [59] .

وكان شخص يدعى مكوار في فاس استقبل هذا القدر من السبائك الحديدية . والغالب على الظن أن مكوار كان وسيطا يستقبل الحديد المستورد ليوزعه على مستعملي السبائك الحديدية التي تدخل في صناعات متعدده ، وقد تلقى ما مقداره 2000 (ميزان) ? ولا يعرف ما مقدار هذا الميزان أي وحدة وزن هذا الحديد ، وكان مكوار ينتمي الى الأسرة الفاسية المشتهرة بالتجارة .

وبفضل مداخيل فرج امتلك عددا من الأراضي والأملاك . ففي الجديدة اشترى قطعا أرضية يظهر أنه حرثها مع شريك له يدعى علال الهاني . وفي سنة 1904/1322 بعث له شريكه كميات من القمح ومقدارها 34 كيسا. وفي 18 ربيع الأول منها /2 يوليوز 1904 ، بعث إليه 37 كيسا . ويظهر أيضا أن هذه المخالطة الفلاحية تعدت نطاق الأراضي الحراثية لتشمل رؤوس الماشية ، فقد امتلك عددا من قطعان الماشية في البادية

---

59 - كناش 802 . ص 11.

القريبة من الرباط ، وكان شخص يحمل اسم البهلول البنيوري مكلفا بها وبعث إليه عددا من جزات الصوف . وكان محمد يعمل على تصدير هذه الأصواف إلى الخارج ، وكان ذلك يستلزم عدة عمليات ومصاريف سجلها صاحب الكناش مثل عملية النقل الى الرباط ، وعملية الغسل والتنظيف وشراء الأكياس قبل الخضوع إلى متطلبات التصدير كواجب التأمين . وقد بلغ هذا الواجب 9.12 ريالا من أجل 28 بالة من الصوف صدرها في «بابور الألمان» وواجب الديوانة والنقل 60 ولم تكن هذه الأغنام وسيلة فقط لجز الصوف وإنما مادة للتجارة ، وهكذا باع البنيوري في السنة الموالية 23 خروفا وأخبر شريكه بهذا البيع .

ومن الأنشطة التي تعاطاها فرج التوسط لبعض الشخصيات في جلب بعض السلع ، فقد استورد لصالح طبيب فاسي اسمه الحاج أحمد اليماني بعض السلع أتت بها باخرة تابعة لشركة باكي Paquet من فرنسا، وتتبين من خلال ذلك المراحل المعقدة لوصول البضاعة إلى صاحبها . ولابأس من وصف هذه المراحل نظرا لأهمية المعلومات الخاصة بالمعاملات التجارية التي تبين التطور الحاصل في الحركة الإقتصادية في بداية القرن الحالي والناتج عن تدخل الإقتصاد الرأسمالي في البلاد. فقد كان على فرج استقبال السلع ودفع كراء الباخرة والرسوم الجمركية. وفي مرحلة ثانية كان عليه بعث البضاعة إلى فاس على يد وسيط ، ونعلم أن اسمه محمد الحلو ، وتتضمن هذه المرحلة دفع كراء جمال النقل . أما المرحلة الثالثة فهي تخص نوع المعاملة مع المصدر الأوربي، وكان على فرج دفع ثمن السلعة بالعملة الأجنبية أو بالأوراق البنكية . وقد كتب في كناشه ما يلي : «دفعنا لكاسطيل تاك (chèque) على باريز قبال (أي من أجل) العشرة صناديق الواردة على يده قدرها 1250 فرنك وزدناه صرف التاك على باريز 7 فرنك» .

فيظهر من هذا التقييد أن الأوراق البنكية أصبحت تدخل في المعاملات التجارية بين التجار المغاربة والأوربيين في بداية القرن العشرين وربما منذ نهاية القرن الماضي . ونعلم أن هذا كان معروفا

---

60 - كناش 802 . ص 86.

لدى تجار فاس كما سبق القول . وكان الوسيط الأوربي يستطيع صرف الورقة البنكية في باريس ، وهذه العملية كان يؤدي عنها رسم 7 فرنكات في سنة 1905 / أو 1906 .

أما المرحلة الأخيرة فهي تسلم القدر المالي من المستفيد من السلعة . وهكذا أرسل الطبيب أحمد اليماني إلى محمد فرج شيكا بمقدار 1000 فرنك كان عليه أن يصرفه في بنك طنجة ، وقد سماه ب : «بنكة كنطوار لفرانسيس بطنجة » (61)في 20 ربيع الثاني 1323 /25 مايو 1905.

وفي إطار هذا الفرع من تجارة الإستيراد التي قام بها السيد فرج لصالح الطبيب بليماني نلاحظ أنه توسط له في شراء آلات الطباعة . ففي السنة 1323 وصلت عبر باخرة لشركة باكي Paquet أربعة صناديق تحتوي على آلة للطباعة «آلة مطبعة الكتابة» 62 . وفي صفحة أخرى من كناش التاجر أنه استقبل 31 صندوقا بها «ماكينات المطبعة من حديد من بابور الفرنسيس» . فهل معنى هذا أن بليمني كان يستورد عددا من آلات الطباعة ليعيد بيعها في الداخل ؟ أم كان ذلك لأغراض أخرى ؟ ومن المعلوم أن الطباعة في هذا الوقت لم تكن موجودة بالمغرب عدا الطباعة الحجرية ، ولكن كانت الجرائد المكتوبة باللغة الفرنسية وبعض اللغات الأجنبية وكذلك جريدة السعادة بالعربية تطبع في المغرب إلا أنها في يد المخزن والأوربيين ، وليست في يد الأشخاص المغاربة طبعا ، وربما استورد التاجر فرج هذه الآلات لصالح المخزن على يد الطيب بن اليماني.

ونعلم أن شخصا من مصر اسمه محمد مامو كان قد بعث آلة للطباعة للسيد فرج في 5 ذي الحجة 1323 /5 يناير 1906 .

ومن أهم ما سجله فرج في كناشه معلومات متعلقة بوساطته لشخصية مخزنية مهمة هو أمين الأمناء عمر التازي ، ولا يعلم هل كانت العلاقة التي جمعت بين الرجلين تدخل في إطار الوظيفة المخزنية إذ سلمنا أن محمد فرج قد استخدم في العرائش من طرف المخزن ؟ أم كانت ذات طابع شخصي ؟ وفي كلتا الحالتين تبين هذه العلاقة نوع

---

61 - من المعلوم أن أول مؤسسة بنكية تأسست بطنجة هي مؤسسة : Mosé Parienté سنة 1844 : انظر مييج : المغرب وأوربا . ج 3. ص 34.

62 - هكذا وردت في الكناش ص 33.

الروابط التي جمعت بين الأعيان الرباطيين وبين كبار رجال المخزن . ومن جهة أخرى تبين أن التجار دخلوا المخزن عن طريق الوظائف التي تقلدوها فيه أو ربطوا علاقات مع رجاله الذين احتاجوا إليهم لاستيراد بعض السلع , أو ربما كلفوهم بتسيير نشاط من أنشطتهم الإقتصادية . وهذا ما يظهر من علاقة فرج بالتازي ، وبدون شك كانت مصلحة التجار في رجال المخزن هي الإستناد على سلطتهم ونفوذهم لتعزيز تجارتهم الشخصية ، أي أن وضعيتهم تقوت بالجاه الذي أشار ابن خلدون قل ستة قرون إلى أن عدم وجوده لدى التجار يؤدي بهم إلى الضياع والإفلاس .

وانطلاقا من كناش فرج حول هذه الوساطة لصالح أمين الأمناء نعلم مثلا أن محمد فرج جلب في 13 رجب سنة 1324/ 5 شتنبر 1906 عددا من «بسات الثوب» من مانشسطر على يد تاجر فاسي هو محمد بن عبد المجيد بن جلون ، لصالح السيد عمر التازي . وتبين هذه المعلومات أن كبار تجار الرباط كانت لهم علاقات تجارية بتجار فاس الموجودين في موانئ أوربا والمشار إليهم من طرف بعض المؤلفين 63. وتكلف السيد فرج بأداء واجبات كراء السلعة وتسديد ثمنها في انتظار أن يعوضه الوزير التازي .

وقد تعدت علاقة محمد فرج بالوزير عمليات الإستيراد إلى نطاق آخر . فقد تكلف فرج ببعض خدمات التازي . ومن ذلك أن هذا الأخير كانت له أعداد من الجمال كانت تقوم بعملية النقل تحت رعاية مستخدم خاص ، وقد تكلف فرج بجمع المال الناتج عن كراء هذه الجمال ، وسجل في كناشه مداخيل هذا الكراء بعد أن كانت تصله من ميلود وهو الجمال. ففي رجب من السنة المذكورة 10 شتنبر 1906 تحصل فيها مثلا 405 ريال وهو كراء 27 جملا . ولم يسجل المسافة التي قطعتها هذه الجمال ولا نقطتي انطلاقها ووصولها .

وكان الجمال ميلود يخبر صاحبه بموت بعض هذه الإبل . وفي هذه الحالة يتكلف ببيع جلودها ، ويدفع الثمن إلى فرج الذي كان بدوره

63 - لوكلير Le clerc. المرجع السابق.

يسدد له ثمن «مونة» الجمال ، وهي كمية من الشعير ، وثمن عبور وادي أبي رقراق وثمن حصر لتغطيتها ، وأيضا ثمن «لطوخ لدهنها» .

وهكذا نجد أن التاجر محمد فرج قام بالتوسط لبعض الشخصيات سواء في عملية استيراد بعض المواد أو في تسيير بعض أنشطتهم الإقتصادية ، ولكن هذه الخدمات كانت ثانوية بالنسبة لتجاربه الشخصية .

ومن المعلومات المسجلة عن تجارة فرج هاته أنه كان يمنح قروضا لبعض التجار سواء في الرباط أو في مدينة أخرى قصد استثمارها على أن توزع الأرباح بينه وبين المتعاقد معه تبعا لنوع التعاقد . وربما زود بعض هؤلاء بسلع أجنبية لم يؤدوا كل أثمانها ، فسجل في كناشه قائمة المدينين والمبالغ التي بذمتهم . وعندما كان محمد فرج في العرائش بين سنتي 1322 و 1326 كان ابن أخيه وصهره محمد فرج يتكلف بتجارته وباسترجاع الديون من هؤلاء المدينين . ونقرأ في قائمة هؤلاء المدينين أسماء بعض التجار كمحمد الفرفرة الذي كان يتاجر في الحبوب بالرحبة ، والحاج عبد الرحمان أقديم بالصويرة . ومن التجار الذي أقرضهم قصد استثمار المال في التجارة الحاج إدريس بن جلون فقد أمده ب 350 ريالا ، وتدل هذه المعلومات على اتساع عمليات فرج ، واتصالاته المتعددة بالأشخاص في كثير من المدن ، وتقديمه لخدمات اجتماعية ، ومساعدته لبعض الناس في بدء حياتهم المهنية أو لاستئنافها .

وتدل تقاييد فرج على أنه كان بالأساس تاجرا في البز ، إذ أنه قبل توجهه إلى العرائش ترك في دار السلعة التي كانت له بالرباط أنواعا من المنسوجات لا بأس من ذكر أسمائها بالمناسبة وهي : «ملف الضوا وشقف بهتان بالسقلّي «وحرير شطب ، وثوب اقصبي ، وخطاية بالسقلي، وبوخربة ، وكمخة وطليق زرات ، والطلس »، وقد سجل أيضا أن قيمة ما كان في دار السلعة من هذه الأثواب هي 565 ريالا و 15 بليونا

وتظهر المعلومات التي دونها صهر فرج في كناش آخر خاص به[64] أن هذا الصهر حاز مبالغ الديون في لائحة طويلة للغرماء تجعل قارئها يظن أن محمد فرج صاحب مؤسسة للسلف، بسبب كثرة ما أقرضه . ولا تذكر قوائم الإحصاءات أنه كان يأخذ فوائد عن المقادير المقرضة .

ويمكن أن نحصي عدد هؤلاء الغرماء المثبتة أسماؤهم عند سفره إلى العرائش ، وهم ستة وعشرون شخصا من بينهم أعضاء من عائلته لم يؤدوا في الغالب أثمان بضائع دفعها لهم كالأثواب . أما الأشخاص الآخرون فهم نوعان ، النوع الأول أفراد اقترضوا منه ، والنوع الثاني مكتروا حوانيت له لم يؤدوا ما بذمتهم لبضعة شهور ، من بينهم على سبيل المثال يهودي اسمه شميل المراتي كان مدينا له بـ 24 ريالا . وتضم هذه القائمة أسماء أشخاص من مكناس وفاس والجديدة والصويرة وطنجة الخ .... .

وللتعرف على بعض تفاصيل تجارة فرج نلقي نظرة على ما كان يستورده ويصدره ، سواء في داخل البلاد أو خارجها .

الصادرات :

مكان الإستقبال	المصدر إليه	المادة	الوسيط	التاريخ
مانشسطر	أحمد بن جلون	ليطرات وشيكات	؟	6 جمادى 1 عام 1323
الإسكندرية	محمد بن شقرون	بطانيات	محمد فرج	26 رمضان 1323
القاهرة	عبد النبي مزور	428 بلغة	علي الهاني بالجديدة	" "
مرسيليا	التاجر باكي	ليطرات 5999 ريال و 15 بليون	أحمد أحرضان بطنجة	14 شعبان 1325

64 - كناش 798 : مداخيل وصوائر عائلة فرج بين 1322 - 1338 خ.م.

لا يبين هذا الجدول تنويعا كبيرا للصادرات . ولكن هناك عدة إشارات في الكناش تظهر أن فرج كان يصدر مواد مختلفة . ويلاحظ في الجدول أن مصر ظلت حتى بداية القرن العشرين تستورد الأحذية المغربية (البلغة) ومكثت الرباط تصدر هذا النوع من المنتجات الحرفية على الرغم من تدهور الحرف بسبب المنافسة الأجنبية .

إلى جانب الصادرات كان فرج يستورد عدة سلع من مختلف البلدان الأوربية والعربية كما يتبين من الجدول الآتي :

المكان	الشريك إو الوسيط	المادة	الثمن البليون - الريال		التاريخ
إنجلترا	لام الإنجليزي	125 ماصوات حديد	8	266	؟
"	"	قطن	16	410	شعبان 1321
مرسيليا	؟	100 خنشة سميد	6	850	23 ربيع 1323
القاهرة	مامو	31 صندوقا به مطابع		؟	قعدة 1323
مانشسطر	أحمد بن جلون	سلع مختلفة	11	2253	23 قعدة 1323
مانشسطر	أحمد بن جلون	أثواب + مرزاية + روان			
	أحمد بن عبد السلام	+ قطن + ملف + مشمع		2160	؟
الإسكندرية	ابن شقرون	صندوق كتب		؟	5 رجب 1324
مرسيليا	علال الهاني	100 خنشة سكر		؟	15 شعبان 1325
مرسيليا	باكي	50 خنشة سكر	10	512	شوال 1325

نلاحظ أن البلدان التي كان يستورد منها فرج سواء لفائدته أو لفائدة أشخاص آخرين هي إنجلترا وفرنسا ومصر ، وهي أيضا البلدان التي كان يصدر إليها . وقد سجلت في كناش فرج معلومات عن البواخر التي كانت تقوم بنقل هذه السلع ، وكانت من جنسيات مختلفة . فمن الفرنسية باخرة الكول وكرامازي ومكريلي ، ومن الألمانية الفارو ورودنبور إضافة الى باخرات إيطالية وإنجليزية .

وكانت المواد لاتصل فقط إلى الرباط حيث مركز تجارة فرج، وإنما إلى مختلف الموانئ يتلقاها وسطاؤه وشركاؤه . ويمكن أخذ أمثلة على ذلك من الجدول الآتي :

المدينة	الوسيط	المادة	الثمن		التاريخ
			البليون	الريال	
الجديدة	علي الهاني	24 خنشة قمح	10	181	15 محرم 1322
الجديدة	علي الهاني	37 خنشة قمح	15	192	18 ربيع الأول 1322
طنجة	أحرضان	ثوب الشقف	500 فرنك		23 شعبان 1323
العرائش	محمد فرج	54 صندوق شاي	25	4427 ف	26 جمادى I 1324

وعندما كان المركز وهو الرباط يتلقى السلع المختلفة فإنها كانت تخزن في الأهراء ودور السلع ، أو ترسل إلى المدن الأخرى مثل فاس ومكناس ومراكش ... الخ .

وإذا كانت هذه الأرقام والإحصائيات الخاصة بتجارة فرج تفسر مدى هذه التجارة وتوضح أنه كان من النخبة الغنية في المدينة فإن لمس هذا الغنى لا يكمل إلا بالتعرف على ما كان يمتلكه من عقارات ، فقد امتلك دورا أو مباني وأراضي حراثية لاتوجد في الرباط فقط ولكن في المدن الأخرى التي كانت له فيها مصالح .

ومن هذه المدن طنجة والجديدة . ويلاحظ أنهما من المدن التي كان فيهما بعض الأعيان الذين استغلوا الأزمات التي عرفتها البلاد وانخفاض أثمان العقارات واشتروا عدة مبان ، وقد استفادوا من ارتفاع أثمان الكراء بعد ذلك عندما شهدت هذه المدن تضخما سكانيا متزايدا في نهاية القرن الماضي كما أشار إلى ذلك مييج 65 ، فمن المرجح أن يكون فرج من هؤلاء . وسنلاحظ أن أعيانا رباطيين آخرين ساروا على نفس النهج وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على نجاح التسرب الأوربي في تكسير

---

65 - مييج . المغرب وأوربا . ج 3. ص 451. و ج 4. ص 405.

العلاقات الإجتماعية التي تتميز في المجتمعات الإسلامية بالتكافل بين الأغنياء والفقراء وحلول مبادئ وقيم جديدة محلها بسبب تأثيرات الإقتصاد الرأسمالي الدخيل . وتبين وثائق فرج أنه قام مع شركائه بعدة مضاربات ، وتجوز معرفة ريع أملاكه بهذه المدن ، فقد أدخلت عليه أكريتها بطنجة عن سنة 1323 كلها ما يأتي :

النوع	الموقع	ثمن الشراء	ثمن الكراء	نوع النقد
دار	حومة النصاري قرب المسجد الأعظم	2950 ريالا	20 ريالا	الريال الصبنيولي
دار	معروفة لأولاد التمتماني قرب دار عبد الصادق	1750 ريالا	11 ريالا	الريال الحسني
دار	حومة اجزناية	2248 ريالا	13 ريالا	الريال الفرنسي
حانوت	مخرجة منها			
دويرتان			12.5 ريالا	الريال الحسني
فرن	مرشان	1814 ريالا		
حانوت			24 ريالات	الريال الفرنسي
دار	قرب سيدي محمد الحاج	4808 ريالات		
قيمة العقارات	13570 ريالا حسنيا 66			

ويلاحظ اختلاف النقود التي كان الكراء يؤدى بها والتي كانت تنافس العملة المحلية . أما عن أملاكه بالجديدة فقد كلف شريكه علال الهاني بشرائها في فترة امتدت من سنة 1323 إلى سنة 1905/1325 - 1907 فهي :

---

66 - كناش 802، ص 24.

التاريخ	النوع	الثمن
5 رجب 1323 67	حانوتان	756 ريالا حسنيا
7 ذي الحجة 1323	زريبة	188 ريالا حسنيا
27 ذي الحجة	ثلاث بقاع	220 ريالا حسنيا
28 محرم 1324	حوانيت	730 ريالا حسنيا
10 شوال 1324	دويرة	1106 ريالات
10 شعبان 1325	دويرتان	4200 ريال
المجموع :		**7201 ريال**

ويستخلص من هذه الجداول أن فرج امتلك - زيادة على الدور والأراضي والحوانيت - أماكن مخصصة لأنشطة اقتصادية أخرى مثل الفرن والطاحونة اللذين امتلكهما في طنجة وفي الرباط . وقد ذكر في كناشه أن والدته تركت بعد وفاتها أملاكا بالرباط ورثها مع أخيه مصطفى ، منها أحواض للملح ، ومخزن للسلع بالصباغين، وحانوت ، وجزء من أرض في الولجة .

وكل هذا يدل على أن الغنى والأملاك لم تأته من جهة الأب فقط وإنما عن طريق أسرة أمه ، وهذا يبين تصاهر العائلات الغنية فيما بينها والروابط العائلية التي كانت تجمع الأموال في يد فئة محظوظة ومحصورة العدد . ويتوضح ذلك إذا علمنا أن فرج تزوج من امرأة غنية من أسرته وهي أمينة فرج التي لما توفيت قيد حياته أحاط إرثا بأملاكها الكثيرة بالرباط وتدل على مقدار غناها وهي 13 دارا كاملة بعضها من النوع الكبير ، زيادة على دويرة صغيرة وطاحونة وأروى ، وجزء من حانوت ، وعدد من البقع الأرضية فكان لها جنان وبقعة أرض في «زنقة الدك» وعرصة مسماة «بنانية» . وقد قوم متروكها سنة 1313/ 1895 ب 2696 ريالا 68 .

أما أملاك السيد فرج بالرباط فهي كثيرة ، ولاحاجة للتفصيل في الحديث عنها . وتكفي الإشارة إلى أنها كانت تتركب من عدة حوانيت ودور للسلع مكتراة لتجار مسلمين وذميين ، إضافة إلى عدد من

67 - الكناش نفسه . ص 24. و 25 .
68 - كذلك . ص 85.

الدور السكنية . وقد امتلك في الدار البيضاء أيضا دورا وأهراء .

ونظرا لتعدد هذه الأملاك وتفرقها في أنحاء البلاد فقد احتاج الأمر إلى تنظيم الخدمات المتعلقة بها . ولذلك عين فرج وكيلا خاصا بكل مدينة له فيها أملاك ، وهكذا كان الحاج أحمد أحرضان مكلفا بقبض أكرية طنجة وإصلاح الدور والشياظمي مكلفا بأملاك الرباط . وقد كتب السيد فرج في كناشه ما يلي : «الحمد لله ، بيان الحساب الذي وجه لنا السيد الحاج أحمد أحرضان في 21 ربيع الأول 1323 فيما دخل عليه من مستفادنا عن مدة ثلاثة شهور آخرها حجة 1322 ، وما صيره علينا حسبما بيانه أمامه ... الخ 69 .

وكان هذا الوكيل يقوم بعدة خدمات كالاتصال بالسماسرة قصد إكراء دار وقع إخلاؤها مثلا. وكان الوكيل يضيف إلى أمور الأملاك عدة عمليات تخص تجارة مستخدمه ، فكان يستقبل الواردات أو يتكلف ببعض مشتريات صاحبه .

ولم تكن التجارة والمضاربات العقارية وريع الكراء وحدها تحقق الموارد المالية أو تستثمر فيها رؤوس أموال فرج بل نجد في كناشه أنه كان يمتلك عددا من الأراضي الفلاحية ليس بالرباط فقط ، ويكاد يكون نموذجا فريدا ، لأن الوثائق المختلفة الموجودة في المحافظة العقارية بالرباط تبين أن ممارسة الأشغال الفلاحية في البوادي البعيدة عن المدينة لم تتم من طرف تجارها الكبار وأعيانها إلا بعد حلول الحماية ، وخاصة بين تمارة والصخيرات (بحار الزبدي مثلا) .

أما محمد فرج فقد كان منذ ما قبل الحماية يشارك أصحاب البادية في الكسب وامتلاك قطعان الأغنام ويمتلك عددا من الأراضي والبساتين داخل الرباط تظهر الإحصائيات المتعلقة بها أنها لم تكن منتزهات لعائلته للترويح عن النفس فقط كما كان الأمر عند الكثير من سكان مدينته، وإنما أراضي ذات إنتاجية فلاحية حقيقية كان يباع إنتاجها من الغلات الشتوية والصيفية . ففي سنة 1322 بيعت ب 697.07 ريالا غلة الليمون المتاصلة من ثلاث عرصات ، بالإضافة إلى حطب عرصته

69 - كذلك . ص 25.

الموجـودة بوادي القـبض (أبـي رقـراق) 70 وفـيمـا يلي تفـاصـيل البـيع عن سنتي1323-1324 .

التاريخ	الثمن 71	المشتري	المنتج	العرصة
8 ربيع II 1323	20 ريالا	الحاج المعطي جوريو	الليمون	العرصات الثلاث
14 شوال 1323	220 ريالا	الشريف المكي الرجراجي	الليمون	العرصة بنانية
" " "	231.13 ريالا	السيد أحمد ؟	الليمون	عرصة بولمعانة وسليطانه
فاتح جمادى I 1323	15 ريالا	؟	الليمون	العرصات الثلاث
25 شوال 1324	250 ريالا	المعطي جوريو	الليمون	العرصة بنانية
" " "	75 ريالا	الحاج محمد الزنايدي	الليمون	العرصة بولمعانة وسليطانة

فيظـهر واضحـا أن ذلك كان يدر أرباحـا لا بأس بها ، وإذا كـان هـذا الإنتاج يتعلق بغلة الليمون كغلة وحيدة في هـذا الجـدول فـإن عرصـة وادي القبض كـانت تعطي لعائلة فرج غلالا أخـرى كمـا يتبين من الجـدول أسفله سنـة 1323-1324 .

70 - كـذلك . ص 59.

71 - الرقم الواقع عن يسار النقطة يعني الريالات والرقم عن يمينها يعني البلايين (مفرد بليون) والريال فيه 20 بليونا .

المنتج	المشتري	الإقتطاع 72	من أجل	الثمن النهائي البليون الريال	التاريخ 73
الغلة الصيفية	محمد الهريم	8 بسيطات 3 ريالات و 15 بليونا	أجرة الحارس واجب الرباع الحاج الحسين	82 . 12 $\frac{2}{4}$	7 ربيع II 1323
السفرجل	الحاج محمد الزنايدي محمد الشلح	10 بلايين 4 ريالات و 2 بليون و 3/4	أجرة السمسار واجب الرباع	24 . 17 $\frac{1}{4}$	23 جمادى 1 1323
الرمان	العربي حصار	14 بليونا 715 ريالا	أجرة السمسار واجب الرباع	46 . 11	26 جمادى 2 1323
الليمون	الجيلاني القسيوري	5 ريالات 10 ريالات	تخلية واجب الرباع	60	14 شوال 1323
غلة الصيف	عمر الأزرق	25.84 ريالا	واجب الرباع	152.11 $\frac{2}{4}$	20 ربيع 2 1324
السفرجل	محمد الزنايدي	3 .54 ريالات	"	19.14 $\frac{2}{4}$	9 جمادى II 1324
الرمان	محمد الشلح	7 . 2 ريالات	"	14 . 03	26 رجب 1324
الليمون	"	1. 13 ريالات	"	10.00 $\frac{3}{4}$	6 قعدة 1324

ونرى أن بعض الغلال كانت تباع سنويا لنفس الأشخاص أحيانا . ففي سنة 1323 بيع السفرجل لمحمد الزنايدي وأعيد بيع الغلة نفسها له في السنة اللاحقة .

72 - الملاحظة نفسها.

73 - كذلك .

عندما توفي التاجر محمد فرج سنة 1326 ظل ابن أخيه محمد وهو صهره كما قلنا وشريكه يتابع الأنشطة نفسها ويتعامل مع الأشخاص ذاتهم الذين كانوا وكلاء ووسطاء وشركاء لعمه . وظل الصهر يستثمر رؤوس أمواله في التجارة والماشية والأشغال الزراعية ، بعد تصفية إرث عمه مع الورثة .

ويظهر في كناش محمد فرج الصهر أنه ظل مخالطا أهل البادية في الماشية مثل عمه سابقا، فكان البهلول البنيوري شريكا له بالنصف مقابل رعايته لقطعان الأغنام ، فقد سجل محمد فرج في كناشه العبارة الآتية : «في 9 شعبان 1327 دفع لنا البهلول بخيمته ثمن 24 خروف عامه تحصل فيها 74 ريالا دفع منها واجب المخزن على الماشية 10 ريال الباقي 64 ريال ، ودفع لنا واجبنا في النصف وقدره 32 ريال » 74 .

إن هذه الخلطة الفلاحية كانت تخص بعض كبار أهل المدينة خلال القرن التاسع عشر ، ونعلم أن الأوربيين عندما تسربوا من الموانئ ، اشتركوا مع عدد من الفلاحين وملاكي الماشية في البوادي ، وأطلق عليهم اسم المخالطين ، وبما أنهم بسطوا حمايتهم على بعض التجار فقد عقد هؤلاء أيضا الصلات مع أهل البادية ، وسلكوا مسلك الأوربيين في إفقار الفلاحين والكسابين البسطاء ، ومن الأسئلة التي تفرض نفسها هنا مدى صدق هذه الظاهرة على التاجر محمد فرج أو ابن أخيه الصهر. فقد وردت في كناش هذا الأخير إشارة إلى قضية الحماية والمخالطة في رسالة منفردة صغيرة وجدت بالصدفة بين أوراق الكناش يقول فيها البنيوري لصاحبه محمد فرج : «الحمد لله، السيد محمد فرج . بعد السلام رجعت من الطريق مع القنصل ، ويصلك جملان صوف (هكذا) مائة وسبعين جزة من الصوف والكراء إدفعه للحامل أربعة عشرة بسيطة والسلام » 75 .

ومن رسالة أخرى مؤرخة ب 15 يوليوز 1909 ومكتوبة باللغة الإنجليزية ، وجهها مادن Madden نائب قنصل الجديدة إلى صديق له

74 - كناش رقم 798، ص 41 .

75 - رسالة البنيوري . الكناش والصفحة نفسهما .

لانعلم هويته [76] يستفاد أن محمد فرج الصهر أصبح كاتبا في نيابة القنصلية الإنجليزية بالرباط خلفا لعمه الذي توفي إثر غرق السفينة التي كانت تقله في سواحل مالطة .

ونعلم أن كتاب القنصليات وكذلك السماسرة والخدام بها من المغاربة كانوا محميين وفقا للمعاهدات السابقة ، لذلك نتأكد من حماية التاجرين محمد فرج وابن أخيه وقد ساعدتهما الحماية دون شك في مد خطوط شبكتها التجارية عبر عدة موانئ أوربية وشرقية .

لاشك إذن أن آل فرج مثلوا هذه النخبة من الأعيان المنفتحين على الخارج والمستفيدين من هذا الإنفتاح ، وقد دلت الوثائق القديمة أنهم تعاطوا للنشاط التجاري منذ القرن الثامن عشر ووجدوا في بعض البلدان الأوربية منذ ذلك الوقت .

---

76 - انظر الرسالة بالإنجليزية وترجمتها العربية : الوثيقة 30 . وجدت هذه الرسالة ضمن أوراق فرج وسط أحد كنانيشه ومن المرجع أنها أرسلت إلى القنصل العام لإخباره بتعيين محمد فرج كاتبا في نيابة قنصلية إنجلترا بالرباط ، بطلب من نائب القنصل الإنجليزي بها .

الفصل الثالث عشر
أعيان الرباط خارج مدينتهم

1 – الرباط منبت للأمناء :

بالإضافة إلى الأمثلة التي ضربناها سابقا عن بعض الأعيان الرباطيين الذين اشتهروا بالتجارة خارج مدينتهم ، وزيادة على الأسماء التي تقلد أصحابها أمانة مرسى الرباط ومستفاداته ، فإنه من الملاحظ وجود عدد من موظفي المخزن ممن ينتمون إلى أشهر العائلات الرباطية قضوا مدة طويلة خارج مدينتهم ، وقد رجعوا إلى مسقط رأسهم عند انتهاء خدمتهم ، أو ظلوا في مكان وظيفتهم ، واتخذوه مقرا نهائيا لهم إلى مماتهم . إلا أن هذا الصنف الأخير قليل.

وتشير الوثائق إلى أن من أهم أصناف الأعيان الذين عملوا خارج مدينتهم كثير من الأمناء الذين انبتوا في المراسي الأخرى والمدن الداخلية حيث تقلدوا أمانة المرسى أو مستفاد مدينة ما أو أسندت إليهم الأمانة المركزية بفاس أو مراكش .ولأسباب ذكرناها من قبل ، بدأ هؤلاء الرباطيون يتكاثرون منذ عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان، كما يظهر في الجدول الآتي ، وخاصة أمناء المرسى .

الإسم	المدينة	سنة التعيين
1 – محمد بن عبد الله	الجديدة	1279/ 1862
2 – محمد مورينو	العرائش	1280/ 1863
3 – محمد التازي الرباطي	الدار البيضاء	1280 "
4 – الحاج محمد الرايسي	الجديدة	1280 و 1284/ 1863 و 1867
5 – الطيب الغربي	آسفي	1280/ 1863
6 – محمد الحساني	الصويرة	1280 "
7 – الحاج مصطفى جسوس	الدار البيضاء	1281 و 1284/ 1864 و 1868
8 – الحاج أحمد الركراكي	الجديدة	1281/ 1864
9 – الحاج محمد الغربي	آسفي	1281 / 1864
10 – عبد الله ملين	العرائش	1281 /1864
11 – العربي فرج	الصويرة	1281/1864

1 – محمد داود : تاريخ تطوان ج 6 ص 134 .
2 – أيضا . ص 133 .
3 – كذلك . ص 131 .
4 – كذلك . ص 134 .
5 – كذلك . ص 134 .
6 – كذلك . ص 135 .
7 – كذلك . ص 131 .
8 – كذلك . ص 134 .
9 – كذلك . ص 135 .
10 – كذلك . ص 133 .
11 – كذلك . ص 135

الإسم	المدينة	سنة التعيين
12 – محمد بن احساين	آسفي	1865/1282
13 – عمر بن الهاشمي بن عمرو	الصويرة	1865/1282
14 – الحاج أحمد الركراگي	الدار البيضاء	1866/1283
15 – الحاج العربي فرج	آسفي	1866/1283
16 – الحاج محمد بن عبد الله	الصويرة	1866/1283
17 – محمد الحساني	الجديدة	1867/1284
18 – محمد التازي	الصويرة	1867/1284
19 – الحاج محمد بن عبد الله	الصويرة	1868/1285
20 – الحاج العربي فرج	الدار البيضاء	1868/1285
21 – الطيب الغربي	الجديدة	1868/1285

يلاحظ من الجدول أن ثلاثة عشر أمينا رباطيا تداولوا العمل في أمانة خمسة مراس في مدة ست سنوات من 1279 إلى 1285 (1862 إلى 1868) إضافة إلى أمانة مرسى الرباط كما أثبتنا في الفصل السالف .

وهكذا أسندت الوظيفة إلى كل أمين في أكثر من مرسى بالتوالي ، فقد تقلب الأمين محمد بن عبد الله في أمانة مرسى الجديدة والصويرة مرتين ، وعين محمد التازي الرباطي في أمانة الدار البيضاء ثم في الصويرة ، وانتقل الأمين محمد الحساني من الخدمة في مرسى الصويرة ألى الجديدة ، بينما تقلد العربي فرج أمانة الصويرة وآسفي ، وعين في المرسى الأول مرتين . كما عين الطيب الغربي في مرسى آسفي ثم الجديدة في حين قلد الحاج أحمد الركراگي أمانة مرسى الجديدة ثم الدار البيضاء .

12 – كذلك . ص 135 .
13 – كذلك . ص 135 .
14 – كذلك . ص 131 .
15 – كذلك . ص 135 .
16 – كذلك . ص 135.
17 – كذلك . ص 134 .
18 – كذلك . ص 136 .
19 – كذلك . ص 136 .
20 – كذلك . ص 131 .
21 – كذلك . ص 134 .

ولاحاجة إلى التذكير بأن أغلبية أسماء هؤلاء الأمناء هي أسماء البيوتات نفسها التي كونت في الرباط النخبة السابقة ذاتها . وقد اشتهرت بالعراقة في العلم منذ القرنين السابع عشر والثامن عشر أمثال الغربي وابن عمرو وجسوس أو عرفت بالعمل مع المخزن منذ القديم مثل مورينو وفرج وملين ، زيادة على شهرتها بالتجارة . ويدل ذلك على أن وظيفة الأمانة أسندت إلى مشاهير الأسر ذات العلم أو الغنى أو الجاه .

ونرى أن الفترة المأخوذة كمثال لا تتعدى ست سنوات ، مما يعني أن المدة اللاحقة من عهد السلطان وقع فيها تعيين أمناء رباطيين آخرين ، ليست هناك وثائق عنهم كالسابقين ، ولكن ربما استخدم هؤلاء الأمناء في فترتين متواليتين ، وعلى كل حال تكفي اللائحة السابقة للاستدلال على أن السلطان أخذ يعتمد أيضا على أمناء الرباط بعد أن كان سلفه يقتصر على أمناء تطوان وفاس على الخصوص كما تظهر الوثائق ذلك .

لكن هذا الاعتماد ازداد في عهد السلطان المولى الحسن وأيضا المولى عبد العزيز والمولى عبد الحفيظ . وتعددت أنواع الأمانة التي اسندت إلى هؤلاء الأمناء ، كما يتبين من الجدول الآتي :

الإسم	نوع الأمانة	المدينة	سنة التعيين
22 – محمد بن موسى الرباطي	أمين الفرقوش	فاس	1876/1293
23 – المختار العوفير	أمين المستفاد	مراكش	1878/1296
24 – بناصر غنام	أمين الصائر	مراكش	1880/1298
25 – محمد فرج	أمين مرسى	الجديدة	1880/1298
26 – أحمد الحساني	أمين المستفاد	مراكش	1880/1298
27 – الحاج العربي فرج	أمين مرسي	الصويرة	1882/1300

22 – محفظة 32، ملخص رسالة 16 رمضان 1293 . خ.م.
23 – محفظة 18 ، رسالة 4 رجب 1296 . خ.م.
24 – محفظة 23 ، رسالة 7 شعبان 1298 . خ.م.
25 – محفظة 23 ، رسالة 8 جمادى الثانية 1298. خ.م.
26 – محفظة 24 ، رسالة 18 ربيع الأول 1298 . خ.م.
27 – محفظة 27 ، رسالة 10 شوال 1300 . خ.م.

28 – علي كراكشو	أمين المستفاد	العرائش	1882/1300
29 – الطاهر الزبيدي	"	سلا	1883/1301
30 – عبد السلام والزهرا	أمين المرسى	تطوان	1883/1301
31 – المكي والزهرا	أمين المرسى	الجديدة	1883/ 1301
32 – االمختار العوفير	أمين دار عديل	فاس	1883/1301
33 – العباس بن َمحمد برگاش	أمين «قبائل»	ضواحي زيان	1883/1301
34 – الحاج محمد بناني الرباطي	أمين المستفاد	الصويرة	1883/1301
35 – محمد بن موسى الرباطي	أمين المستفاد	دمنات	1883/1301
36 – الجيلاني الركراكي الرباطي	أمين المستفاد	الجديدة	1883/1301
37 – أبو بكر دينية	أمين البنيقة	مراكش	1884/1302
38 – محمد غنام	أمين المستفاد	الدار البيضاء	1885/1303
39 – محمد مرسيل	أمين المستفاد	مكناس	؟ توفي سنة 1888/1306
40 – مصطفى جسوس الرباطي	أمين المرسى	الدار البيضاء	1308- 1890/9
41 – المكي بن عبد الرحمان والزهرا	أمين البنيقة	مراكش	1892/1310
42 – الطاهر بناني	أمين المستفاد	مراكش	1892/1310
43 – أحمد بن محمد فرج	أمين المستفاد	الدار البيضاء	من 1312 إلى 1318/من 1894 إلى 1900
44 – المكي بن عبد الرحمان والزهرا	أمين القبض	العرائش	1896/1314
45 – محمد بن التهامي بناني	أمين التعشير	تطوان	1896/1314
46 – أحمد بلا فريج	أمين المستفاد	أزمور	1899/1317

28 – محفظة 30 ، رسالة 24 ربيع الثاني 1300 . خ.م.
29 – محفظة 30 ، رسالة 16 ربيع الثاني 1301 . خ.م.
30 – محفظة 30 ، رسالة 29 جمادى الأولى 1301 . خ.م.
31 – محفظة 30 ، رسالة 26 قعدة 1301 . خ.م.
32 – محفظة 33 ، رسالة 11 ربيع الثاني 1301 .خ.م.
33 – محفظة 99 رسالة 2 رمضان 1301 . خ.م.
34 – كناش 123 ، غير مرقم : ملخص رسالة 7 حجة 1301 . خ.م.
35 – كناش 121 ص 52 ملخص رسالة 26 رمضان 1301 . خ.م.
36 – كناش 121 ص 149 ملخص رسالة 17 شوال 1301 . خ.م.
37 – التوزاني نعيمة : الأمناء. مرجع سابق ، ص 60 و 218 .
38 – كناش 370 ص 123 : رسالة 9 جمادى الثانية 1303 . خ.م.
39 – وثائق برگاش : ميكرو وفيلم رقمه 2171 خ.ع. ظهير 3 محرم 1306 .
40 – كناش 178 : تقييدات مختلفة في سنة 1308 .
41 – التوزاني – **الأمناء**. ص 218 .
42 – محفظة 107 : رسالة 18 رجب 1310 : خ.م.
43 – كناش 806 . الداخل من مستفاد الدار البيضاء . تقييد أول محرم 1312 .
44 – كناش 229 : رسائل صادرة في شأن تعيين الأمناء سنة 1314 . رسالة 20 جمادى الثانية 1314 ، خ.م.
45 – رسالة بالتاريخ نفسه
46 – كناش 734 : غير مرقم : ملخص رسالة 15 رجب 1317 ، خ.م.

ازداد عدد الأمناء الذين اختارهم المخزن من الرباط في عهد المولى الحسن ومن بعده ، فمن جهة أولى أصبحت مناصب أخرى من الأمانه تسند إليهم ، ومن بينها : الأمانة المركزية كأمانة دار عديل أو بنيقة مراكش فكان أصحابها يتحملون مسؤولية كبيرة في مالية الدولة، ومن جهة أخرى أصبحت شبكة المدن والبوادي التي عينوا فيها أوسع مما كانت عليه في العهد السابق .

وقد أسندت إليهم أمانة المستفاد أكثر من غيرها إذ مارسها اثنا عشر أمينا من جملة خمسة وعشرين في الفترة الممتدة بين 1293 و 1876/1317 و 1899 .

وقد احتضنت مدينة مراكش أكبر نسبة بستة أمناء شغل بعضهم مناصب عليا مثل أمانة الفرقوش وأمانة الصائر وأمانة البنيقة ، والباقي شغل منصب أمانة المستفاد بها وكانت أهم من مستفاد المدن الأخرى ، لأنها العاصمة الثانية بعد فاس تحتضن أملاكا مخزنية متعددة وما يرتبط بها من كثرة الخدمات المنوطة بموظف المستفاد بها. وقد توالى على هذا المنصب كل من محمد بن موسى وأحمد الحساني ثم الطاهر بناني ، بينما أسندت أمانة البنيقة إلى كل من بوبكر دينية سنة 1884/1302 ، والمكي والزهرا سنة 1892/1310 .

أما العاصمة فاس فقد أسندت فيها أمانة الفرقوش إلى محمد بن موسى في بداية عهد السلطان المولى الحسن ، فكان مكلفا بشؤون الخيل والبغال المخزنية ، في حين أسندت أمانة دار عديل إلى المختار العوفير سنة 1883/1301 وهو الذي كان أمينا لمستفاد مراكش قبل ذلك .

ولقد كانت هذه المناصب السامية في الأمانة المركزية فروعا ومصالح في المالية ، بحيث أشرف أصحابها على عدد من الكتاب والعدول والأعوان ؛ فكان ذلك بمثابة بيروقراطية في بدايتها .

ويمكن أن نستخلص من الجدول أيضا تعدد مناصب الأمانة المسندة إلي الأمين الواحد . فالمكي والزهرا مثلا تقلد منصب أمين مرسى الجديدة سنة 1301 ، وأمانة بنيقة مراكش سنة 1310 وأمانة

مرسى العرائش سنة 1314 .

ومن جهة ثانية أعطت بعض أسر هؤلاء الأعيان أكثر من أمين مثل أسرة والزهرا المذكورة ، وفرج وغنام وبناني ، فأغلبية العائلات ذات المناصب المهمة داخل المدينة تقلد أعضاؤها وظائف خارج الرباط ، مما يجعل السلطة والجاه وما يتبعهما من الغنى عناصر تتركز في يد هذه الأسر المحدودة في عددها .

وانطلاقا من الجدول أيضا يمكن القول إن الأمناء الرباطيين ساهموا بقسط كبير في إعادة التنظيم المالي والضريبي والجمركي والأسواق ، منذ عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان إلى حلول الحماية التي استبدلت بتنظيماتها الإستعمارية مناصب الأمانة .

2 – القضاة الرباطيون في قضاء المدن الأخرى

عين المخزن عددا من العدول والفقهاء الرباطيين قضاة في عدة مدن خلال النصف الثاني من القرن ، وكان قضاء الرباط في ذلك الوقت مشرفا على قضاة الدار البيضاء التي كان قاضي الأولى نائبا عن قاضي الثانية . وقد توجه من الرباط قضاة إلى مختلف المدن كما يتبين في اللائحة أسفله :

القاضي	المدينة	سنة التولية أو المدة
47 – الحاج عمر عاشور	طنجة	بعد 1863/1280
48 – عبد الرحمان لباريس	الدار البيضاء	1890/1879-1307/1297
49 – محمد بلجناوي	الدار البيضاء	1893/1891-1310/1309
50 – محمد فرج	الدار البيضاء	1892/1310
51 – المعطي الغربي	الدار البيضاء	1893/1311
52 – ابراهيم بلجناوي	الدار البيضاء	1893/1311
53 – أحمد الزعيمي	الدار البيضاء	1911/1907-1329/1325
54 – أحمد بن ابراهيم	العرائش ، آسفي، عبدة وأحمر	1915/1908 - 1334/1326
55 – الجيلاني بن ابراهيم	آسفي	1917/1908-1336/1326

47 – محمد بوجندار : الإغتباط . ص 450 . الرباط 1987 تقديم كريم .
48 – 〃 〃 〃 ص 370 .
49 – 〃 〃 〃 ص 202 .
50 – 〃 〃 〃 ص 232 .
51 – محمد بن علي دينية ، مجالس الإنبساط. مطابع الإتقان الرباط 1986. ص 235 وبوجندار، المرجع السابق ، ص 353 .
52 – محمد بوجندار ، المرجع السابق ، ص 244 .
53 – محمد دينية ، مرجع سابق ص 293 .
54 – محمد دينية. ص 314 وبوجندار. ص 71 و 72 . المرجعان السابقان .
55 – محمد دينية . المرجع السابق ص 318 .

لم تكن تولية أعيان الرباط القضاء في المدن الأخرى مقتصرة على النصف الأول من القرن إذا علمنا أن محمد عاشور [56] كان قد تقلد قضاء مراكش سنة 1829/1245 وتقلد المعطي العزوزي قضاء تارودانت سنة 1844 [57] . وهذا يدل كما أشرنا سابقا على أن المستوى العلمي بالرباط كان يمكن من تكوين فائض من المؤهلين لهذه المهمة ، فكان عدد منهم يتوظف بالرباط والباقي يتوظف بالدار البيضاء وبعض المدن الأخرى والبوادي . وهذا دور لم يكن معروفا للرباط ، وقد ازداد في النصف الثاني من القرن الماضي .

ويظهر الجدول اختصاص بعض العائلات في تخريج القضاة مثل عائلة ابن ابراهيم التي ذكرنا منها سابقا محمد بن ابراهيم الذي تولى قضاء الرباط سنة 1864/1281 ، وقد تقلد ابنه أحمد قضاء العرائش وآسفي وعبدة كما تقلد الجيلاني بن ابراهيم قضاء آسفي وأعطت أيضا عائلة بلجناوي قاضيين هما محمد والمعطي .

وتدل كتابات أصحاب التراجم على أن بعض هؤلاء القضاة الرباطيين المعينين خارج مدينتهم لم يوظفوا لسد الثغرة ولملإ المنصب فقط بل كان لهم نصيب من العلم ، وبلغ بعضهم فيه شأوا بعيدا، وجمع آخرون بين العلم والتقوى والورع أمثال القاضي عاشور . ومنهم من ضم العلوم الدينية إلى العلوم العقلية مثل أحمد بن ابراهيم الذي قال فيه بوجندار : «شيخنا الفقيه العلامة الفرضي الحيسوبي النوازلي القاضي الشهير» ، [58] وكان الجيلاني ابن ابراهيم أيضا مفتيا وعالما كبيرا وصفه بوجندار بأنه «كان ركنا من أركان العلم بالرباط» [59] .

وأغلبية هؤلاء القضاة كانوا عدولا أو كتابا من قبل ، كأحمد الزعيمي ومحمد فرج ، فالأول كان كاتبا من كتاب النائب برگاش بطنجة، ولدى المخزن بفاس ، ثم صار عدلا بمرسى طنجة قبل تقلده قضاء الدار البيضاء ، في حين انتصب محمد فرج عدلا ثم صار كاتبا بدار عديل بفاس وفي بنيقة الصائر بمراكش وفي خراج مرسى

56 – محمد بوجندار **تعطير البساط** . مطبعة الجريدة الرسمية 1345 . من ص 29 إلى ص 32 .
57 – محمد بوجندار ، **الإغتباط** ص 354 .
58 – أيضا . ص 71 .
59 – كذلك . ص 286 .

العرائش 60 .

وقد تنوع تكوين هؤلاء القضاة الذي هو في الحقيقة ناتج عن اختلاف تكوين كل من العدول والكتاب ، فبينما كان للعدول نصيب من الفقه والفرائض وعلوم الدين كان الكتاب يميلون إلى الآداب والعروض واللغة والبلاغة . ومن أجل ذلك نجد الفرق شاسعا مثلا بين القاضي الحاج عمر عاشور الفقيه النوازلي الصوفي وبين محمد بلجناوي الذي كان تكوينه بسيطا ، أو بين الأول والقاضي أحمد الزعيمي الذي كانت قريحته تميل الى قرض الشعر ، كما يدل على ذلك ديوانه 61 وبينما كان بعض القضاة محافظين ومتشددين كان آخرون متفتحين لا يرون ضررا في إقامة المسامرات التي لا تخلو من عزف على الآلات الوترية 61 .

ونجد قضاة آخرين برعوا في علوم ليست ضرورية في تكوين القاضي ، فكان عبد الرحمان لباريس بارعا في علم الفلك والتعديل ويصف بوجندار مذاكرة علمية جرت بينه وبين علماء مكة لما حج سنة 1307 فقال : «وظهر فضله في مكة ، واجتمع مع علمائها ، وكانت وقعت بينهم مذاكرة في شأن يوم عرفة واختلفوا ، فاستظهر عليهم بما لديه من علم التعديل فاعترفوا له » 62 .

وكان جل هؤلاء القضاة ينتدبون للقيام بكل أنواع الإشراف على الحياة الدينية في بعض المدن ، فقد أعطى المولى الحسن أمره للقاضي ابراهيم بلجناوي للإستيطان بالدار البيضاء للقيام بمراسيم الدين كالتدريس والشهادة والخطابة والقضاء» 63 .

وكان قضاة الدار البيضاء يعينون ويعزلون من طرف قاضي الرباط ويتعرضون لانتقاداته بل والي إبطال أحكامهم أحيانا ، وهذا ما حدث عند ما تدخل قاضي الرباط محمد بن عبد الرحمان البريبري في

---

60 – كذلك . ص 232 وأيضا وثائق الزعيمي (وثائق خاصة) .

61 – في الإغتباط عدد من أشعاره ، وكذا في الإنبساط وفي الإعلام للمراكشي الجزء الثاني ، وفي أعلام الفكر بالعدوتين للجراري ، وفي حوزة صاحب البحث ديوان كامل له وهو عبارة عن أمداح نبوية .

62 – محمد بوجندار ، الإغتباط. ص 370 و 371 .

63 – أيضا . ص 244 .

حكم نائبه بالدار البيضاء سنة 1310 ولعله محمد بن الگناوي وهو حكم يتعلق بقضية ميراث خالفه فيه ، فأصدر حكما بديلا عنه ، وأمر بعزله مباشرة وتعويضه بنائب آخر ، فأرسل النائب المعزول إلى السلطان مولاي الحسن يشتكي ، خاصة وأن قاضي الرباط أمر ناظر أحباس الدار البيضاء أن يخرج بلگناوي من الدار التي كان يسكنها ليستقر بها النائب الجديد 64 .

3 – أعيان الرباط في المناصب السياسية والدبلوماسية :

لقد دلت كثيرمن الإشارات في الوثائق والمؤلفات حول الإدارة المغربية – خلال القرن الماضي وما قبله – على أن الشخصيات التي مارست الوظائف المخزنية العليا وخاصة في العاصمة انتمت الى مدن محدودة أو قبائل جمعتها بالعائلة السلطانية قرابة الدم والمصالح ، أو تفانى أعضاؤها في خدمة القصر لمدة طويلة .

ولم تساهم الرباط في العهد العلوي إلا بقسط قليل في هذه المناصب العليا في السابق ، ولكن وقعت في النصف الثاني من القرن الماضي حركة غير عادية في هذا المضمار ، فقد أعطينا عده أمثلة عن الأعيان الرباطيين الذين تبوأوا مناصب الأمانة المركزية والتي كانت بمثابة مصالح أو فروع للإدارة المالية ، ولم تكن الأمانة المركزية الوظيفة المركزية الوحيدة إذ تبوأ بعض أعيان الرباط مناصب سياسية ودبلوماسية ، ولكن الأسر التي أعطت بعض هؤلاء ظلت محدودة مع ذلك يمكن حرصها فيما يلي :

1.3 – أسرة الزبدي

أشرنا إلى أن محمد بن الطاهر الزبدي تبوأ مناصب مهمة كأمانة الحسابات والسفارة في عهد سيدي محمد بن عبد الرحمان والمولى الحسن . ولم يكن الوحيد في ذلك . فقد أسند المخزن لابنه العربي أيضا وظيفة أمين الحسابات ولكي نلمس أهمية هذه الوظيفة نقرأ ما قاله ابن زيدان عنها وعن المكلف بها : «يراجع حسابات الأملاك المخزنية

64 – محفظة 403 : رسالة 15شعبان 1310 .

والمستفادات والرباع والنظار ووكلاء الغياب ، ويقوم بمحاسبة قواد القبائل ومراقبة الداخل والخارج في جميع ما تملكه الدولة ، وجميع دفاتر الدولة تكون تحت يده ، وفي كل سنة يجعل لما راج فيها من الدفاتر برنامج بعد ختمها ثم تجعل في صناديق ويشرع في آخر .

«وهكذا كان يحمل الظعن مع الركاب السلطاني نحو الأربعين وقرا في الدفاتر لإيقاع الحساب مع العمال فيما يترتب بذممهم من الزكوات والأعشار، فيقيد المقبوض والباقي في الذمم ويختم العمال على ذلك بأختامهم ، ويجوز ذلك أمين الحسابات المذكور» 65 .

وهكذا كان العربي الزبدي مثل أبيه ، يراقب بمقتضى هذه الوظيفة كل القائمين على أموال الدولة ويحاسبهم ، وكان يرافق السلطان في تنقلاته لمحاسبة الأمناء ومراجعة الكشوف الحسابية وكنانيش الأمانة سواء في المدن أو القبائل .

ويظهر أن العربي الزبدي كان يتعاون مع أبيه ، فقد كلف محمد بن الطاهر الزبدي ابنه العربي بمهمة لدى الوزير محمد بن العربي الجامعي سنة 1301 تتعلق بالتكاليف المخزنية المفروضة على بعض القبائل 66 في إطار وظيفة أمانة الحسابات .

وهناك وثائق تدل على أن العربي الزبدي وخاصة أباه محمدا كانا من المساعدين المباشرين للسلطان مولاي الحسن على الخصوص الذي استخدم الأب في عدد من المهمات الصعبة . وكانت وفاة الحاج محمد سنة 1304 ودفن بمقبرة العلو 67 .

2.3 – أسرتا فرج وغنام

عرفنا أن أعضاء من أسرة فرج قد مارسوا وظائف العمالة والأمانة والحسبة والنظارة ، وكان بعض أعضائهم مثل الأمين والتاجر العربي فرج الذي تحدثنا عنه في فصل سابق مقربا إلى السلطان يكلفه بمهام دبلوماسية متعددة ، فعلى سبيل المثال أرسله في حفل تتويج ملك إيطاليا وكلفه بإجراء مباحثات في طنجة مع باشدور الألمان في قضية

---

65 – عبد الرحمان ابن زيدان : الاتحاف . ج 2 ص 514 و 515.

66 – محفظة 48 : رسالة 16 قعدة 1301. خ.م.

67 – مصطفى بوشعراء : الاستيطان ج 1 ص 408 و 409 وكذلك وثائق بنسعيد.

الحمايات القنصلية . وهذا يجعله من الشخصيات التي لعبت دوراسياسيا ودبلوماسيا . وقد أرسل محمد فرج إلى أبيه العربي هذا خطابا من مانشطر إلى الرباط نعلم منه أن العربي فرج رجع من المهمة التي كلفه بها المولى الحسن بإيطاليا في غشت 1879 ونورد مقتطفا من هذه الرسالة المكتوبة بلغة دارجة حيث قال : « وفيه عرفتنا بحلولك لطانجة تاريخ 6 شعبان (1296) صحبة بابور المخزن متع الطليان ... فالحمد لله علي سلامتك وعافيتك ، وعرفتنا على السلطان الطيان أنه فرح بك ولم قصر معك ... 68 .

ويمكن القول إن الشخصية التي لعبت الدور الأكبر في أسرة فرج هو الأمين والمحتسب والناظر الحاج عبد الخالق فرج. فقز اعتمد عليه السلطان مولاي الحسن ومن بعده السلطان مولاي عبد العزيز فكلفه بعدة مهام سياسية على الرغم من أن وظيفة الحسبة التي كان يشغلهاآنداك لا تدخل فيها الاختصاصات التي تكلف بها. وهكذا عهد إليه السلطان المولى عبد العزيز في أوائل عهده بالإشراف على الحركات السلطانية ، إذ كلفه سنة 1313 بصوائر الحركة وبدفع مؤن المحلة التي كانت موجودة بمنطقة الحوز ، مما يبين أنه لم يكن دائم الاستقرار في الرباط ، وإنما كان يسافر إلى مختلف المناطق التي كان المخزن يحتاج فيها لخدمته ، ويترك مؤقتا شغله كمحتسب وكناظر في آن واحد. 69 وكلفه المخزن أيضا بجمع واجبات القبائل في حركة سلطانية أخرى ، وهكذا تلقى من قواد القبائل المختلفة نصيبهم في الحركة زيادة على أنه تكلف بشراء عدة لوازم تخص القصر السلطاني وببيع ثيران العذائر السلطانية بدكالة 70 .

أما أسرة غنام فقد ظهر فيها رجل لعب دورا مهما في السياسة والدبلوماسية المغربيتين وهو :

68 – وثائق عائلة فرج : رسالة من أحمد فرج إلى أبيه العربي بتاريخ 28 شعبان 1296 .
69 – كناش 776 غير مرقم ، ملخص رسالة 29 حجة 1314 . خ.م.
70 – كناش 432 : رسالة 21 قعدة 1315 ص 187 و مصطفى بوشعراء : **الإستيطان** ج 4 ص 1464.

بناصر بن أحمد غنام

هو ابن الناظر أحمد المذكور في جدول سابق ، ولد سنة 1262/ 1845 بالرباط وخلف أباه سنة 1290 / 1873 بعد وفاته ، وبرهن على جد وكفاءة، فأصبح من المعروفين لدى السلطان الذي أخذ يكاتبه مباشرة. وفي سنة 1876 عينه في السفارة التي ترأسها محمد بن الطاهر الزبدي إلى البلدان الأوروبية للمفاوضة في أمر الحماية القنصلية ، ثم سماه أمينا للمال ، فشارك في عملية ضرب الريال المغربي ، وفي أوائل سنة 1300ترقى إلى رتبة أمين الإختبار بالمراسي . وكان مع السيد محمد الرزيني من الذين أشاروا على السلطان باتخاذ التدابير الكفيلة بتنمية الموارد المالية كرفع مرتبات الموظفين وعزل الأمناء الذين دلت التحريات على عدم صلاحيتهم ، وإصلاح مرافق المراسي .

وفي سنة 1318 عين مستشارا للنائب السلطاني محمد بن العربي الطريس بطنجة ، وبعث في سفارة إلى فرنسا وروسيا صحبة عبد الكريم بن سليمان وزير الخارجية سنة 1901/1319 ، ثم أرسله إلى الجزائر سنة 1902/1320 لتحية رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة زيارته للجزائر ووهران ، وتفقد المنشآت الفرنسية الواقعة قرب الحدود المغربية في أرض الجزائر والأراضي المغربية التي اغتصبتها فرنسا وألحقتها بممتلكاتها. واستمر يعمل بدار النيابة ، وكان السلطان المولى عبد العزيز قد استدعاه في الشهور الأخيرة من ملكه من جديد فعينه معتمدا في اللجنة المكلفة بالتعويضات المتعلقة بالأضرار التي لحقت بالدار البيضاء.

ولما بويع مولاي عبد الحفيظ أقره في منصبه وحاول أن يعينه خليفة لمحمد الجباص النائب الجديد بطنجة للإستفادة من معرفته وخبرته ولكن السفارة الفرنسية ثارت على هذا الترشيح لأنها اعتبرت بناصر غنام رجلا متعصبا فلم يتم تعيينه ، وفي سنة 1327 عينه السلطان عضوا في سفارة أحمد بن المواز إلى إسبانيا ، ولما حلت

الحماية تقاعد وقد جمع ثروة كبيرة من عمله الطويل بالمخزن . وكانت وفاته سنة 1915 بمدينة الرباط [71] .

3.3 – أسرة بركاش

تعددت الأشارات سابقا إلى هذه الأسرة ، ومن المهم هنا أن نبرز أعضاءها الذين تبوأوا مناصب الوزراء والسفراء وكذلك العمال في المدن الأخرى .

النائب محمد بن عبد الرحمان بركاش :

ولد حوالي سنة 1813/1229 وقيل قبل ذلك ، وتعلم على يد فقهاء الجامع الكبير بالسويقة [72] بالرباط ، واشتغل في شبابه بالتجارة في جبل طارق ولندن ومارسيليا [73] وقد شاركه كل من الحاج محمد بن المدني بنيس في تجارته بجبل طارق قبل أن يصبح أمينا للأمناء، وكذلك عبد الخالق فرج قبل أن يصبح محتسبا ، وفي الخمسينيات عينه المولى عبد الرحمان عاملا للدار البيضاء وأمينا لجباياتها ، وبعد حرب تطوان استدعاه السلطان محمد بن عبد الرحمان سنة 1862 ليقوم بشؤون دار النيابة بطنجة خلفا لمحمد الخطيب .

وهكذا تقلد محمد برگاش ابن رئيس البحر القديم عبد الرحمان (المجاهد) هذا المنصب الذي استمر فيه طيلة أربع وعشرين سنة ، ولقد كان برگاش في هذه الوظيفة بمثابة وزير الخارجية وواسطة بين السلطان وممثلي الدول الأجنبية ذات العلاقة مع المغرب .

وقد وصف برگاش من طرف بعض القناصلة والكتاب الأوربيين ، فقيل بأن تعليمه لا يتعدى مبادئ القراءة والكتابة لكنه نعت برجاحة العقل وقد نعته القنصل الفرنسي هافراي Haffray في شتنبر 1867 بأن له عقلا حيا وبالفهم الجيد وقوة التذكر [74] ، ولكنه اتهمه باللهف على جمع الثروة قبل كل شيء والعمل على تنمية تجارته التي كان قد عهد

71 – أخذت ترجمته من أعلام المغرب العربي لعبد الوهاب بن منصور الجزء 1 ص 217 ومن مصطفى بوشعراء : الإستيطان ج 1 ص 410-411 .
وأيضا : Saint René Taillandier : Les origines du Maroc Français p. 5

72- Gouvion : Ayane al Maghrib al Aksa. Alger, 1938 p. 283.

73 - Henri de la Martinière : Souvenirs du Maroc. Paris 1919. p 28.

74 - ar. A.E.F. : corres. com : Rabat 1842-1872, rapport de Haffray le 1 septembre 1867.



النائب السلطاني الحاج محمد بركاش
توفي عام 1303

بتسييرها إلى أفراد من عائلته .

وأهم دور قام به في وظيفته هو اضطلاعه بمكافحة الحماية القنصلية . ولكن التغلغل الأوربي في البلاد أفشل كل مجهوداته ، فلم ينجح في مهمته التي كان ينفذ فيها سياسة المخزن ، وفي حدود 1884 ساءت حالته الصحية وضعف بصره فسافر إلى أوربا للتداوي ومات في 2 أكتوبر 1886 [75] . ودفن في مقبرة العلو في الروضة المعروفة لأسرته [76] وقد خلف أبناء هم الحاج محمد والصديق والعباس وعبد المجيد ، اضطلع معظمهم بمهام كبرى في الدولة . كما خلف أحفادا لعب بعضهم أدوارا قيادية .

محمد بن محمد بركاش :

الحاج محمد هو الإبن البكر للنائب ، ولد بالرباط سنة 1247 وعهد إليه السلطان مولاي الحسن بعدة مهام في أوربا منها حضوره في مؤتمر مدريد 1880 ، وكلفه أيضا بجلب الآلات الحربية من الخارج وبانتخاب الطلبة المتعلمين اللغات بطنجة والطلبة الموجهين للدراسة بالخارج ، ولم يلبث أن تقلد منصبا وزاريا فأصبح وزيرا للحربية [77] لكنه سرعان ما توفي سنة 1886 .

عبد الرحمان بن محمد بركاش :

هو حفيد النائب كلفه السلطان المولى الحسن بمهام خارج البلاد عندما أوكل إليه أمر جلب آلات حربية من الخارج مثل أبيه الحاج محمد، وقد تقلد منصب باشا الدار البيضاء سنة 1892 ثم باشا الصويرة [78] .

الصديق بركاش :

نصبه المولى عبد العزيز عاملا لمدينة طنجة سنة 1900 [79] وفي عهد المولى عبد الحفيظ أصبح عاملا لمدينة الرباط سنة 1909 كما أشرنا سلفا .

---

75 - GOUVION . Op. cit. p. 283 .

76 – مجلة الوثائق : نفس المرجع في هامش 71 ومصطفى بوشعراء : الإستيطان ج 1 ص 398/392 .

77 - ar. Vinc : carton 3h5, rapport de 6 sept . 1885 de la mission militaire Française`a Rabat.

أنظر الوثيقة رقم 11 في الملحق ومصطفى بوشعراء : التعريف ببني سعيد السلاويين . ج 2 ص 184 وما بعدها .

78– مصطفى بوشعراء : الإستيطان . ج 2 . ص 806.

79 – تهليل رسالة ص CxI .



عبد الرحمان برگاش حفيد النائب السلطاني مَحمد برگاش
أصبح باشا لمدينة الرباط ابتداء من سنة 1917

يظهر واضحا أن أسرة برگاش كانت ذات حظوة لدى المخزن ، وقد أكسبها العمل الطويل معه ثروة كبيرة يمكن التعرف عليها من خلال الوثائق الخاصة لهذه الأسرة . فقد ترك النائب محمد برگاش زمام تركته التي تدل في آن واحد على نموذج من ثروات رجال المخزن الرباطيين الذين عملوا في عدة مدن من جهة أولى ، ومن جهة ثانية على عينة من التركات المتوارثة خلفا عن سلف منذ عهد القرصنة . ويمكن إجراء مقارنة بينها وبين مخلفات الأعيان الذين مارسوا التجارة فقط دون تبوء سلطة مخزنية مثل ثروة التاجر محمد فرج .

وتعد هذه الثروة فوق ذلك مقياسا من مقاييس مقومات أعيان السلطة.

ولكن ثروة محمد برگاش لم تكن ناتجة طبعا عن العمل المخزني وحده ، فقد أشرنا إلى ممارسته للتجارة سواء في شبابه أو أثناء عمله المخزني .

ويمكن تقسيم تركة برگاش إلى أقسام حسب المدن التي كان له فيها أملاكه والتي سبق له أن اشتغل فيها .

4.3 – تركة النائب بركاش :

1.4.3 – أملاكه بالرباط :

قوم كله من العدل محمد بن الحاج محمد بن مسعود والعدل محمد بن الحاج المكي الغربي وهما من العارفين بقيمة الأملاك تركة النائب وذلك في شهر ذي القعدة 1307 / يوليوز 1890 أي بعد أربع سنوات من موته وهي كالتالي :

الثمن	الموقع أو الوصف	الملك
8000 ريال	درب مولاي عبد الله	دار كبرى
600 ريال	الزنقة المقابلة لدرب الأزرق قرب الحمام الجديد	نصف دار صغيرة
4000 ريال	كان يسكنها ولده الحاج عبد المجيد	دار
400 ريال	هي الثالثة عن يمين الداخل للزنقة المذكورة	دويرة
100 ريال	متصل بالدار السابقة غربا	مخزن
500 ريال	متصلة بالدار الكبرى معروفة قبل بدار الغرباوي	دار
1200 ريال	زنقة الرحماني معروفة بدار فرفرا	دار
300 ريال	معروفة بدار الجيار مقابلة للدار الصغيرة	نصف دار
1400 ريال	الثانية عن يمين الداخل للزنقة المتصلة جوفا بالرحي بدرب مولاي عبد الله	دار
1800 ريال	معروفة بدار أولاد بن سليمان قرب ضريح مولاي ابراهيم	دار
400 ريال	لابن زاكور قرب ضريح سيدي عبد القادر بن أحمد	روض معروف قبل
1000 ريال	كان يسكنها العالم أبو إسحاق التادلي قرب جامع دينية	دار
900 ريال	في فوق ، عن يمين الداخل لدرب سيدي محمد إسحاق السرايري	دويرتان
700 ريال	أسفلهما	دويرتان
800 ريال	عن يمين الداخل للزنقة المقابلة لمسجد بلامينو	دار
700 ريال	عن يسار الخارج من درب النجار	نصف دار السلعة
400 ريال	عن يسار الخارج من درب سيدي محمد بن اسحاق	حانوتان
1600 ريال	متصلة بفندق ولد الضاوية	الفنيديقة الصغيرة
400 ريال	هي الأولى عن يمين الخارج من الفنيديقة	حانوت
300 ريال	قرب سيدي بن رزوق بحومة الجزاء	فرن
1500 ريال	متصلة قبلة بالمسجد في درب مولاي عبد الله	دار
3300 ريال	معروفة بدار الأوراوي	دار
150 ريالا	عن يسار الخارج من الزنقة المقابلة لدرب الأزرق	تلث أروى
40 ريالا	درب الفاسي الغربية	خربة
80 ريالا	معروفة بأرض الزبوجة فوق عقبة باب شالة	أرض
85 ريالا	معروفة بأرض الجندوز خارج باب شالة	نصف أرض
30595 ريالا	**أمـــلاك الـــربـــاط**	**مـجـمـــوع**

لقد امتلك النائب هذه العقارات إما عن طريق الإرث مثل الدور التي بدرب مولاي عبد الله بالقرب من قصبة الأودايا ، وإما عن طريق اقتنائه لها .

2.4.3 – أملاكه بالدار البيضاء :

الملك	الموقع والاعتمار	الثمن
حانوتان	ذاتا بابين ، بها اعتمار أحمد بن زاكور الجزيري	200 ريال
حانوتان	مجاورتان ، بهما اعتمار الشريف سيدي ادريس الكتاني	200 ريال
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار محمد بن قدور	150 ريالا
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار الياهو التدغي	150 ريالا
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار المحجوب بوضربات الشلح	150 ريالا
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار الذمي دافيد بن يعيش نائبا عن الإنجليزي لام	300 ريال
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار ابي يعزى النديمي	200 ريال
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار الذمي حبيب عنوفة	140 ريالا
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار السيد أحمد القباج	100 ريال
حانوتان	بهما اعتمار سيدي الفاطمي الرفاعي	400 ريال
حانوت	مجاورة لهما من اعتمار محمد السرار	100 ريال
حانوتان	بهما اعتمار الذمي زليقة	200 ريال
هري	بباب المرسى من اعتمار هنتز الإنجليزي	3000 ريال
المجموع		**5090 ريالا**

يظهر واضحا من هذه اللائحة أن أملاك الدار البيضاء أماكن تجارية . وهذا يدل على أن محمد برگاش لم يهتم باقتناء الدور للسكنى بقدر ما عنى بتنمية تجارته عندما كان مستقرا بالدار البيضاء ، ويلاحظ أن جميع الحوانيت التي امتلكها توجد في حي واحد بل متجاورة الواحدة مع الأخرى مما يبين أنه كان « يحتكر» شارعا تجاريا كاملا .

3.4.3 – أملاكه بطنجة

يظهر من اللائحة أن أملاك السيد برگاش بطنجة هي الدور

الملك	الموقع والوصف	الثمن
دار	معروفة بدار شبانة	2200 ريال
دار	معروفة بدار سيدي الخطر ، بواد الأندلس	2200 ريال
دار	معروفة بدار أبرياق	2000 ريال
دار	معروفة بدار حدو	1200 ريال
دويرة	مخرجة منها	1000 ريال
دار	معروفة بدار اسمار	3000 ريال
دار	معروفة بدار الفقيه الزكوري	2000 ريال
دار	معروفة بدار بوربكة أصبحت فندقا بحومة بني يدر	5500 ريال
دويرة	مخرجة منها	1000 ريال
مخزين	كان لشخص يدعى البقاش ومعروف بدار خنينة	700 ريال
دويرة	فوقه	1400 ريال
دار	كانت فرنا بحومة بني يدر	400 ريال
دار	معروفة بدار بالقة بنفس الحومة	24000 ريال
دار	معروفة بدار اللواح بحومة الزيتونة	300 ريال
دار	معروفة بدار اللغميش تحت عقبة البنسية	400 ريال
دار	معروفة بدار العمارتي بواد سالم	1450 ريالا
حانوت	بسوق الداخل كان بها اللغميش	500 ريال
ثلثا حانوت	بالصياغين	466 ريالا
المجموع		33066 ريالا

والمساكن مثل الرباط ، ويمكن ملاحظة غلاء أثمانها بصفة عامة في هذه المدينة .

وبما أن النائب شغل منصبه في طنجة من سنة 1862 إلى سنة 1886 فقد واكب الحركة التي حدثت في المدينة والتي نتجت عن الأزمات الغذائية التي اجتاحت البلاد والتي أشرنا إلى استفادة بعض الأعيان منها . فقد عمت هذه الأزمات البلاد في سنوات 1868 و 1878 و 1882 80 وقد باع الكثير من الناس أملاكهم بأثمان بخسة ليشتروا ما يقتاتون به ولا شك أن السيد برگاش استفاد من هبوط أثمان العقارات لاقتناء بعض هذه الأملاك المثبتة في الجدول.

وربما كانت هذه العقارات قد قومت آنذاك بتلك الأثمان المرتفعة نظرا لأزمة السكنى التي عرفتها طنجة وبعض المدن الأخرى كالدار البيضاء والجديدة ، بسبب التزايد الديموغرافي الذي أشار إليه مييج 81 والذي كان له وقع أكبر في طنجة . ولم تعرف الرباط وبعض المدن الأخرى تزايدا مماثلا ، وذلك بسبب هجرة عدد كبير من اليهود منها إلى الدار البيضاء وإلى الخارج .

ويظهر أن السيد برگاش وورثته استفادوا من ارتفاع أثمان الحوانيت والعقارات سواء في طنجة أو في الدار البيضاء ، فمييج يشير إلى أنه لم يعد بالدار البيضاء ولو حانوت فارغة واحدة ولا بقعة فارغة بسبب البنايات الجديدة سنة 1887 ، وقد بلغت هذه الحالة حدا جعل محاصيل الحبوب تتكدس قرب المتاجر ، وكانت أكوامها ترتفع إلى علو المباني ، وتراكم حوالي 000 120 كيس في الأزقة 82 .

وتفيدنا تركة السيد برگاش بأنه امتلك زيادة على ما ذكرناه من عقارات أثاثا غنيا ومتنوعا ، بعضه موروث عن أبيه المجاهد عبد الرحمان ، وتضمن مستوردات أوربية غالية الثمن من أكسية وفرش ونماذج التأثيث ، وحلي النساء ، وقد قومت تركته بأكملها ب 1.175956 مثقال وبعض الأواقي وكان المثقال آنذاك يساوي 1/13 من الريال في

---

80 - العروي : الأصول الإجتماعية والثقافية للقومية المغربية ص 107

81 - Miège (J.L.) Le Maroc et l'Europe , Paris 6, 1962, T4 p. 397 à 399

82 - المرجع نفسه ص 400 .

الرباط ، وقد كونت الأملاك وحدها 893771 مثقالا وبعض الأواقي .

إن هذه الثروة تبين أن عائلته كانت من الأسر المنتمية إلى الفئة التي وصفها مييج وغيره «بالطبقة البرجوازية» . فقد اغتنت من التجارة ومن المضاربات العقارية ، كما امتلك أعضاء منها مثل الابن محمد أراضي حراثية بالغرب زيادة على الامتيازات التي نالها من العمل المخزني .

وإن الأعيان الرباطيين الذين عملوا خارج مدينتهم كالنائب برگاش كانت لهم حياة مزدوجة ، حياة في المدينة التي مارسوا فيها وظيفتهم ، وحياة في مسقط رأسهم حيث كانوا يأتون بين الفينة والأخرى ، ودلت الوثائق علي أنهم كونوا أسرة أخرى في مكان عملهم ، زيادة على الأسرة الرباطية .

الفصل الرابع عشر
أعيان الرباط تجاه التسرب الأوربي

لكي نعرف مواقف أعيان الرباط من التسرب الأوربي ، لابد من إلقاء نظرة على مكانة المدينة لدى الأوربيين خلال النصف الثاني من القرن بعدما رأينا في فصل سابق أنهم كانوا يولونها أهمية خاصة باعتبارها حلقة وصل بين الشمال والجنوب ، ومن شأن معرفة عدد السكان الأوربيين بها ومصير الحركة التجارية بمينائها ، وتطور التمثيل القنصلي الأوربي بها أن يسلط الأضواء على مكانتها عندهم ، ومن المعلوم أن التمثيل القنصلي الأوربي وبخاصة الفرنسي قد يسهل استقرار الأجانب فيها ، واكب ذلك عمل قنصلي منظم لدراسة سكانها وجغرافيتها واقتصادها حتى يتمهد السبيل لتعميرها بمستوطنة متزايدة العدد ، قصد السيطرة عليها ضمن مخطط يستهدف الاحتلال الشامل للبلاد بعد سلوك الطريقة نفسها في الموانئ الأخرى .

1 – السكان الأجانب في المدينة من منتصف القرن إلى الحماية :

رأينا أن السكان الأوربيين كانوا قليلين في النصف الأول من القرن . وحتى السنوات الأولى لحكم السلطان محمد بن عبد الرحمان كانت الرباط أقل الموانئ احتضانا للأوربيين ، إذ لم يكن يوجد من النصارى سوى عائلات القناصل وبعض التجار ، لهم وكالات تجارية بالميناء . ونظرا لتدهور تجارة ميناء الرباط بعد تعويض السفن الشراعية بالسفن البخارية التي بدأت ترسو بميناء الدار البيضاء بعد سنة 1860 ، فقد قل عدد التجار الأوربيين بالمدينة فبدأوا يفضلون مدينة الدار البيضاء ، وحتى المسافرون الأوربيون لم يعودوا يمرون كثيرا من الرباط . فلم يمر لا دوفوكو ، ولا ذي سوكنزاك بها [1] .

وشيئا فشيئا بدأ السكان الأوربيون يتزايدون وعندما حلت سنة 1876 بلغوا 41 أي ازدادوا بنحو 29 شخصا في السنوات الثمان السابقة لهذه السنة ، وهذا رقم كبير إذا أدخلنا في الإعتبار إيقاع تزايدهم ووباء الكوليرا القاتل الذي أصاب المدينة في هذه الفترة ، وكان هؤلاء الأوربيون يتكونون من إسبان وفرنسيين وبرتغاليين وبعض الإنجليز

1 – J.Caillé, la ville de Rabat ... Op. cit. p. 361.

الآتين من جبل طارق ، مع أغلبية للإسبان (حوالي نصف المستوطنة الأوربية) 48.8 ٪ ب 20 إسبانيا ، و 9 برتغاليين أي 22 ٪ ، و 8 من الفرنسيين أي 19.5 ٪ ، و 4 من إنجليز جبل طارق أي 9,7 ٪ [2] .

وكان أغلبية هؤلاء الأجانب تجارا ومستخدمين في التجارة والصناعة والبعض منهم أتوا منفردين . وآخرون مع عائلاتهم . وكان عدد النساء 18 مقابل 23 رجلا [3] .

كانت زنقة القناصل وماجاورها من الأزقة كثيرة الرواج بهؤلاء الأوربيين . وقد ارتسم حي أوربي حقيقي بعد سنة 1876 هو حي البحرية .

وهذه الساكنة الأوربية لم تكن قارة بل خاضعة للتقلبات الاقتصادية والإجراءات السياسية والأوبئة . فكان تزايدها الديموغرافي بعد سنة 1876 بطيئا [4] وبقي كذلك حتى سنة 1911 ، فلم تعد الرباط تستقبل سوى شخص أوربي واحد في السنة . وفي بعض السنوات كانت الساكنة الأوربية تبقى راكدة أو تنخفض . فقد نزل عدد السكان الأوربيين إثر أزمة 1877 ولم يستعيدوا رقمهم السابق إلا في سنة 1884 .

وكانت علاقة السكان المسلمين بالمسيحيين مزدوجة ومتناقضة ، فمن وجهة نظر الأوربيين ندد القناصل بسكان الرباط وسلا ، ووصفوهم بأنهم أكثر سكان البلاد عداوة للنصارى ، وقد استقبل أحدهم استقبالا سيئا من طرف السكان الذين واجهوه بالسب والرجم بالحجارة هو وأسرته . [5] بينما وصف آخرون مظاهر الحفاوة التي قوبلوا بها من طرف قائد المدينة وقائد الأوداية . فقد تحدث بومي عن علاقة الصداقة التي ربطت بينه وبين أعيان الرباط من الشرفاء ورجال

---

2 – Gros (S) : la population Européenne catholique de Rabat. in B.E.S.M. N° 94 et 95 . p. 211.

3 – المرجع والصفحة نفسهما .

4 – قدم لينز Lenz أرقاما مبالغا فيها ، فقال بأن الساكنة الأوربية بالرباط كانت تبلغ 100 نسمة سنة 1880 وازدادت بالنصف سنة 1900 ، أما الأرقام التي أعطاها نورمان Normand فتبدو أقرب إلى الحقيقة من سابقتها : 60 في سنة 1900 ، و 107 في سنة 1907 و 1283 في سنة 1912 .

5 – J. Caillé. Op. cit. p. 366

السلطة ، كما أشار الدكتور ف. ليناريس F. Linarès إقبال الرباطيين على خدماته الطبية وزيارته لهم في منازلهم عندما كان يشغل منصبه بوصفه طبيبا مصاحبا للبعثة العسكرية الفرنسية بالرباط .

ولكن هناك عدة مناسبات اشتكى فيها الأجانب من سلوك سلطات المدينة ، ومن الأمثلة على ذلك ما وقع مع القائد عبد السلام السويسي سنة 1883 الذي أدى سلوكه مع أحد الرعايا الإيطاليين الى اضطرار القائد المسن الى تكبد عناء السفر الى طنجة ، وقد فاق سنه الثمانين لتقديم اعتذاراته الى ممثل إيطاليا بطنجة بعد أن أرسلت إيطاليا سفينة حربية للإنذار ، ردا على سلوك القائد تجاه المستوطن الإيطالي 6 .

كما تكررت شكاوي الأجانب من سلوك سكان المدينة تجاه المقبرة المسيحية الموجودة بحي العلو التي كانوا يرمون فيها الأزبال والأقذار على حد تعبير أحد القناصل 7 .

أما أكثر احتجاجات الأوربيين فكانت تتعلق بخدمات الميناء ، فكثير ما اشتكى القناصل من عجرفة رئيس مرسى الرباط وخليفته ، ومن سوء إدارة الميناء ، ومن عدم تقديم الخدمات اللائقة للسفن الأجنبية ، مما كان يؤدي إلى تعطيلها ، وإلى إضاعة عدة أيام في ميناء أبي رقراق على حد تعبيرهم .

ولكن هذه التصرفات لم تكن إلا وليدة الإحساس العام لدى السكان سواء كانوا في الرباط أوفي غيرها ، وهو إحساس بتدخل أجسام غريبة في وطنهم وشعورهم بخطر التسرب الأوربي ، فعمل كل واحد بطريقته على عرقلة الوجود الأوربي والحد من تطوره .

وازدادت المستوطنة الأوربية نموا كلما مر القرن التاسع عشر ، ففي سنة 1891 أتت إلى الرباط البعثة الكاثوليكية في شهر يوليوز .

وأنشأ الآباء الفرانسسكانيون أول مدرسة بالرباط دخلها الكاثوليكيون والبروتستانيون واليهود ، وحتى بعض المسلمين ، وفي نفس السنة أصبحت الكنيسة الإسبانية مجهزة بناقوس ينادي النصارى

---

6 – المرجع السابق ، الصفحة نفسها ومصطفى بوشعراء : التعريف ببني سعيد.ج 1. ص 21 و 22

7 – J. Caillé Op. cit. p. 346 .

إلى الصلاة بعد أن كانت المراسيم الدينية تجري في كتمان مما أثار حفيظة قاضي الرباط وبعض السكان 8 .

وأقامت إنجلترا بعثة بروتسانية بمبادرة الكنيسة البريز بستيرية England Presbyterian Church House وأشرف الدكتور القس روبيرت كير R. Kerr على هذه البعثة ، وسرعان ما انفصل عن البريزبستيرية واستمر في عمله تحت اسم سنطرول مروكو ميشن Central Morocco Mission لمدة 25 سنة بالرباط 9 .

ونظرا لهذه البعثات نما عدد الأوربيين فأصبحوا 67 شخصا في سنة 1895 والشيء الجديد هو استقرار الألمان بالمدينة 10.

الإسبان	41
البرتغاليون	12
الفرنسيون	9
إنجليز جبل طارق	2
الألمان	3

وكان بعض الأطباء يعملون في إطار البعثات الدينية ، وفي بداية عهد المولى عبد العزيز اشتكى القائد محمد السويسي ، من تصرفات الدكتور كير المذكور إلى المخزن ، فأرسل إليه كاتب السلطان قائلا :

«القائد محمد السويسي ،

«وبعد وصل كتابك بأن طبيب نجليز هنالك بقصد علاج المرضى من أهل المدينة والبادية حتى شاع خبره ، وصار الناس من البادية يأتون رجالا ونساء ، واتخذ لهم محلا يقيمون فيه الستة أيام فأكثر بقصد الدواء ، ومن لم يظهر عليه أثر البرا يسمه لحينه فيموت حتى قتل نحو أربعة أنفس من البادية .

«وأنهينا ذلك لعلم سيدنا الشريف فقال أعزه الله : أما إقبال الناس عليه بقصد التداوي فلا وجه لمنعه ، وأما إنزال الناس حول داره

---

8 – أيضا . ص 361 .

9 – كذلك . ص 364 و 365 وأيضا مصطفى بوشعراء : **الإستيطان** ج 4 ص 1400 و 1408 و 1409.

Gros(S) Op. cit p. 215 - 10

سيما أهل البادية يمنع .

«ويامرك سيدنا أعزه الله أن تكاتب قنصل جنسه ، وتحذره مسترعيا عليه أن وقعت له آفات تعرفه بأن المداواة لا بأس بها ، واجتماع أهل البادية فلا ، لأن حالهم لا يخفى ... » 11 .

وتبين هذه الرسالة من جهة أولى دور أطباء البعثات الأوربية ، ومن جهة ثانية نموذجا من علاقات السكان بالأجانب ، والمصاعب التي كان يتسبب فيها تزايد النفوذ الأوربي والتي كان على أصحاب السلطة مواجهتها .

وفي سنة 1910 تضاعف عدد الأوربيين في المدينة ، ولا سيما عدد السكان الفرنسيين ، فبعد أن كان مساويا لعدد الإسبان سنة 1905 انتقل إلى 87 شخصا في 20 يونيو 1910 ثم إلى 108 أشخاص في يونيو 1911 .

أما أصول هؤلاء الأوربيين فهي مختلفة ، فالإسبانيون مثلا أتوا من قادس ومالقا مدفوعين بالاضطرابا ت التي عرفها العهد الجمهوري سواء سنة 1833 أو 1873 أو 1911 12 .

أما الفرنسيون المهاجرون إلى الرباط قبل سنة 1910 فكانوا في الغالب تجارا أتوا من أقاليم الرون واللوديف Lodève أو مارسيليا . كما قدموا بعد ذلك من باريس وكورسيكا والجزائر 13 .

2 – دخول أعيان الرباط في الحمايات القنصلية :

لم يكن عدد الرباطيين المحميين كثيرا في النصف الأول من القرن، وهذه حالة المغاربة عموما. وبعد معاهدة 1856 بين المغرب والمملكة المتحدة ارتفع عدد المحميين وانتشرت الحماية في البلاد مدنا وبوادي، وحاول السلطان محمد بن عبد الرحمان حصرها في معاهدة لاحقة ، وقد جرت مفاوضات بين الطرف المغربي ممثلا في النائب برگاش والوزير إدريس العمراوي ، وبين الوزير الفرنسي ليون بيكلار Léon Béclard ابتداء من منتصف يونيو 1863 ، واستمرت شهرين

---

11 – كناش 776 ، غير مرقم : خ.م. ، رسالة 23 محرم 1314.

12 – Gros (S) .Op. cit. p. 214

13 – Gros (S) . Op. cit. p. 215

لتنتهي برفض بيكلار الإلغاء النهائي للحماية وبعقد ترضية 19 غشت 1863 [14].

وفي النصف الأول من القرن لم يوجد بالرباط من الأعيان المحميين سوى القليل . وإذا كنا قد تطرقنا بنوع من الإسهاب للعلاقات التي ربطت مصطفى الدكالي الرباطي بالمخزن ، فإننا لم نذكر لحد الآن أنه من أوائل الأعيان الذين دخلوا في الحمايات القنصلية ، لقد كان هذا التاجر من الأشخاص الذين حصلوا على عدة امتيازات ، وسافر إلى إسبانيا وفرنسا وإنجلترا واستقر لمدة غير قصيرة في مرسيليا وباريس ولندن ، وعقد الصلات مع الأوربيين ، وكان يتكلم اللغة الإنجليزية والإسبانية بسهولة [15] . وللمحافظة على مصالحة وتحقيق امتيازات أخرى فإنه حرص على الحصول على حماية أجنبية ، ونظرا لدخوله في دسائس سياسية للوصول إلى هذا الهدف [16] ، فإنه تعرض للمحاكمة مرتين في طنجة ، وأخيرا عرض خدماته على جون دروموندهاي ممثل إنجلترا في طنجة . وبعد ذلك أصبح محميا إيطاليا، ويمكن تصور مدى خطورة حصول مثل هذا الشخص على حماية دولة أجنبية وهو صاحب الحظوة في الأوساط المخزنية ، فقد كان السلطان يقدره كما رأينا ، وكان يوظفه في عدة مهام كوسيط تجاري أو مبعوث رسمي ، وكان له اشتراك مع أعضاء المخزن وخاصة الوزير المختار الجامعي في استغلال بعض الاحتكارات [17] ، وأصبح بعض أفراد عائلته داخلين في الحمايات القنصلية بدورهم ، فأصبح ابنه محمد متجنسا بالجنسية الإيطالية ، ويشير مييج إلى اشتراكه في إحدى الدسائس الغامضة ضد المخزن [18] . وكان أحمد الدكالي وهو عم محمد هذا وشريكه قد احتل مكانة كبيرة في تجارة المغرب وسياسته ، وقد أضحى محميا أمريكيا ، وكان آل الدكالي يرفضون أداء الضرائب

J.L. Miège, Le Maroc et l'Europe, T2 p. 407. – 14

15 – المرجع نفسه. ص 278 .

16 – لم أحصل على مصادر تبين نوع هذه الدسائس مع الأسف .

. J.L. Miège. Op. cit. p. 407 – 17

18 – أيضا .

وتسديد الديون التي عليهم ، ويربحون دائما في الخصومات التي جرت بينهم وبين المغاربة ، وكان ممثل إسبانيا بطنجة ميري إي كلوم Merry y Colom بعد حصوله على حجج تدين الدكالي بسبب دسائسه قد طالب المخزن بإلقاء القبض عليه سنة 1869 . وأعطى السلطان محمد بن عبد الرحمان أمره بنقله إلى فاس ، وفي الطريق اعترض المكلف بالأعمال الإيطالي سكوفاسو SCOVASSO سبيل القافلة التي كانت ذاهبة بالأسير وأفتكه بالتهديد ، فغادر محمد الدكالي طنجة نحو فلرونسا بصبحة يهودي وهو جوزيف دي مارتينو Joseph di Martino الذي كان يشغل منصب القنصل العام لإيطاليا في الإسكندرية وأخو جاكومو Giacomo دي مارتينو القنصل العام للصقليتين في طنجة سابقا ومستشار البرلمان الإيطالي آنذاك .

وبسبب خدمات محمد الدكالي ، فقد أحرز الجنسية الإيطالية ، مما جعله في حمى من المتابعات ومن إرجاع الديون إلى المخزن ، هذه الديون التي فاقت 300.000 فرنك ذهبي وقد أراد سكوفاسو SCOVASSO أن يربح أكبر ربح من هذه الحادثة ، وأخذ ينادي بمشروع إيطالي في جنوب المغرب ، وبحملة عسكرية مرتقبة ، مما أدى إلى قطع العلاقات المغربية الإيطالية ، لكنها لم تلبث أن عادت بعد تسوية الخلافات سنة 1870 بسبب تدخلات وزيري بريطانيا في مدريد وطنجة . وهذه الحادثة تبرهن على أن المحمي – مهما بلغت خطاياه – كان يمكنه أن يتحدى السلطة المخزنية بدون عقاب ، فالدكالي عاد إلى طنجة وتابع أعماله هناك [19] .

وفي عهد السلطان مولاي الحسن ازدادت شكاوي المخزن لدى ممثلي الدول في طنجة بشأن الحماية والمحميين ، وعقد النائب محمد بركاش عدة اجتماعات بهذا الشأن ، وبخصوص تعسفات المحميين ، سيما أن المعاهدات السابقة كانت تجعل الأجانب يقيمون العدل داخل التراب المغربي ويحاكمون المواطنين المغاربة في محاكمهم القنصلية إذا كانت القضية تمس أجنبيا ما كما هو معلوم ، ولأجل ذلك بعث

19 – المرجع نفسه ، ص 556 وأيضا : مصطفى بوشعراء : **الإستيطان** ج 2 ص 586 وما بعدها .

الزبدي إلى دول أوربا في سفارة لإلغاء تعسفات الحماية . وقد أكد السلطان في رسالة بعث بها إلى رئيس الجمهورية الفرنسية المارشال ماكماهون Mac Mahon الطلب الذي قدمه جوزيف تيسو J. TISSOT الوزير الفرنسي المفوض بطنجة ، بشأن تخلي فرنسا عن البند 8 من معاهدة 1767 ، الذي كان الممثلون الأجانب يستندون إليه فيما يرتكبونه من تعسف ، لكن مساعي السفير الزبدي باءت بالفشل [20] .

وجرت مفاوضات في طنجة استمرت عدة سنوات بشأن هذه القضية الخطيرة انتهت بعقد مؤتمر مدريد في 19 مايو 1880 ، لكن نتائج هذا المؤتمر جاءت بعكس المتوقع ، فازداد أمر الحماية استفحالا ، وتعززت وضعية الحامين باعتراف المغرب بحق الأجانب في شراء العقار بالبلاد [21] .

ولقد كان أغلبية الأعيان الرباطيين المحميين من التجار ، وقد اشتركت جميع الدول الأوربية الممثلة في المغرب في بسط حماياتها عليهم . ومن بينها إيطاليا على الخصوص ، وقد كثرت الدعاوي بين المحميين الإيطاليين الرباطيين وبعض المتضررين من أذاهم ، فأرسل السلطان مولاي الحسن مرارا إلى القائد عبد السلام السويسي يأمره بحسم الدعاوي التي كانت قائمة بين محميي إيطاليا وبين بعض الرباطيين الآخرين ، ومن نماذج هذه القضايا واحدة وجه السلطان بشأنها للسويسي رسالة في رمضان 19/1301 يوليو 1884 ، فأخبره السويسي قائلا :

«فليكن في علم سيدنا أن تلك الدعاوي كنت تفاصلت فيها مع خديم سيدنا المذكور (محمد برگاش) بطنجة وقد وجهت لحضور سيدنا ما كان بيني وبينه فيها» [22] .

وكان السلطان قد انتدب أيضا بعض أعيان الرباط ، للتفاوض في طنجة مع ممثلي إيطاليا وألمانيا في شأن الحماية ، أمثال التاجر والأمين العربي فرج ، كما أشرنا إلى ذلك سابقا .

---

20 – دورية الوثائق الملكية عدد 4 ص 61 و 62 .

21 – دورية الوثائق الملكية عدد 4 ص 61 و 62 . أنظر الوثيقة رقم 29 . حول تلبس الجيش بالحماية

22 – المحفظة 48 غ.م. ، رسالة 24 رمضان 1301 .



الحاج محمد الزبدي يتوسط أعضاء السفارة التي أرسلها السلطان مولاي الحسن الأول في شهر ماي سنة 1876 إلى فرنسا وإنجلترا وبلجيكا وإيطاليا للتذاكر مع حكوماتها في شأن الحماية القنصلية.
يرى عن يمينه السيد بناصر غنام وعن يساره السيد إدريس الجعيدي.

ومن أهم العائلات الرباطية الغنية التي دخلت في الحمايات القنصلية إضافة إلى أسرة الدكالي ، أسرة الباشا . فقد كان آل الباشا أصهارا لآل الدكالي الذين برز منهم التجار المحميون ، وكانوا أغنياء امتلكوا في الرباط عدة عقارات وفي ضواحيه أراضي حراثية ، واشتركوا مع بعض القرويين في امتلاك رؤوس الماشية ، وأهمهم الحاج الهاشمي الباشا الذي شغل منصب ترجمان بالوكالة القنصلية الألمانية بالرباط سنة 1890 ، والحاج محمد بن الحاج عبد الله الباشا الذي كان كاتبا للنيابة القنصلية الإيطالية بالرباط وقد تردد ذكره من سنة 1880 إلى سنة 1894 في اللوائح السنوية لمحميي القنصلية [23] .

وقد كان لهذا الأخير كثير من الدعاوي مع السلطات ومع السكان ، وقد تداعى مع مصطفى بن مسعود طريدانو الرباطي المتجر بالدار البيضاء ، ولما رفعت النازلة إلى القضاء وحكم على الحاج محمد الباشا باليمين امتنع من الحلف ، فأشهد عليه خصمه ، وأراد الباشا المذكور بناء هري وحوانيت في حي وقاصة والملاح ، واتفق سنة 1893 على ذلك مع المعلم البناء المسمى مبارك السلاوي ليكري له هاته الأملاك لدار تجارة اليهودي موشى إسحاق ناهون الطنجي ، فرفض العامل محمد السويسي منحه رخصة البناء .

وكان للحاج محمد الباشا ولد قتل شخصا خطأ بأن خرجت من مسدسه رصاصة أثناء عملية صيد ، فلاذ القاتل بالفرار ، لكن القضية لما بلغت لعلم السلطان أمر بالقبض عليه ، وطلب من سفير إيطاليا بدفع القاتل لعامل البلد [24] .

ومن المحميين من هذه العائلة الحاج أحمد الباشا أخو السابق ، وكان تاجرا أيضا . دخل في الحماية الإيطالية حيث عمل كسمسار للتاجر أكيلي بيطري المقيم بطنجة [25] .

وقد رفض المخزن في البداية قبول سمسرته ، وذلك لما كان عليه آل الباشا من مداخلات وكثرة الخوض مع النائب القنصلي الفرنسي

---

23 – مصطفى بوشعراء : **الإستيطان والحماية** ، ج 2 ص 779 و 780 .
24 – كذلك .ج 2. ص 780 وانظر الوثيقة 16.
25 – كذلك . ج 2. ص 782 .

أنطوان دوكور ANTOINE DUCORS . وقد ضبط أمين مستفاد سلا الحاج محمد النعيمي سنة 1890 أربعين بندقية بشاطئ الوادي كان الحاج أحمد الباشا يمتلك بعضها . كما أنه أدخل لدار النائب القنصلي المذكور صندوقا من السلاح أتاه مهربا من المرسى [26] .

وفي عهد المولى عبد العزيز ، جاء في بعض الرسائل [27] الواردة على السلطان أن الحاج أحمد الباشا المذكور قدم دعوى ضد القائد العبودي (قائد قبيلة العبابدة) . ولما استفسر عامل الرباط عن القضية وكيف وقعت استكشف أن العبودي ألقى القبض على أحد أقرباء الباشا، فقام هذا الأخير بتسريح قريبه من السجن ، وضرب القائد العبودي بالسكين في يده ، واتهم العبودي القائد السويسي بأنه عمل اليد مع الشاكي ليقاسمه فيما تحصل من الدعوى [28] .

وتقدم أربعة من قواد الأعراب بشكوى بأحمد الباشا «لكونه يشتغل بالخوض في رعيتهم وصار يتسوق أسواقهم بزعم شراء الصوف وغير ذلك ، وما قصده إلا الخوض عليهم » [29] .

واشتكى بالشخص المذكور أيضا المرابط عبد القادر بن البشير المباركي وقد سلفت الإشارة إليه ، وذكر بأن لأحمد الباشا مخالطة مع أعراب الصباح وقال «ظهر عليه الترامي على الناس وأكل أموالهم بالباطل» [30] .

وكان للمرابط المذكور مكانة لدى زعيروظهر أن أحمد الباشا أخذ يزاحمه في النفوذ داخل أراضي القبيلة فشكاه المرابط إلى السلطان وذكر أنه : «يتخالط مع زعير ومع قطاع الطريق منهم ، ويمشي معهم في غابتهم ، وهم لا يعرفون نصارى ولا يهودا ، وربما قتلوه في بعض الأحيان ، مع أن خروجه عندهم ودخلوهم عنده للرباط إنما هو على الوجه الذي لا يرضى شرعا » .

---

26 – المرجع نفسه ، ص 783 .
27 – كناش 242 الواردات على عبد الكريم بن سليمان «غير مرقم» خ.م. ملخص رسالة فاتح شعبان 1317 .
28 – الكناش نفسه ، ملخص رسالة 7 رمضان 1317 .خ.م.
29 – الكناش نفسه ، ملخص رسالة 19 رمضان 1317 . خ.م.
30 – الكناش نفسه ، ملخص رسالة 15 قعدة 1317 .



المحميون والمخالطون

صورة فريدة أخذت في أواخر القرن الماضي لجماعة من محميي فرنسا ومخالطيها بالرباط، مجتمعين بحديقة القنصلية الفرنسية بمناسبة الاحتفال بعيد فرنسا الوطني، وقد جلس معهم (خوجتان) جزائريان مساعدان للقنصل الفرنسي.

وكانت قضية العبودي مع أحمد الباشا قد انتهت بصدور أمر سلطاني بأن يدفع العبودي للباشا قدرا من المال على يد محتسب الرباط، وهذا يدل على ما وصلت إليه حالة المحميين من السطوة .

وقد جمع بعض المحميين أكثر من حماية قنصلية فكان أحمد الباشا المذكور محميا برتغاليا أيضا سنة 1905 ، واشتغل كاتبا بدار القنصلية البرتغالية بالرباط 31 .

ويلاحظ بأن لائحة الأعيان المحميين بالرباط تقتصر على أشخاص يعدون على رؤوس الأصابع ، حسبما جاء في لوائح القنصليات ، ولا يهمنا المحميون من غير الأعيان طبعا وربما كانوا أكثر عددا من الأوائل ، ويمكن حصر هؤلاء الأعيان في اللائحة الآتية :

الإسم	الدولة الحامية	صفته	التاريخ
– عبد القادر لباريس	فرنسا	سمسار	1982
– إسماعيل الأوراوي	فرنسا	سمسار	1982
– عبد القادر الأوراوي	فرنسا	سمسار	1982
– عمر الأوراوي 32	فرنسا	سمسار	1982
– محمد بن الحاج عمر العفير33	أمبراطورية النامسا وهنغاريا	سمسار	؟
– الحاج محمد الأزرق 34	إسبانيا	كاتب القنصلية	يوليوز 1990
– الحاج أحمد الأزرق 35	إسبانيا	كاتب القنصلية	28 شتنبر 1894
– محمد بن محمد القباج 36	إسبانيا	كاتب القنصلية	10 مايو 1899
– الحسين بن محمد الكراري 37	إسبانيا	ترجمان	28 أبريل 1902
– الحاج عمر بن محمد الأبيض 38	إسبانيا	؟	17 دجنبر 1903

ونستخلص من هذه اللائحة تعدد الأشخاص المحميين في نفس الأسرة ، مثل أسرة الأوراوي التي احتمت بفرنسا ، وأسرة الأزرق التي احتمت بإسبانيا .

31 – المحفظة 5 خ. ص. الوثيقة 608 .

32 – وردت الأسماء من البداية إلى الأوراوي في لوائح المحميين بالمحفظة 5 ، خ.ص. الوثيقتان 602 و 608 في المحفظة .

33 – مصطفى بوشعراء **الاستيطان** ج 2 . ص. 799 .

من 34 إلى 38 ، المحفظة 5 . خ.ص. وثيقتا 608 و608.

ولم تكن هذه الشخصيات المحمية ذات أدوار معروفة جدا ، وبدون شك كانت ذات دور أقل من دور المحميين المتقلدين للمناصب المخزنية الذين صاروا خطرا ملموسا على استقلال البلاد .

وبغض النظر عن المذكورين في الجدول هناك عائلات من الأعيان دخلت في حماية دولتين ، فأسرة برگاش كانت من البداية ذات ميول واضحة لإنجلترا [39] . ثم أصبحت ذات علاقة وطيدة بالألمان كما سيأتي في عنوان لاحق .

ومن نماذج تأثر الأعيان بالوجود الأجنبي في البلاد أن المكي بن النائب برگاش عقد صداقة مع النائب القنصلي الفرنسي DUCORS الذي كان يعرف عند الرباطيين باسم نينو والذي مكث بالرباط 34 سنة ، وتوجت هذه الصداقة بزواج المكي من إيميلي إبنة ديكور التي كانت من قبل زوجة لإبراهيم بلگناوي. كانت إيميلي قد تسمت فاطمة . ولما انتصبت الحماية الفرنسية صارت إيميلي ترجمانة ومستشارة لزوجة المارشال ليوطي . وقد أحدثت مدرسة بزنقة مولاي إبراهيم بالرباط . ولما ماتت فاطمة خلفتها ابنتها صفية بنت المكي برگاش وحفيدة دوكور في إدارة المدرسة المذكورة [40] .

كما أن عائلة الزبدي لم تخف ميلها لألمانيا ، فكان أحمد أخو العربي الزبدي المذكور سلفا محميا ألمانيا [41] . وقد ظل تحت الحماية الألمانية إلى سنة 1914 [42] . كما أن أعضاء من عائلة فرج انخرطوا في الحماية الإنجليزية .

3 – آل بركاش والألمان :

ضمن الإصلاحات العسكرية التي رغب السلطان مولاي الحسن في تنفيذها في البلاد بإيعاز من الأجانب أتت إلى الرباط البعثة

---

39 – مصطفى الشابي : **بعض العائلات المخزنية الكبرى حسب ابن زيدان** . د.د.ع. بكلية الآداب بالرباط 1973 (بحث مرقون) ص 99.
40 – مصطفى بوشعراء " : المرجع السابق ص 796 . كما أفادني الأستاذ بوشعراء بمعلومات أخرى أعدها لتنقيح كتابه **الإستيطان والحماية** .
41 – عبد الله الجراري : **شذرات تاريخية** . مطبعة النجاح الدار البيضاء . 1976 . ص 39 .
42 – المرجع والصفحة نفسهما .

العسكرية الفرنسية ابتداء من سنة 1877 وكانت مكونة من أربعة ضباط وطبيب وعدد من ضباط الصف ، ثم جاء سنة 1880 آخرون قاموا بتدريب الجنود ، ومنذ 1881 دربوا ثلاث فرق من الأودايا الرباطيين ، وأصبحت البعثة العسكرية ذات مكانة مرموقة عندما قدم رئيسها القبطان جول إيركمان J. ERCKMAN إلى الرباط سنة 1881 ، وقد حاولت ألمانيا بدورها إدخال بعثة عسكرية إلى الرباط ، واقترحت إنشاء مدرسة للمدفعية بالمدينة سنة 1885 ، وقد قامت عائلة برگاش التي كانت ذات علاقات وطيدة مع الألمانيين في طنجة بمحاولات لإقناع السلطان برغبة الألمان 43 . وكان المولى الحسن يأمل هو أيضا في أن يحصل على سند من ألمانيا ، بعد تأزم الوضع مع فرنسا وغياب دروموند هاي سنة 1884 في سفر الى بلاده . ولكن السلطان لم ينسق لرغبة بسمارك في عقد اتفاقية تجارية ، لأن ذلك كان يزيد من نجاح التدخل الأوربي ، خاصة وأن هناك عدة مشاريع عارضها المخزن والرأي العام المغربي 44 .

وكان ميل آل برگاش إلى ألمانيا واضحا ، وقد شعرت الأوساط الفرنسية بمساعيهم واعتبرت محمد برگاش الإبن عدوا لها ، فقد أرسل فيرو FERAUD . ممثل فرنسا بطنجة إلى وزير الخارجية الفرنسي يقول له : إن محمد برگاش الإبن يكن عداء لفرنسا ، وأنه سمعه أثناء حديث له مع الحاج عبد السلام الوزاني المحمي الفرنسي ، ينكر على هذا الأخير دخوله في الحماية الفرنسية عندما كانوا بالقصر السلطاني 45 .

وفي سنة 1884 أرسل محمد برگاش من طرف السلطان إلى ألمانيا وبلجيكا وفرنسا ، قصد شراء بعض الأسلحة ، وقد اتفق برگاش مع الألماني كروب KRUPP وهو ابن التاجر المشهور على الإتيان الى المغرب ، والإلتقاء بالسلطان 46 . وفي سنة 1886 سافر النائب برگاش مع ابنه إلى ألمانيا حسب گيلان واستقبل من طرف بسمارك للتباحث في العلاقات بين البلدين وفي نفس الوقت قدم برگاش الإبن طلبات مهمة

---

43 – J. Caillé : La Ville de Rabat ... p 363 et 364.

44 – Pierre Guillen : L'Allemagne et le Maroc. Paris 1967 p 197.

45 – ar. A.E.F. .: corres. pol. lettre de 3 Août 1886.

46 – كناش 121 ص 174 ملخص رسالة 23 شوال 1301 . خ.م. الوثيقة 11 السابقة .

لكروب واستقدم ضباطا مدربين للجيش ، وأشاعت الصحف الفرنسية المجيئ المرتقب لبعثة عسكرية ألمانية إلى المغرب لتعويض البعثة العسكرية الفرنسية 47 . وعلى الرغم من الموت المفاجئ لمحمد برگاش الإبن وأبيه من بعده بقليل إثر مرضه ، فإن مساعيهما الماضية أدت الى جلب الألمان إلى الرباط ، وقد اقترح المدربون الألمان القيام بمنجزات هامة بالقرب من منفذ أبي رقراق فارتأوا إقامة تحصينات دفاعية على البحر ، ولأجل ذلك أتى المهندسون الألمان بتصاميم عديدة ، وقبل المولى الحسن بناء مدفعية عصرية على الساحل على بعد 800 متر من الجنوب الغربي لقصبة الأودايا، وكلف المهندس فالطير روطنبورغ W. ROTTENBURG ضابط المدفعية الألماني بالأشغال التي ابتدأت في يونيو 1888 ، لكنها سارت ببطء شديد . وقد أتاح بناء حصن الرباط الألماني مصارعة نفوذ البعثة العسكرية الفرنسية وأصبح لروطنبورغ ابتداء من سنة 1896 مساعد مستخدم من دار كروب ماير CRUPP MAYER وهو ضابط صف بالمدفعية . وقد قال نائب القنصل الفرنسي بالرباط إن هذا الأخير أخذ يدرب الفرق المغربية على استخدام المدافع خمس مرات في الأسبوع ، وأشاد بجدية الضابط ونجاحه في هذا التدريب ، ولكنه تخوف من الهدف الحقيقي لوجود الألمان بالرباط . وكان آل برگاش والمحتسب عبد الخالق فرج يدعمون الوجود الألماني بالرباط 48 .

وتكلف المحتسب بالنفقات لإنجاز التحصينات ، وكان مكوث الصديق برگاش في طنجة عاملا عليها ابتداء من سنة 1900 قد جعله يوطد العلاقة مع الوزير الألماني ف. ميتسينگن F. MENTZENGEN 49. وربما كانت الرباط المدينة التي عرفت أكبر تأثير لألمانيا فزيادة على بناء حصن روطنبورغ أنشئت قباضة بريدية ألمانية في دجنبر 1899 ، وأصبح في الرباط عدد من المناصرين لألمانيا التي لم تدخر وسعا لتغليب نفوذها ، ففي سنة 1903 وجهت رباطيا إلى مدرسة اللغات الشرقية ببرلين ليعلم بها الألمانيين اللغة العربية الدارجة هو الميلودي

47 - Pierre Guillen : L'Allemagne et le Maroc .p. 197.
48 - J. Caillé. Op. Cit. p. 364.
49 - P. Guillen Op. Cit. p. 623.

بن محمد الزيادي الطالبي الرباطي الذي كان من قبل أحد أعضاء البعثة الموجهة سنة 1886 إلى ألمانيا [50] .

4 – موقف القاضي محمد البريبري من الوجود الأوربي بالرباط

أشرنا سلفا الى القاضي البريبري الذي تولى قضاء الرباط سنة 1888/1305 وظل يمارس وظيفته مدة 10 سنوات وقد عرف بعدم التساهل في أمور الشريعة ، وقد وقعت في سنة 1899 حادثة تبين موقفه من النفوذ الأوربي المتزايد في البلاد بصفة عامة وفي الرباط بصفة خاصة .

وملخص هذه الحادثة أن جنديا جزائريا برتبة ملازم أول إسمه ميسوم كان يعمل ضمن أعضاء البعثة العسكرية الفرنسية بالرباط ، فوقع خلاف بينه وبين عبد السلام الذي كان خادما له وادعى أنه لم يقبض منه أجرته عن شهرين ، وقدم عبد السلام شكوى به إلى قبطان البعثة السيد بوگورBOUGOURD ، وقد التقى ميسوم بخادمه هذا وهو مار في الطريق ، فاستوقفه الخادم وصرخ في وجهه أمام الملأ مطالبا بحقه ، فأجابه ميسوم بأن لا حق له عنده ، فاستمر عبد السلام في الصراخ وأراد إرغامه إلى الذهاب الى القاضي لتسوية الأمر وقد روى ميسوم في تصريحه الذي قدمه إلى البعثة [51] أنه فقد صبره ، وسب خادمه بأن لعن أباه ، وادعى أن الناس الذين قالوا إنهم سمعوه يسب الشرع إنما افتروا عليه الكذب لأنه سب أبا خادمه وليس «أبا الشرع».

ولما علم القاضي محمد البريبري بالخبر أمر أعوانه بإلقاء القبض على الضابط الجزائري ميسوم الذي تنكر لديانته الإسلامية حينما سب الشرع . وقد أثار القبض عليه حفيظة الأوساط الفرنسية الموجودة في الرباط سواء المتمثلة في البعثة العسكرية الفرنسية أو في الوكالة القنصلية بالمدينة ، فتبودلت شتى الرسائل بين القبطان بوگور الرئيس المسؤول عن تدريب المشاة بالرباط . وبين ممثل المفوضية الفرنسية بطنجة ، وبين هذا ووزير الخارجية الفرنسي . ونشرت الصحف نبأ هذه الحادثة ، وكذلك الدورية الشهرية للجنة إفريقيا

50 – كايي . المرجع السابق ص 562 . وكذلك مصطفى بوشعراء : **الإستيطان** ج 4 ص 1346 و 1351.

51 – بيان مؤرخ ب 28 يبراير 1899 . أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية . المراسلات السياسية والتجارية . السلسلة الجديدة N.S. 21

الفرنسية بتاريخ أبريل 1899 [52] .

وطالبت هذه الأوساط بمعاقبة القاضي ، ويمكن تلخيص موقفها فيما يلي :

– ادعت أن البريبري قاضي متعصب وحقود على الأوربيين والمحميين ، وأنه عامل الضابط الفرنسي وكأنه مواطن عادي مثل سائر المواطنين المغاربة ، بدعوى أنه مسلم يجب تطبيق الشرع عليه كجميع المسلمين المغاربة .

– أنه تجاهل في هذه القضية المعاهدات المغربية الأوربية في مادة التقاضي المتعلق بأحد أطراف النزاع تحت حماية دولة أجنبية أوله جنسية أجنبية .

– أن هذه الحادثة كانت لها أبعاد أخرى ، فأخذ بعض الجزائريين في البعثة العسكرية بمراكش يهربون من الجيش بدعوى أنهم مسلمون ، معتقدين أنهم منسلخون عن العدالة الفرنسية ، وأنهم احتموا بشخصيات مخزنية ، وأن المخزن كان يحاول جهده ترسيخ فكرة كون الديانة فوق الجنسية .

– إن التساهل إزاء مثل هذا التصرف هو أول خطوة في طريق التخلي عن حماية « أعضائنا المغاربة » .

– أن أجهزة الصحافة في طنجة سواء الإنجليزية أو الإسبانية أو الفرنسية احتجت على هذا السلوك وطالبت بعقاب القاضي . وقد قلق المسؤول في البعثة العسكرية الفرنسية بالرباط من التأخير في تنفيذ العقاب ، لأن سكان الرباط كما قال ، اعتقدوا أن الاحتجاجات على القاضي والمطالبات بعقابه ، لم تؤت أكلها ، لأنه استمر يتمتع بسلطته وحصانته ، وأن المسؤولين الفرنسيين أظهروا ضعفا إزاءه مما ساهم في زيادة تعصبه .

– وطالب المسؤول في البعثة العسكرية المذكور أن تكون الترضيات الممنوحة للأوربيين الذين تعرضوا لعنف أو ظلم من طرف

---

52 – ar. Vinc : Carton 3 h 11. -

السكان أو سلطات البلاد ذات صبغة عمومية بحيث يعاقب الجناة أمام الملإ ، وقد استشهد في ذلك بموقف ألمانيا التي لم تقتصر على المطالبة بالتعويض النقدي في قضية مصرع التاجر الألماني ادوارد هيسنير E. HAESSNER بطنجة ، لكن بعقاب الجاني أمام الناس . وأضاف المسؤول أن المسلمين يجب أن يفهموا أن المعاهدات لا تعترف للسلطات المغربية بحق إجراء العدالة بنفسها في المدن التي كانت مقر القناصل ، وأن القاضي قد ارتكب جريمة ضد القانون الدولي ، بتدبيره مكيدة على ضابط فرنسي ، عندما ألقى عليه القبض ، ورماه في السجن ، وعندما أهمل بصفة جائزة الإنذار الذي وجهه إليه الفرنسيون بالرباط ، لذلك وجبت الصرامة في معاقبته ، وزاد المسؤول قائلا « إن كل المستوطنين الأوربيين سيصفقون إذا أظهرنا أننا أقوياء » و « أن عامل المدينة نفسه محمد السويسي لم يخف شعوره ضد القاضي» 53 .

وقد بعث هذا المسؤول العسكري برسالة إلى الحاجب أحمد بن موسى طلب فيه أن يأتي القاضي لتقديم إعتداراته أمام الملإ ، واقترح على الوزير الفرنسي توجيه بارجة حربية إلى ساحل الرباط للإنذار 54 .

وقد أرسل المسؤول العسكري 55 إلى الدوائر الفرنسية خطابا نعلم منه أن محمد البريبري أقيل من منصبه فعلا ، وادعى المسؤول أن الناس أصبحوا ينظرون إلى فرنسيي الرباط بعين المهابة ، وأن هذا الحادث وجه ضربة للألمانيين الذين ظنوا بفعل تباطؤ القضية « أننا سنتجرع الدواء بدون مقابل » وأن « النتيجة ممتازة ، بل تعدت ما كنا نأمله » واقترح أن يعود الضابط الجزائري إلى الرباط بعد أن كان قد غادرها ، فالسكان اعتقدوا أن العقاب إقتسم بين الضابط والقاضي .

ومن رسالة من وزير الخارجية الفرنسي دلكاسي Delcassé إلى قائد البعثة العسكرية الفرنسية بالمغرب نفهم أن محادثات جرت بين الرجلين في شأن ما إذا كان من المناسب مطالبة المخزن بتنازل آخر في قضية ميسوم ، لكن الوزير أجاب بأن إقالة القاضي كافية في حد ذاتها

53 – Annexe de la dépêche politique du 13 février 1899. Lettre de Bougourd au chef de la légation Française 10 fév. 1899

54 – كذلك .

55 – ar. Vinc : Carton 3 h 11 : Lettre de 13 Sept 1899 -

ولا حاجة للمطالبة بشئ آخر [56] .

. ولم تقف القضية عند هذا الحد فقد أرسل بورشلار Burchlard رئيس البعثة العسكرية الفرنسية بمراكش إلى وزير الحرب الفرنسي يخبره بأن المهندس الألماني روطنبرغ أشاع في الرباط أن ألمانيا « ستعمل على إعادة القاضي المعزول وأنه سيجتهد شخصيا للوصول الى هذه الغاية » [57] أما عن موقف القاضي من كل هذه التطورات فنعلم أن الوزير أبا احماد عندما اضطر إلى إقالته نفذ له 100 فرنك من الديوانة وكمية من الملابس له ولأفراد أسرته ، وأجرة شهرية بمقدار 100 فرنك . ولم يذكر التقرير هل قبل القاضي هذه التنفيذة أم رفضها .

وقد خلفت إقالة القاضي تذمرا كبيرا لدى سكان الرباط ، نظرا للمكانة التي كان يحظى بها، وتذكر الوثائق الفرنسية أن السكان لم يرضوا بخلفه الذي اتهموه بالظلم والغش ، مريدين بذلك إرجاع صاحبهم إلى منصبه [58] .

وبعد مدة قليلة أقال المخزن القاضي الذي عوض البربري ونصب مكانه قاضيا جديدا كان من قبل خليفة البريبري نفسه الذي رفض الرجوع إلى منصبه إثر طلب المخزن له بذلك ، ويذكر تقرير آخر [59] أن سكان الرباط لم يتوانوا عن تأويل هذا التعيين الجديد بأنه تحد من الوزير باحماد للفرنسيين ، وأنه لا يخاف من تهديدات فرنسا . ولا يخفى ما تنطوي عليه هذه التقارير من مبالغات تخدم المرامي الإستعمارية .

تظهر هذه الحادثة موقف قسم من أعيان الرباط الرافضين للوجود الأوربي وللحماية القنصلية ، فالقاضي البريبري عبر عن رأي العلماء في مدينة الرباط ، فهو كعالم متشدد رفض أيضا في عدة مناسبات إمضاء عقود الاشتراك الفلاحي (المخالطة) وعارض مصادرة أملاك المدينين ، وناهض احتجاز الأملاك العائلية والفردية

---

56 – ar. vinc. Carton 3 h 11 : Lettre de 13 Sept. 1899

57 – المرجع نفسه تقرير بورشلار BURCHLARD .

58 – المرجع نفسه تقرير 31 دجنبر 1899.

59 – المرجع نفسه تقرير بورشلار ، مؤرخ ب 28 يناير 1900 .

ومصادرتها قصد تفويتها للمحميين ، بل استند إلى الشرع : لذلك نظر إليه ممثلو القنصليات الأجنبية في الرباط نظرة الغضب ، لأن مواقفه عبرت عن عدم اعترافه بحقوق المجنسين أو المحميين المتفق عليها في المعاهدات التي عقدها الأوربيون مع المخزن ، ويعبر موقف القاضي إضافة إلى رفض الوجود الأوربي والقوانين المملاة من طرف الأجانب عن حمل المخزن على تطبيق الشرع .

وقد أشارت الوثائق إلى قوة شخصية هذا القاضي واستقامته ، فذكرت أن السلطان مولاي الحسن كان قد عرض عليه مائة ريال شهريا من دخل المرسى ، فرفض قائلا : « إن أربعين ريالا يا سيدي تكفيني لكل شهر راجيا سيدنا أيده الله أن يجعل الستين الباقية في بيت مال المسلمين » 60 .

5 – علاقة أعيان الرباط بأحداث ما قبل الحماية : 1900-1912

إذا كان موقف القاضي البريبري معبرا عن موقف العلماء الرباطيين وربما سائر علماء البلاد ، فإن الوثائق أظهرت أن هناك قسما من الأعيان هم التجار الكبار لم يبدوا في كثير من الأحيان موقفا معاديا للتدخل الأوربي ، مادامت الأوضاع في صالح تنمية تجاراتهم وأرباحهم المالية .

وبعد موت الوزير أحمد بن موسى سنة 1900 اشتدت الأزمة المغربية المتمثلة في ضعف السلطان مولاي عبد العزيز لصغره ، وسيطرة مستشاريه الأوربيين عليه، وفراغ بيت المال نتيجة تهوره ، وتزايد شغب القبائل الثائرة عند ظهور بوحمارة سنة 1902 والمنافسات بين الدول الكبرى ، وما تبعها من اتفاقيات ، وعقد مؤتمر الجزيرة الخضراء كل هذه الظروف جعلت السكان يتشاءمون وينظرون إلى السلطان نظرة مريبة ، فهو في رأيهم منحاز للأوربيين ، مبذر للمال ، محل لما حرمه أسلافه والشرع .

---

60 – عبد الله الجراري : **من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين** . الرباط 1969. ج 2 . ص 104 .

وكان بعض أعيان الرباط قد أبدوا سخطهم وخاصة العلماء والمتشبتون بالتقاليد، عندما مكث السلطان بالرباط سنة 1901 إذ لاحظوا أن المهدي المنبهي وزير الحربية خرج من القصر وهو سكران، وأن السلطان مر بفرسه أمام المسجد الكبير دون أن ينزل 61 .

وتتبع أعيان الرباط الأحداث السياسية التي عرفتها البلاد باهتمام، ولما تم الاتفاق الودي بين فرنسا وإنجلترا سنة 1904 فوجئوا بذلك في الوقت الذي كان قسم منهم معجبين بألمانيا ، وقد رأينا مثالا على ذلك لدى عائلتي برگاش والزبدي 62 .

وكان بعض العلماء المتنوين وبعض الأعيان يجتمعون فيما بينهم ويتداولون قراءة الصحف والمجلات الآتية من الشرق ، ويتباحثون في الحالة التي كان يعيشها العالم الإسلامي آنذاك ، وكانت هذه الجماعة النواة الواعية الأولى في الرباط وكانت إلى جانب بعض أعيان سلا وأعيان فاس صاحبة اقتراح إنشاء مجلس الأعيان سنة 1905 . وكان لها دور في اقتراح بعض الإصلاحات فيما يخص الموانئ والشرطة وغيرها ، فجاءت رد فعل للإصلاحات المقترحة في نفس السنة من الفرنسيين عند مجيئ سان روني طايانديي SAINT RENE TAILLANDIER إلى المغرب 63 .

وبعد احتلال الدار البيضاء في غشت 1907 ، ظهر رد فعل لدى الرباطيين الذين عبروا عن سخط كبير جعل أوربيي الرباط يخافون على أنفسهم ، وذلك ما دفع القائد أحمد السويسي إلى إقامة عدد من الحراس أمام دور الأوربيين 64 .

وتخوف أغنياء تجار الرباط من الفوضى التي يمكن أن تتمخض عنها الأحداث ، فأنشأوا بأنفسهم شرطة خاصة بهم 65 ، عندما أحسوا بتطور الحالة السياسية وبشعور التذمر العام لدى السكان ، وهذا الشعور كان يعبر عن إحساس بالغبن والظلم إثر حادثة الدار البيضاء ،

---

61 – كايي . المرجع السابق . ص 554. لا نعلم مدى صحة هذه الإفادة .

62 – المرجع نفسه ص 555 .

63 – رواية شفوية أدلى بها السيد بلگناوي في 23 نونبر 1985 .

64 – Mission Scientifique du Maroc : Rabat et sa région. in villes et tribus du Maroc. Vol. I. p. 111

انظر أيضا وثيقة رقم 24 في الملحق حول مفعول حادثة الدار البيضاء في الرباط من وجهة نظر أحد الأعيان .

65 – Villes et Tribus du Maroc op. cit. p. 111

مما جعل المحميين أنفسهم يعلنون غن غضبهم ورغبتهم في الانتقام ، وأرادوا تسليط جام غضبهم على أوربيي الرباط 66 .

واجتمع الأعيان بالرباط وسلا وأرسلوا إلى السلطان يستحلفونه أن يلغي التنظيم الجديد الخاص بتجنيد الشرطة الذي أسفر عن عقد الجزيرة الخضراء ويقال 67 بأن القائد أحمد السويسي هو الذي حرض الأعيان على ذلك ، وقد استجاب السلطان جزئيا لرغبة الأعيان وأخر هذا الإجراء لمدة شهرين 68 .

وعندما اندلع الصراع بين الأخوين مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ انقسم أعيان الرباط ثلاثة أقسام :

قسم ظل متشبثا بمولاي عبد العزيز بالرغم عن أخطائه ، ولعله يكون الأغلبية ، وكان يعتبر أن بيعته ما زالت في الأعناق ، وقسم ظل مترددا بين الأخوين ، وقسم أخير ناصر مولاي عبد الحفيظ . وتدل بعض الإشارات على أن ممثلي الفريق الأخير قاموا بدعاية لصالحه ، ولأجل ذلك ألقى مولاي عبد العزيز القبض على بعضهم وهم ستة من أغنياء التجار 69 لا تسعفنا الوثائق في معرفة أسمائهم مع الأسف . وكان المولى عبد العزيز قد عمل على قطع الصلة بين المدن الساحلية بما فيها الرباط التي كان موجودا فيها وبين مراكش حيث كان أخوه ، كما هدد قبائل زعير بتأديبها بحملة يرأسها قائده بوشتا البغدادي ان هي قامت بشغب ما 70 . ولأجل ذلك تواطأ نائب القنصل الفرنسي بالرباط مع الجنرال داماد الذي استولى على قصبة فضالة وبوزنيقة ، ومن جهة أخرى أقيم مركز تلغرافي بالرباط لضمان الاتصالات السريعة مع مركز القيادة الفرنسي بالدار البيضاء 71 .

وعندما نظم المولى عبد العزيز حملته بقيادة بوشتا البغدادي على أخيه المولى عبد الحفيظ نحو مراكش في 12 يوليوز 1908 حمل معه

---

66 – مذكرات شاهد، دورية إفريقيا الفرنسية 1907، ص 372 .

67 – J. Caillé. Op.Cit. p. 555

68 – Bul. Com. Af. Fr. 1908 p.29 .

69 – نفسه ص 252 .

70 – نفسه ص 252 .

71 – J. Caillé. Op. cit. p 556

بعض الرهائن من أعيان الرباط [72] ربما لضمان بقاء الرباطيين في صفه . وتدل الوثائق الفرنسية على أن مولاي عبد الحفيظ وهو بمراكش أرسل إلى عبد الرحمان برگاش الذي كان قائد الصويرة قبل تقلد هذا الأخير الحكم وألح عليه في الدعوة لتقديم مشورته إليه وللاستعانة به على حد قول إرنست فانسان ERNEST VINCENT [73] ، ولكن برگاش لم يرغب في تلبية هذه الدعوة ولعله كان يعبر عن موقف أغلبية أعيان الرباط .

ولكن انهزام مولاي عبد العزيز في غشت 1908 على بعد 50 كلم من مراكش ، وموت بعض الأعيان الرباطيين في هذه الوقعة ومنهم العامل أحمد السويسي [74] ، جعل الأمور تتغير ، إذ بدأ يتقوى في الرباط الفريق المناصر للمولى عبد الحفيظ ، الذي لما انتقل إلى فاس بمساعدة الفرنسيين دون شك أرسل أعيان الرباط إليه يبلغونه طاعتهم قبل تقديمهم لنص البيعة .

وفي 25 غشت 1908 قدموا البيعة له دون قيام هيجان ، بعكس ما حدث في سلا [75] . فتوجه وفد الأعيان إلى فاس في 15 شعبان 1326 يتكون من عبد النبي السويسي وعبد الجليل السويسي ، ومحمد برگاش والتهامي البطاوري نائب القاضي المكي البطاوري ، وعدد من العلماء أمثال أحمد جسوس ومحمد الرندة الذي تقلد منصب القضاء بعد البطاوري ، ومحمد الحساني وهو من العدول ، وصاحب الوفد أحد كبار شرفاء الرباط هو مولاي التهامي الوزاني الذي لقي عناية خاصة من لدن السلطان الجديد [76] .

وفي 2 شعبان 10/1326 غشت 1908 أرسل السلطان إلى قاضي الرباط يبلغه رضاه وارتياحه لإعلان الأعيان والسكان الرباطيين عامة بيعته [77] وحافظ المولى عبد الحفيظ على نفس الأسرة التي احتكرت

---

72 – Ville et Tribus du Maroc T1 Op. Cit. p.113

73 – Bull. Com. AF. Fr, 1908 p 772

74 – محمد دينية ، **مجالس الانبساط** ص 289 .

75 – مدن المغرب وقبائله ص 114 - انظر وثيقة رقم 25 في الملحق .

76 – عبد الله الجراري **شخصيات مغربية** : محمد المكي البطاوري مطبعة النجاح 1987 ص 105-104 .

77 – انظر الوثيقة رقم 28 حول حضور أعيان الرباط عيد الأضحى مع السلطان.

العمالة لمدة طويلة في المدينة فنصب عبد النبي السويسي على الرباط وأحوازها [78] ، لكن مدته لم تطل إذ سرعان ما عوض في يوليوز 1909 بعضو من عائلة برگاش هو الصديق الذي أصبح من جديد في مركز السلطة داخل المدينة لمدة استمرت حتى سنة 1917 .

وقد أورد نهليل رسالة وجهها السلطان إلى الصديق برگاش الذي كان خليفة للعامل السويسي [79] يمكن أن نستشف منها الحظوة التي كانت لأسرة برگاش عند سلاطين الفترة وهي رسالة يخبره فيها بحضور أعيان الرباط للتهنئة .

وأثناء حكم المولى عبد الحفيظ كان أعيان الرباط يتتبعون مجريات الأمور ، فاهتموا خلال الشهور الأولى من سنة 1909 بمراقبة تحركات مولاي الكبير أخي السلطان ، وكذلك تحركات الفرنسيين بالرباط التي زارها الجنرال داماد في فبراير من السنة قبل مغادرته المغرب [80] .

وعند موت الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني بفاس كان بعض الأعيان الرباطيين قد أبدوا ردود فعل شخصية ، وعلى الرغم من أنها ظهرت على شكل غضب وتأثر نفسي فقط ، فإنها تعبر على تقدير علماء الرباط وبعض أعيانه الآخرين للكتاني وتدل أيضا على الروابط التي جمعت بين أعيان المدينتين فاس والرباط التي أسست فيها الزاوية الكتانية بعد مدة قليلة من موت محمد بن عبد الكبير الكتاني ، وفي سنة 1911 استنكر أعيان الرباط ما قام به الفرنسيون في شهر مارس من السنة نفسها عندما استقرت الفرق الفرنسية بالرباط تحت قيادة الكولونيل ريفو RIFFAULT [81] فأصبحت المدينة تحت السيطرة الفرنسية بعد وجدة والدار البيضاء ، قبل احتلال سائر البلاد سنة 1912 .

---

78 – انظر ظهير التنصيب ، وثيقة رقم 26 في الملحق .
79 – نهليل ، رسالة 16 شعبان 1326 .
80 – J. Caillé. Op. cit. p. 556
81 – المرجع والصفحة المذكوران .

الباب الرابع
الخصائص السوسيولوجية لفئة الأعيان وعلاقاتهم

ظهر مما سبق ، أن هناك تعددا في عناصر الشفوف الإجتماعي جعلت كل من تميز بأحدها مختصا برأسمال مادي أو رمزي أي مندمجا في فئة الأعيان . غير أن الإلمام بحدود هاته الفئة الاجتماعية ودراسة مدى انسجامها علما بتعدد الأصناف واختلاف الأفراد فيها ، يتطلبان استخراج الخصائص السوسيولوجية ، وحتى السيكولوجية لها، حسبما يمكن استنتاجه من الوثائق المتوفرة ، وبالتخصيص العائلية منها .

وللتعرف على مدى انسجام فئة الأعيان فمن الضروري رصد العناصر التي اشترك فيها هؤلاء ، وحصر مظاهر الاختلاف فيما بينهم، وسنبدأ بهذا الجانب في الفصل الأول من هذا الباب .

ولوضع وجهاء الرباط في موقع دقيق ومضبوط فلابد أيضا من الإطلاع على علاقاتهم أولا بالعامة الرباطية باعتبارها الوجه الآخر للمجتمع ، وثانيا بأعيان مدن أخرى مهمة في الفترة المدروسة ، عن طريق إجراء مقارنة تشكيلة أعيان الرباط ، بتشكيلتي أعيان مدينتين عريقتين هما فاس وتطوان .

الفصل الخامس عشر
العناصر المشتركة ومظاهر الاختلاف

1 – العناصر المشتركة :

1.1 – تشابه مظاهر الحياة العائلية :

1.1.1 – شكل الدار : تدل الإفادات المختلفة على أن الأعيان كانوا يسكنون دورا كبيرة داخل المدينة القديمة وغالبا ما كان المنزل متألفا من طابقين ومن روض يتوسط الفناء وفي أعلاه سطح منبسط ، وقد بنيت الدور المذكورة بنمط واحد على وجه التقريب وتأنقت في تزليجها بالفسيفساء المعروف الذي لا تبلي ألوانه على الشكل الأندلسي الموجود في قصور غرناطة . في شكل الأقواس ونوع النقوش في السقوف والجدران والسواري . وفي بعض الأحيان يكون للدار الواحدة باب كبير ذو طوخة وباب صغير يكون عادة لدويرة صغيرة امتدادا للدار الأصلية. وأحيانا يوجد أحد البابين في زقاق والثاني في زقاق مواز له ، ويخرج من الدار اسطبل صغير يدعى أورى حيث رباط البغل أو الحصان الذي كان وسيلة الركوب المميز للوجهاء وربما احتوى الاروي على أكثر من بهيمة .

وتمثل الهندسة المعمارية في دور الأعيان مستوى مهارة الصناع، سواء في شكل الزخرفة والتزليج في الجدران والسقوف والأرضية ، أو في النقوش والحفر على الخشب والجبص والحجر ، مما يدل على أن الفنون المعمارية كانت ذات حظ وافر في الحرف المتعددة التي اشتهرت بها المدينة ولكن لم تكن كل المواد المستخدمة في البناء مصنوعة في الرباط ، إذ كان بعضها يجلب من فاس . وليس من المستبعد أن يكون استدعاء بعض « المعلمين الصنايعيين » من مدن أخرى مثل فاس شيئا جرى به العمل من طرف بعض الأعيان .

2.1.1 – امتلاك الأثاث الأوربي :

في القرن الماضي لم تكد تخلو أية دار من دور الأعيان من الأثاث المجلوب من الخارج والمتكون من المرايا الكبيرة ذات زجاج البلار ، والساعات الرقاصة ، وأواني البيت المسماة «البديع» و «الطوس» والكريسطال ، والأواني الفضية المستعملة للطعام أو للإنارة ، أو

غيرهما مثل (حسكات) الشموع ، والصواني والأباريق . وكان هذا الأثاث يجلب من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وبروسيا .

وشمل هذا المتاع البيتي الذي يسميه الناس «محوت الدار» ملابس مصنوعة من الأنسجة الفاخرة المستوردة ، وقد أشرنا إلى بعضها سلفا مثل الملف المسمى «البراية» و «برناطة» والموبر ، وبعض الألبسة الصوفية ، للرجال والنسوية كالحرير والموسلين ... الخ . ولنأخذ فكرة عن هذه الأثواب نأتي ببعض الأمثلة المأخوذة من تركة النائب مَحمد برگاش [1] وهي تبين أيضا أنواع لباس الرجل .

نوع الثوب	العدد	الثمن بالأواقي	الثمن بالمثاقيل
جبدور ملف قرمي	1		26
سروال ملف قرمي	1		23
سروال بايته	1	65	
بدعيات من اللانكي	3	90	
كسوة ملف جبدور وفوقية	1		39
كسوة ملف علجة	1	40	100
سروال براية	1		23
سلهام ملف براية	1		130
كساء	1		65

ونلاحظ من هذه الأمثلة غلاء ثمن الملف وخاصة نوع « البراية » .

أما الأثاث المستعمل في دور الأعيان فيمكن الإلمام بعدة نماذج منه انطلاقا من التركة نفسها :

1 – تركة النائب مَحمد برگاش ، في حوزة صاحب الرسالة .

النوع	الثمن بالأواقي	الثمن بالمثاقيل
صحن طوس	60	
12 صحنا من «البديع»	2	31
20 كأسا من «البديع»	6	29
13 زلافة من «البديع»	6	10
مقلاة من نحاس	-	20
طاجين من نحاس	-	156
ثلاث مرايا كبيرة لوسط البيت	-	182
مرآة أخرى أكبر منها	-	121
صينية	-	39
إبريق كبير للشاي من الفضة	-	364
حسكة متعددة الرؤوس	-	26

ونستدل بهذه الأمثلة على غزو المنتجات الأوربية للسوق المغربية. وإذا كانت تدل على تطور الذوق لباسا وتأثيثا وفي تهييئ موائد الأعيان أو بعضهم على الأصح ، فإن هذه المنتجات تبقى بضائع خاصة بالفئات الغنية نظرا لغلاء ثمنها ، وليست الأثمان المذكورة في الأمثلة أعلاه سوى قيم لسلع بالية أو قديمة .

ومن المثير للانتباه أن الغرفة الواحدة في دور هاته الفئة كانت تضم عدة مرايا كبيرة وساعات رقاصة ، فيذكر ميرسيي Mercier أن أحد التجار الكبار في الرباط زين غرفته بمرايا كبيرة ذات إطارات مذهبة ، وقد علقت على طول الجدران ، وفوق المنضدات والرفوف نحو ثلاثين ساعة رقاصة من كل الأشكال وفوق إحدى الخزانات مجموعة من الأواني البلورية ، فيها ورود اصطناعية ، وقد علق ميرسيي على ذلك قائلا : « وكأننا في دكان بائع التحف» 2 .

2 – L. Mercier : note sur la mentalité religieuse dans la région de Rabat-Salé. in Ar. Marocaine V. 7 p. 430

3.1.1 – تعدد أفراد الأسرة

كان جل الأعيان يعيشون في دور جمعت عددا كبيرا من الأفراد ، قاربوا أحيانا ثلاثين شخصا ، والسبب هو تعدد الزوجات وما يتبعه من إنجاب للأطفال ، وعلى الرغم من أن الوثائق العائلية تبين أن وجهاء الرباط كانوا يكتفون في الغالب بزوجة حرة واحدة فإنهم اعتادوا التسرى بالإماء اللواتي كان عددهن يصل إلى أكثر من خمس ، وقد تلدن كلهن ، وكان أبناء الزوجة الحرة وأبناء هؤلاء المستولدات يعيشون عادة تحت سقف واحد . وبالنظر لما كان ينتج عن ذلك من خصومات ومنافسة على الحظوة فإن سلطة الأب كانت كفيلة بنشر جو من السلام ، مما يبين السلطة الأبوية لأسر الأعيان في القرن الماضي ، بحيث يمكن تشبيه دورهم بقصور مصغرة تضم الحريم . ويمثل الإبن البكر دور الحاجب أو الوزير ، بينما يمثل الأبناء الآخرون وأصدقاء الأب «مخزنا» مصغرا يقوم بمساعدة رب المنزل وتقديم مختلف الخدمات العائلية له حتى في حالة تزوج الأبناء .

وقد يحدث أن تنقسم الأسرة قسمين في حالة اشتغال ربها في وظيفة ما خارج الرباط ، وهذه حالة العديد من الأعيان ، فكانوا يؤلفون في هذه الحالة أسرتين منفصلتين الأولى في الرباط ، والأخرى في المدينة التي كان الشخص يمارس فيها عمله إن كان موظفا .

وتبين بعض الوثائق الخاصة كيفية سير أحداث الحياة الأسروية، سواء في أسرة الرباط ، أو في الأسرة المصاحبة لرب الدار. وعادة ما تكون الأسرة متألفة من أمة ترعى شؤون الزوج وأبنائه منها ، وأحيانا أخرى كان الرجل يتخذ زوجة حرة ثانية . فالسيد أحمد الزعيمي ترك زوجته بنت الشريف الحاج المهدي بن مولاي ابراهيم في الرباط مع أولادها وتزوج بفاس التي كان يشتغل بها كاتبا في بنيقة أمين الأمناء بامرأة من أسرة الكثيري ، ولكي نطلع على تعدد أفراد أسرة الأعيان نعطي مثالين : الأول يخص القائد الصديق برگاش ، والثاني يهم القاضي أحمد الزعيمي .

- أسرة الصديق بركاش 3 :

أولاد السيد الصديق منها	الزوجة
مَحمد ومحمد	عائشة بنت الأمين محمد الزبدي
عبد الحق	الضاوية مستولدة
التهامي + إدريس + عبد الحفيظ	الياسمين مستولدة
عبد النبي + العربي	زهرة مستولدة
رضوان	سعيدة مستولدة
كنزة	فتح الزهر مستولدة
نفيسة	الياسمين مستولدة ثانية

يظهر واضحا تعدد الإماء ومن ثمة تعدد الأبناء منهن بينما توجد زوجة شرعية واحدة مع ابنين لها .

وكانت دور الأعيان تضم أيضا العبيد والوصفان لقضاء السخرات المجانية المختلفة ، فكان لأحمد الزعيمي وصيف وعدد من الإماء الصغيرات كن يقمن بالأعمال المنزلية دون أن يتخذهن مستولدات. وكان تعدد أفراد أسر الوجهاء يتعزز أيضا بإقامة شخص أو أكثر بصفة دائمة مع الأسرة لوجود روابط عائلية تجعل السيد يتكلف بتربية ربيب أو ربيبة لضعف الحال ، وهذه حالة منتشرة لدى أعيان الرباط القدماء ، ومما يظهر صبغة التكافل العائلي في المجتمع المغربي . وقد وردت الأشارات إلي ذلك ، فكان الزعيمي المذكور يعول بنتا له معها قرابة عائلية فتكفل بها إلى أن وصلت إلى سن الزواج فزوجها .

3 - تركة النائب مَحمد بركاش .

أفراد أسرة الزعيمي 4

الإسم	الوضعية	الأبناء
السيدة زهراء بنت مولاي ابراهيم	زوجة	محمد، علال، عمر، ادريس، فاطمة زبيدة
رحمة معتقة العربي بريشة	مستولدة	بوبكر
منانة حدادة	زوجة سابقة	مَحمد + خدة
الياسمين (بربرية)		
فاطمة	مستولدة	حليمة
مسعودة	مستولدة	عبد السلام
زينب كثيرية	زوجة سابقة	
زايدة	خادمة عجوز	
فطومة بومديان	ربيبة	
جوهرة	خادمة	
مسعودة	خادمة	
مباركة	خادمة	
فتح الزهر	خادمة	
امبريك	وصيف	

يبين الجدول إذن أن أسرة الزعيمي متعددة الأفراد ، ولكن كان هؤلاء مقسمين قسمين : جماعة تعيش في الرباط كان يتكفل بها محمد أكبر الأبناء مع أمه الحرة ، وكان الأب يرسل إليه شهريا ما بين 25 و 30 ريالا إضافة إلى كيس من الدقيق لإعالة أسرته وذلك ما بين سنة 1904 و 1911 ، وجماعة تنتقل مع السيد إلى المدينة التي كان المخزن يعينه فيها لممارسة وظيفته ، سواء في فاس أو طنجة أو الدار البيضاء خلال الفترة المذكورة أعلاه . ولما حل مدينة طنجة للاشتغال في مرساها اشترى إحدى إماء الأمين العربي بريشة وتزوجها هناك ، ولما انتقل إلى الدار البيضاء سافرت معه مع ابنتها منه .

4.1.1 – امتلاك الإماء والعبيد :

كان أصحاب السلطة والتجار الكبار والشرفاء والعلماء يمتلكون الإماء والعبيد . فقد ذكر إبراهيم التادلي في تقييده أن الوزير أحمد بن

4 – وثائق خاصة . رسائل أحمد الزعيمي إلى أسرته بالرباط : انظر الوثيقة 25 وانظر أيضا الوثائق 20 و 21 و 23 و 24 في الملحق والخاصة بأسرة الزعيمي .

موسى لما زاره في منزله نفح «إمائه الثلاث» بثلاثة ريالات قبل انصرافه 5. وحتى الأشخاص المتوسطون كانوا يمتلكون وصيفا أو أمة، وقد رأينا مثالا عن ذلك عند أسرة الصناع .

أما التجار والأعيان بصفة عامة فكانت لهم إماء متعددات ، فالتاجر محمد الرايسي كان يعيش معه عبد اسمه سرور وأربعة إماء ، هن جوهرة والياقوت وسعيدة وعنبر 6 .

وقد أشرنا إلى أن العبيد والإماء كانوا يباعون في فنادق خاصة مثل فندق الحبشي بالسويقة ، وكانت أثمانهم تختلف حسب السن بالنسبة للإناث ، وحسب قوة الجسم والسن بالنسبة للذكور . وقد كانت أثمان الإماء تتراوح في الرباط بين 150 و 1000 مثقال أواخر أيام مولاي الحسن ، وفي سنة 1891/1309 بيع عبد بـ 200 مثقال 7 في الرباط.

وكانت وضعية الإماء متفاوتة . فقد تنال الأمة حظوة لدى سيدها عندما تلد ، وربما أصبحت مسموعة الكلمة في الأسرة إذا كانت ذات شخصية قوية ، أو حسنة التدبير ، أو مر على وجودها في البيت وقت طويل ، وربما أوصى لها السيد بقدر من المال ، فالنائب محمد برگاش أوصى للأمة مبروكة والأمة مسعودة بـ 320 ريالا مناصفة تأخذانها بعد موته 8 .

وكانت أسرة الوجهاء تتضمن إماء متحررات ، إذ فضلت كثير من الإماء البقاء في الدار التي عشن فيها ، بعد عتق رقبتهن . وهكذا عاشت الأمة زايدة في بيت أحمد الزعيمي طوال حياتها ، وكذلك الأمة فاطمة 9 وكانت العادة أن تأتي الزوجة بأمة من بيت أبيها لتعيش معها في دار زوجها لتقوم على خدمتها .

أما العبيد ، فبالإضافة إلى ماكانوا يقومون به من أشغال وسخرات خارج البيت واعتناء بدواب سيدهم ، فإنهم قد يتكفلون بخدمات قد تتطلب أن يكونوا موضع ثقة مالكهم .

5 – محمد بوجندار ، **الإغتباط** مرجع سابق ص 255 .
6 – تركة الرايسي في حوزة صاحب الرسالة .
7 – المصدر نفسه .
8 – تركة النائب برگاش.
9 – رسائل أحمد الزعيمي .

كانت إذن وضعية الإماء والعبيد الاجتماعية تبين أنهم كانوا منصهرين في الحياة العائلية للأعيان بأفراحها وأتراحها . وعلى الرغم من أن هناك استغلالا واضحا للقوة الجسدية للعبيد والإماء على السواء بدون مقابل ، فإن الوثائق الشخصية تبين أن الألفة والترابط والتكافل جعل هؤلاء الأشخاص يرضون بحياتهم وينقادون لمصيرهم .

2.1 – المصاهرة من نفس الشريحة الاجتماعية :

تدل المصادر على أن الأعيان الرباطيين كانوا يتزوجون من الأسر المشابهة لهم في الغنى أو السلطة أو الوجاهة المتوارثة منذ القديم بحيث كانت الثروة لا تنكح إلا الثروة ، ومثل ذلك بالنسبة للفقراء الذين كانوا لا يتزوجون إلا من مستواهم . وأحيانا كانوا يتصاهرون من عائلاتهم . فقد أشرنا إلى أن التاجر محمد فرج المتوفى سنة 1909 تزوج من ابنة عمه ، وزوج ابنته لابن أخيه التاجر الغني ، وأدت هذه الزيجات إلى تعزيز تجارة آل فرج وإلى اشتراك المصالح وتقوية الملكية العقارية كما رأينا .

وكانت المصاهرة من شريحة اجتماعية معينة تعزز مكانة العائلة من حيث الجاه والسلطة والمال ، فالنائب مَحمد برگاش تصاهر مع أقرانه من ذوي الجاه والسلطة ، مثلما يظهر في الظهير الذي أصدره المولى الحسن بشأن توقيره واحترام أبنائه وأصهاره وهم : الحاج محمد وعبد المجيد والعباس والصديق قائلا في شأنهم 10 : « ... سدلنا عليهم أردية التوقير والاحترام ، وحملناهم على كاهل المبرة والإنعام ، والرعي الجميل المستدام ، وحاشيناهم عما نطلب من العوام من الوظائف المخزنية ، والتكاليف السلطانية ، وألحقنا بهم كذلك خالهم الطالب عبد القادر غنام وأصهارهم الحاج محمد الغربي وأخوه الطالب الهاشمي والطالب عبد السلام والزهرا والطالب المكي (النسب) : فلا سبيل لمن يخرق لهم عادة ، أو يحدث في أمرهم نقصا أو زيادة . فمن يفعل فلا يلوم إلا نفسه ، ولا يضرب إلا رأسه ... والسلام (في 18 شعبان

10 – هذا الظهير مبتور البداية ، وثائق برگاش ، ميكرو فيلم رقمه 2171 خ.ع. ، ظهير مؤرخ في 18 شعبان 1289 . انظر أيضا وثيقة صداق رقمها 7 في الملحق .

. (1289

وهكذا نجد أن العائلات المتصاهرة مع آل برگاش وهي الزبدي وغنام والغربي و اوزهرا ، استفادت من التوقير والاحترام الذين أحرزهما آل برگاش ، فأعفي هؤلاء الأعيان من مختلف الضرائب التي كانوا يدفعونها للمخزن من قبل ، وأصبحوا ذوي حظوة لديه بسبب ذلك.

وكان الشرفاء أيضا ميالين إلى الزواج من الأسر الشريفة . ولكن إذا كانت هذه الظاهرة تكاد تصبح قاعدة عند بعض أصناف الشرفاء مثل العلويين – وقد رأينا ذلك – فإنها قد لا تكون كذلك عند أسر أخرى من الشرفاء .

ومال أحمد الزعيمي وهو من الأسر المنتمية إلى الشرفاء الأدارسة [11] إلى المصاهرة مع أسرتين شريفتين ، الأولى هي أسرة المتصوف الشهير سيدي بن عاشر الحداد إذ تزوج من ابنته ، والثانية أسرة مولاي ابراهيم العلمي .

وعندما انتقل إلى فاس في مهمة مخزنية تزوج من أسرة شريفة أخرى هي أسرة الكثيري حسبما تقدم بيان ذلك . وقد جنحت أسر العلماء أيضا إلى المصاهرة من بعضها فوالد إبراهيم التادلي كان تصاهر مع القاضي صالح الحكموي [12] ، وعقد الفقيه البيطاوري أبو العالم المكي على بنت القاضي الطيب بسير [13] .

وكانت مصاهرات الوجهاء تمتد أحيانا إلى خارج الرباط ، ولكن تبقى دائما في الشريحة الإجتماعية ذاتها أي أسر الأعيان وربما وقعت مصاهرات بين وجهاء الرباط وبعض العائلات المخزنية الكبرى ، وهذه حالة العربي بن محمد الزبدي الذي تزوج من عائلة الوزير الجامعي . فكان المعطي الجامعي أخو محمد بن العربي الصدر الأعظم في عهد المولى الحسن وصنوه محمد الصغير وزير الحرب صهرين للزبدي ،

---

11 – ظهائر الشرف في حوزة عائلة الزعيمي.
12 – عبد الله الجراري : **شيخ الجماعة أبو أسحاق التادلي**. مطبعة النجاح ، 1980. ص 11 .
13 – عبد الله الجراري : **شيخ الجماعة محمد المكي البطاوري**. مطبعة النجاح . 1978. ص 10

وإذا كان الجاه والسلطة والمال عناصر تعزز مكانة الأصهار ، فإن قلب ظهر المجن في العائلة المخزنية لظروف سياسية معينة كان يرجع بالوبال على أصهارهم أيضا ، وهكذا كان على العربي الزبدي أن يتحمل آثار المحنة التي تعرض لها أصهاره بعد موت السلطان المولى الحسن واستبداد الوزير أحمد بن موسى بالأمر . فأودع السجن مع صهريه من آل الجامعي [14] فكان هو بآسفي بينما بعث بصهريه إلى سجن تطوان بدعوى معارضتهم بيعة المولى عبد العزيز ومحاولتهم تنصيب أخيه البكر مولاي مَحمد الخليفة بمراكش ، ولم يفرج عن العربي الزبدي إلا سنة 1900 بعد موت أبا حماد [15] .

وكان إصهار أعيان الرباط إلى العائلات المخزنية يتيح استقطاب عناصر قوة جديدة لهؤلاء الوجهاء عن طريق الجاه المكتسب والامتيازات المخزنية ، وهذه حالة عائلة الشريف بلغازي بلحسني الرباطية وهي عائلة علماء ، وقد تصاهرت مع أمين الأمناء عبد السلام التازي [16] الرباطي المدعو موخا .

3.1 – المنتديات الخاصة :

كان أعيان الرباط يتجمعون في بعض المناسبات ، ويخلقون هم أنفسهم فرصا للتجمع ، ويمكن أن نميز بين نوعين من هذه التجمعات .

1.3.1 – النزهات والأعراس

بما أنهم كانوا يمتلكون العرصات والجنات فإنهم كانوا يجعلون منها مكانا لقضاء بعض الأوقات قصد النزهة والترويح عن النفس ، وكانت هذه النزهات تطول أحيانا ، وخاصة في أيام الربيع ، وكانت مناسبات للمطارحة بين الشعراء والأدباء والمثاقفة بين الفقهاء ،

---

14 – مصطفى الشابي : بعض العائلات المخزنية الكبرى ، (مرقون) مرجع سابق ص 188 .

15 – كانت مدة سجنه أقل من مدة سجن صهريه ، ومن الصدف أن السلطان المولى عبد العزيز كلفه ببيع أملاك خصمه الوزير أحمد بن موسى المتوفى وذلك بفاس ، انظر الإتحاف لابن زيدان ج 1 ص 374 و 378 .

16 – محمد بوجندار ، **الاغتباط** ص 454 – حول زواج الأشراف فيما بينهم انظر الوثيقة رقم 15 .

والمباسطات بين الناس ، وتبين هذه المساجلات الشعرية [17] الجو الراقي الذي كان يعيش فيه صنف من الأعيان ، وربما ضمت هذه النزهات أشخاصا يعزفون الموسيقى ، مما يبين أن وسطهم الاجتماعي لم يكن متزمتا ، ولكن ربما كان جو بعض الأعيان وخاصة التجار والأغنياء مخالفا لجو الفقهاء والعلماء ، وكان العازفون على الآلات الموسيقية كما تبين الوثائق هم أيضا من الأعيان أي أن الجماعة كانت منسجمة تختار الأصدقاء والمرافقين من العائلات ذاتها ، فأحمد الزعيمي كان يعزف على آلة العود وهو من الشعراء ومن القضاة ، وكانت محافل الأعيان تجمع بينه وبين الأديب جسوس ، والقاضي البطاوري والقاضي أحمد بناني زيادة على رهط من الوجهاء [18] .

كما كانت الأعراس فرصا لتلاقي الأعيان وتبادل الأشعار بين الأدباء والعلماء [19] ومن هذه المساجلات الشعرية ما قيل مثلا بين الشيخ المكي البطاوري وأحمد الزعيمي ومحمد البريبري وأحمد جسوس وأحمد بناني [20] .

ويحكى بعض الكتاب الأوربيين [21] أن بعض كبار تجار الرباط (وقد أشرنا من قبل إلى ذلك) كانوا يعقدون فيما بينهم نزهات من نوع خاص بعيدة عن الجو الذي كانت تتبادل فيه الأشعار البريئة ، حيث كانت تدار الخمر بحضور «الربايع» وهو نوع من الأجواق الموسيقية المختلطة بالراقصات لكن هذه النوع من الأجواء كان محدودا جدا ويبدو أنه لم يظهر إلا في بداية القرن العشرين .

2.3.1 – المحافل الدينية :

كان الأعيان يتجمعون في حفلات دينية خاصة مثل حفل ختم

17 – اشار بوجندار الى الكثير منها في تراجمه ... ومنها أيضا مالا يزال مخطوطا وغميسا ، مثل ديوان القاضي أحمد الزعيمي .
18 – محمد بن علي دينية : **مجالس الانبساط** مرجع سابق ص 294 .
19 – أيضا .
20 – كذلك .
21 – L. Mercier : note sur la mentalité...Op. cit. p. 430 .

صحيح البخاري في شهر رمضان ، وقد وصف ميرسيي Mercier في بداية القرن العشرين هذا الحفل الذي نعته بأنه أكثر الحفلات ارستقراطية في الرباط [22] .

وتتجلى هذه المحافل الدينية أيضا في انخراط الأعيان في زوايا خاصة ، فكادت الزاوية التجانية تكون خاصة بالأعيان ، ليس في الرباط فقط بل في المدن المغربية الأخرى ، وكان بعضهم يعقدون جلسات في الدور ينشدون فيها الأمداح ويتبادلون الأشعار الصوفية التي كان طرف منها من نظمهم الخاص .

تدعو مختلف هذه العناصر إلى تصور سيادة الانسجام في فئة الأعيان الرباطيين . وربما كانت هناك مناسبات خاصة شعروا فيها بوحدة دورهم ، ومن أهمها بيعات السلاطين أو تمثيل المدينة في الوفود الحاملة لهدية السلطان إلى فاس أو مراكش ، أو داخل الرباط نفسها ، عندما كان يأتي السلطان لقضاء العيد بها .

ومن الأمثلة على ذلك أن أرسل القائد محمد السويسي أواخر سنة 1305 أربعة أعيان ومعهم : (ستة مخازنية مصحوبة معهم الهدية المألوفة ، ستة أطراف من ثوب المطيب وحملان من الفخار الرباطي) [23]، وأيضا عندما ذهب الوفد الرباطي لتقديم بيعة المولى عبد الحفيظ كما أشرنا في الفصل السادس .

ولكن طابع الإنسجام والوحدة هاته عارضته عدة نقط للاختلاف.

2 – مظاهر الاختلاف :

1.2. الوظائف :

بينت أصناف الأعيان تعدد أدوارهم ووظائفهم في المجتمع ، فأصحاب السلطة هم قبل كل شيء ممثلو المخزن. فعلى الرغم من الروابط العائلية والمصالح المختلفة التي ربطتهم ببعض الأعيان الآخرين ظهر بين الصنفين تنافر ، وحذر الآخرون من الأوائل كلما مست

---

22 – المرجع نفسه .

23 – رسالة 26 قعدة 1305 محفظة 252، خ.م.

مصالحهم ، كما دلت بعض الأمثلة عن العلماء الذين تعرضوا لمحن من طرف رجال السلطة ، فقد تناقضت وظائف الأعيان وتضاربت مصالحهم ، مما يبين صعوبة إنسجامهم العملي كفئة اجتماعية ذات توافق ومصالح مشتركة ، ولكن ربما ساد شعور بالوحدة لدى مجموعات محدودة من العائلات المتصاهرة وذات مصالح مشتركة كانت ذات تفوق مادي ومعنوي .

وإذا كان تعارض المصالح قد حدث بين صنفين مختلفين من الأعيان ، فربما وجد هذا التناقض داخل الصنف الواحد ، فكثير من الوثائق بينت تنافر العلماء أنفسهم فيما بينهم من جهة أولى ورجال السلطة أنفسهم من جهة أخرى ، ومن الأمثلة على ذلك أن العامل السويسي كان غير منسجم مع خليفته الصديق بركاش ، فقد اشتكى الثاني بالأول إلى المخزن المركزي لتهميشه أمور العمالة ولاستقلاله بها [24] . ولم يوافق بركاش عامله من جهة أخرى على فرضه هدية العيد على بعض الأشخاص المتمتعين بظهائر الإعفاء [25] ، واشتكى السويسي بخليفته لانفراده بتوزيع الكسوة على العسكر والطبجية والبحرية مع أن العادة أن يدفعها للعامل والأمناء ليوزعوها جميعا ، ذاكرا المهانة التي حصلت له بهذا التصرف [26] . وإذا كانت لهذه المنافسات في بعض من الأحيان صبغتها الشخصية فهي في أحيان أخرى تعبر عن منافسات عائلية وعن التهافت على حظوة مخزنية تجعل صاحبها وعائلته أكثر تفوقا من العائلة الأخرى أو على الأقل تتجلى في إذلال المنافس وتوبيخه من طرف السلطان ، ولكن هذه الظاهرة عادية لدى أصحاب السلطة ، ولاتدل على شيء جديد . غير أن إبراز أمثلة هذه المنافسات يعزز ما قلناه عن التعارضات الموجودة لدى أصحاب أهل الحل والعقد بصفة خاصة والأعيان بصفة عامة داخل المدينة .

ومن الأمثلة على التنافر بين صنف من العلماء أن القاضي عبد الرحمان البريبري تسلط على عدد من زملائه من علماء الرباط ، فمنعهم

---

24 – كناش 776 ، ملخص رسالة 3 محرم 1314 خ.م. انظر الوثيقة رقم 17 .
25 – أيضا .
26 – الكناش نفسه رسالة 22 صفر 1314 خ.م. انظر أيضا الوثيقة رقم 19 .

من التدريس ، وأودع أحدهم وهو إبراهيم التادلي السجن ، مما جعل هؤلاء العلماء يلتجئون إلى السلطان ويحصلون على ظهائر مخزنية لمزاولة مهامهم 27 .

وهناك وثائق تبين التعارض بين فئة الأشراف وبعض الأعيان الآخرين وبين التجار والعلماء 28 .

وإذا كانت المنافرات بادية في الصنف الواحد فما بالك بالعلاقة بين كل الأصناف ؟

2.2 – الثقافة

يظهر الاختلاف واضحا في المستوى الثقافي بمفهوم ذلك العصر لدى فئة الأعيان ، فهناك العلماء أي ذوو البسطة الوافية من علوم الدين والأدب والآلة وهناك ذوو المسكة الضعيفة منها ، وهناك الأميون الجاهلون تماما وهم الأغلبية وتدل كنانيش التجار وأوراق بعض الأعيان ومنهم رجال السلطة على ضعف المستوى اللغوي والنحوي لديهم ، ومع ذلك لم يكن الأمي أقل احتراما من المتعلم لدى عامة الناس ولدى المخزن ، إذ يلعب الذكاء والدهاء وحسن التدبير والتجربة دورا كبيرا في تقدير الشخص ومكانته . فمَحمد بركاش الذي احتل منصب وزير الخارجية كان مستواه التعليمي بسيطا جدا ، وكان المخزن يطلق لفظة « الطالب » على كثير من خدامه من الكتاب والعدول والطلبة المتمدرسين وأيضا على بعض الموظفين الآخرين ، على الرغم من جهل بعضهم بمبادئ القراءة والكتابة .

3.2 – النفوذ الاجتماعي :

علمنا أن السلطة والتجارة الكبرى والعلم والمكانة الدينية والمجد العائلي منابع مختلفة لممارسة النفوذ الاجتماعي لدى أصحابها ، ولكن هذا النفوذ اختلف من شخص إلى آخر ، وقد يجمع الفرد بين الشرف

---

27 – الكناش نفسه ، ص 297 ، وأيضا كناش 432 ملخص رسالة 20 شوال 1315 ص 131 خ.م.

28 – عدة وثائق مخزنية . خ.م.

والعلم والسلطة والمال ، بينما ينفرد شخص آخر بمميزات أقل أو بميزة واحدة . وعلى كل حال كان احترام الشخص يصدر من كونه عالما أو شريفا أو مرابطا أكثر من كونه قائدا مدنيا أو عسكريا وكانت معاملة الناس له تنبني على الخوف والحذر أكثر من التقدير والاحترام . وربما كان بعض رؤساء الحرف متمتعين بنفوذ اجتماعي كبير ، فلفظة المعلم والشيخ والحاج كلها تعبر عن احترام أصحابها ووجودهم في مكانة متميزة بالنسبة للعوام.

ويمكن القول إن أكثر الأعيان إحرازا للاحترام والتقدير هم كبار العلماء . وتكفي العودة إلى مثال العالم إبراهيم التادلي الذي لما دخل عليه الحاجب أحمد بن موسى قبل يديه وترامى عليه وهو خافض الرأس 29 .

4 .2 – الأملاك والمداخيل الاضافية :

لم تكن الأملاك مظهرا مشتركا بين جميع الأعيان ، فإذا كان البعض قد اكتسب عددا من الدور والأراضي والحوانيت ، والأماكن التجارية من أفران وأهراء ، وغير ذلك سواء في الرباط أو في مدينة أخرى ، أو في أراضي البادية ، فإن أعيانا آخرين لم تكن لهم أملاك كما تظهر بعض الوثائق . ومن الأمثلة على ذلك أن أبا اسحاق التادلي العالم الشهير لم يكن يمتلك دار سكناه ، بل كان مكتريها من مالكها محمد برگاش 30 .

ويمكن القول بأن رجال السلطة والتجار الكبار كانوا يتصدرون قائمة الملاكين ، بينما يأتي العلماء وكثير من الشرفاء في أسفلها ذلك أن من بين هؤلاء الآخرين من عرف بالزهد في الدنيا والاشتغال بالتصوف ، فعندما توفي القاضي محمد بن العربي عاشور لم يوجد عنده سوى خمس أواق 31 .

وإذا كان بعض الأعيان يحصلون على مداخيل إضافية فإن آخرين كانوا محرومين منها ، فلم يكن بعض العلماء يتلقون ما كان يحصل

---

29 – محمد بوجندار ، **الاغتباط** مرجع سابق. ص 255 .

30 – وثيقة تركة النائب محمد برگاش .

31 – محمد دينية ، **مجالس ...** ، مرجع سابق . ص 294 .

عليه زملاؤهم من صلات أو تنفيذات أو هدايا ، وحتى الشرفاء كانوا فريقين ، فالفريق المحظوظ منهم هو المقرب للسلطة ، تمتع أفراده بالهبات والمشاهرات والهدايا ، بعكس آخرين كانوا منسيين من طرف المخزن .

وكان أغنياء الأعيان يتمتعون بدخول إضافية ناتجة عن ريع أكريتهم أو منتوج غلال بساتينهم وعقاراتهم ، وغالبا ما حصلوا مع ذلك على تنفيذات من السلطان ، ويمكن حصر أنواع الموارد الإضافية فيما يأتي :

1.4.2 – التنفيذات السلطانية :

كانت اما مقادير مالية ، وهي عبارة عن «مشاهرات» قارة أو مقادير مالية من الأحباس أو من المرسى لبعض العلماء أو الشرفاء ، وشملت أيضا المونة والكسوة في مناسبات الأعياد ، وكان أعضاء المخزن يتلقون إنعامات سلطانية مختلفة . فقد أنعم المولى الحسن على النائب مَحمد برگاش ببقعة أرضية على وجه التمليك ، حسبما نص عليه الظهير الآتي :

« يعلم من هذا المسطور الكريم .... أننا أنعمنا على خديمنا الأرضي الطالب مَحمد برگاش ببقعة أرض في الدار البيضاء طولها أربعون قدما وعرضها عشرون قدما ، سواء تيسرت متصلة أو متفرقة ليبني فيها منافع ينتفع بكرائها حوانيت وغيرها .

ملكناها له تمليكا تاما مؤبدا على سبيل الإقطاعات الملوكية يتصرف فيها بأنواع التصرفات ، ويتوارثها أولاده بعده تمليكا وإقطاعا ناجزين لا استثناء فيهما .

فنامر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن ينفذ له ذلك ، ويمكنه منه على الوجه المذكور ،

والسلام، في 15 شوال 1294» 32

ونلاحظ أن هذه التنفيذة استثنائية ، إذ أن العادة أن يقطع المخزن

32 – وثائق برگاش ، ميكرو فيلم رقم 2171. خ.م.

لخدامه أراضي من أجل المنفعة فقط لا من أجل التمليك النهائي .

وكان المخزن ينعم على موظفيه الكبار بمقادير مالية متعددة ، فالمولى عبد العزيز انعم على الأمين بناصر غنام بصلة مالية يأخذها من مرسى طنجة ، ثم أنعم عليه بتسعين ريالا يأخذها من مرسى الرباط وسلا 33 .

2.4.2 – منتوج الغلال والأكرية :

كانت لأغنياء الرباط موارد آتية من غلال بساتينهم بعد بيع محصولها السنوي كما رأينا في حالة أسرة فرج ، أو من كراء الدور ، والحوانيت ، أو من مصادر اقتصادية أخرى كالأفران وأحواض الملح والأهراء وغير ذلك .

5.2 – الورع والتشبث بالتقاليد

أعطينا أمثلة فيما سبق عن أخلاق بعض الأعيان الذين تشبثوا بالدين ، وكان منهم الثقاة والمتصوفون ، وكانوا في الغالب علماء ، أو مجرد صلحاء عرفوا بالاستقامة والورع ، في حين كان بعض التجار الأغنياء قد عاشوا حياة مخالفة في عرصاتهم كما ذكر .

6.2 – التأثر بالأجانب

تلقت فئة الأعيان آثار الاحتكاك بالأجانب مثلما تلقته باقي الرعية. وفي أواخر القرن ظهر اتجاهان لدى أعيان الرباط . الأول هو اتجاه فئة رغبت في الأخذ بالأساليب الأوربية واقتباس مظاهر الحياة الغربية. أما الثاني فهو اتجاه الفئة المحافظة التي رأت في هذا الانفتاح سببا لما تردت فيه البلاد ووصل إليه المخزن من تدهور وانحلال . وقد مثل الفئة الأولى على الخصوص التجار والأمناء الذين تقلدوا المناصب المخزنية ، وهي مناصب اهتمت (بتنفيذ الاصلاحات) المقترحة من

---

33 – كناش 432 ملخص رسالة 15 قعدة 1315. ص 160 خ.م.

طرف الأجانب . وقد نظر إلى هؤلاء نظرة مريبة .

ومثل الفئة الثانية العناصر التقليدية من الفقهاء والمحافظين ، ويقون المؤرخ بوجندار في هذا الصدد عن عهد مولاي الحسن .

« وكانت تلك الأيام على ما فيها من الغزوات والحركات كلها خيرات ومبرات ، ولم يكدر صفوها إلا تسرب أقوام من التجار للمناصب السامية والمراتب العليا ، فارتفعت منزلتهم ، ونفذت كلمتهم ، وصار بيدهم الحل والعقد ، والأخذ والرد ، ولكنهم لسوء تصرفهم أوقعوا بالدولة الوقعة الأخيرة وأصابوها بالأزمة الخطيرة» 34 .

وقد رأينا سابقا أن التجار الكبار كانوا أكثر الأعيان تعاطيا للحماية القنصلية ، ودخل بعضهم فيها من أجل حماية المصالح والثروات ، سواء عن طواعية واختيار ، أو حينما اضطروا إلى ذلك بعد تهديد مصالحهم من طرف محميين آخرين ومجنسين ومخالطين .

34 – محمد بوجندار **الاغتباط** ، مرجع سابق ، ص 297 .

الفصل السادس عشر
أعيان الرباط والفئات الأخرى

1 - الأعيان والعامة

قدمنا في أحد الفصول الأولى أن المجتمع الرباطي ، كان يتألف في القرن الماضي من أغلبية من الحرفيين ، فقد كون هؤلاء الكتلة العريضة من السكان ، والقسم المهم من العامة ، وأشرنا إلى نموذج من أسر الصناع ، فعرفنا أن مستواها المادي كان يتيح لها العيش الكريم في القرن التاسع عشر قبل أزمة الصناعة التي نشأت نتيجة التسرب الأوربي بمختلف مظاهره . فكان بوسع الصانع أو الحرفي أن يمتلك دار سكناه. وتشير وثيقة خاصة الى أن أحد الحرفيين وهو محمد بن الحاج عبد القادر بوجندار المتوفى في 20 رجب 1277 / يبراير 1861 كان حجاما [1] ومالك لمنزل سكنه المقوم في تلك السنة ب 1000 مثقال ، مما يدل على المستوى المادي الذي كانت عليه فئة أهل الحرف والصنائع ، ولكن لا ينبغي التعميم إذ كانت العامة متركبة من عناصر أخرى فقيرة .

تدل عدة إشارات في الوثائق المحلية ، أن المجتمع الرباطي بصفة خاصة ومن خلاله المجتمع المغربي بصفة عامة لم يتميز بتلك الفوارق التي من شأنها أن تقيم حدودا طبقية ، فبسبب البيئة الاجتماعية والدين الاسلامي كان التكافل والتراحم يسودان بين الفئات الغنية والفئات الفقيرة وخصوصا قبل استفحال التدخل الأوربي في المجتمع المغربي.

ولكن منذ عهد الانفتاح التجاري وما سببه التسرب الأجنبي من اختلال في التوازن الاجتماعي بدأت الأمور تتغير ، وأصبحت الفئات تتوضح معالمها بين طبقة تجارية غنية تتنافس على الربح التجاري وعلى العقار وتستغل أوقات الأزمات ، وبين طبقة من متواضعي الحال الذين حرموا من عقاراتهم أو من نشاطهم نتيجة بيعهم لدورهم أوقات الشدة أو تدهور حرفهم بسبب منافسة المنتجات الأجنبية.

إن لفظة «العامة» تتضمن عدة معان حسب التصور الذي كان سائدا في مجتمع ذلك الوقت . فعندما كان المخزن يخاطب العامة أو

---

1 - وثيقة خاصة ، وثائق أسرة بوجندار ، هذه الوثيقة عبارة عن تصريح بوفاة وإمضاء تركة .

يتحدث عنها فإنه كان يخاطب الفئة الفقيرة من السكان ، ولكن لا يخلو تصوره لها من معنى «سوقي» ومن صفة «الغوغائية» 2 ومن معنى الفقر والحاجة أيضا ، على الرغم من أن العامة لم تعش كلها في هذا الفقر المادي . وتضمنت لفظة العامة على الخصوص معنى الفقر المعنوي ، لذلك فإن المخزن كان يعتبرها محتاجة الى العناية والرعاية الاجتماعية، فقد تضمن هذا الفقر المادي الفقر الديني والفقر الثقافي واللاوعي ، وباختصار : الجهل . ولكن لابد من التفريق بين جهل أهل الحواضر وجهل أهل البوادي فقد دلت بعض الإشارات على شدة هذا الجهل لدى عامة أهل القبائل ، وقدم الناصري عدة نماذج من ذلك ، بينما وصف الكتاب الأوربيون الحضريين بكونهم أقل جهلا فأشاروا على سبيل المثال إلى إقبال العوام في الرباط عى التداوي لدى الأطباء الأوربيين 3 كما نوهوا بذكاء أهل الحرف ومهارتهم ، بل إن الوكيل القنصلي نارسيس كوط Narcisse Cotte ذكر أن أحد مخازنية القائد السويسي كان يتحدث معه في السياسة وفي حرب روسيا مع الأتراك 4 .

ولكن كان هناك قسم من العامة أفقر وأجهل ، فالإدراك الناقص للأمور تميزت به العامة ، ولأجل ذلك لابد من توجيه وتأطير . وكان الأعيان طبعا هم الذين يتكلفون بهذا التوجيه والإرشاد ، فكان العلماء يتكلفون بتنوير عقول العامة في المساجد والزوايا . ويمكن القون إنهم لعبوا في هذا الميدان دورا من حيث إفهام الناس أمور دينهم ودنياهم .

وكان هناك تأطير آخر للعامة وهو تأطير الزوايا . ولكن الانخراط في الزوايا اكتسى طابعين مختلفين فهناك الزوايا المهذبة التي قامت بدور مهم في التربية الدينية والاجتماعية ، وقد رأينا أمثلة منها ، فكان الناس يجتمعون فيها لتلاوة القرآن وتخريج الأوراد وللاستماع إلى الأحاديث النبوية وحضور حفل ختم البخاري ... الخ ، وهناك نوع آخر

---

2 – في رسالة من السلطان المولى عبد الحفيظ إلى قائد سلا الحاج الطيب الصبيحي بخصوص اغتيال الطبيب موشان من طرف عامة مراكش ، يظهر أن نظرة المخزن للعامة هي نظرة إلى المشاغب الذي لا يفهم الأمور على حقيقتها ، وترتبط به صفات الرذيلة .

3 – ar. Vinc : 3h3 : rapport médical, 31 octobre 1881 rapport de Linarès

4 – NARCISSE Cotte : **Le Maroc contemporain**, Paris 1866, p. 105

من الزوايا السمجة التي تتعاطى للبدع والسحر كالطوائف الجيلانية والحمدوشية والعيساوية التي كانت تعمق جهل العامة وتزيدها بعدا عن الصواب.

وجائز أن نقول إن نظرة الأعيان للعامة كانت مماثلة لرأي المخزن فيها أي نظرة من يرى الآخر مستحقا للإحسان والرعاية ، فعندما كان السلطان يحل بالرباط كان يأمر بتفريق الأموال على الفقراء وطلبة العلم وأصحاب الوظائف الدينية كما كان المخزن يخصص الإعانات للضريرين والمعوزين والأرامل واليتامى ، وربما نفذ دورا حبسية لهم .

وهذا الموقف هو الذي اتخذه الأعيان ، ولا ننسى أن أسر العامة كانت في كثير من الأحيان ذات قرابة دموية معهم إلى حد ما فابن عم التاجر الكبير كان حرفيا متواضعا ، وقريبه كان حمالا أو دلالا أو حمارا أو زطاطا أو ربما لاشغل له وتدل بعض الوثائق الخاصة على مؤازرة أسرة العين لأسرة العامي ، وعلى أن أعيانا أوصوا بحصة من أموالهم لأقربائهم الفقراء فقد أوصى الفقيه أحمد بن قاسم جسوس بحصة من أمواله لابناء أخيه الفقراء يأخذونها بعد وفاته [5] . وكان الأعيان لا يبخلون بالتكفل بطفل أحد أقربائهم وتربيته ، وهذه حالة أحمد الزعيمي الذي تكفل ببنت من آهاليه ذوي الحال المتواضع ، ولما بلغت رشدها زوجها لأحد الشرفاء [6] .

وعينت بيوتات من الأعيان جزءا من أموالها للصدقات ولأعمال البر والإحسان . فقد كان التاجر محمد فرج يخصص مقدارا من المال لتوزيعه على الضعفاء يوزع على يد القاضي والناظر والمحتسب [7] .

وكانت عائلات الأعيان تنظم أيضا مناسبات دينية في الغالب لإعانة المحتاجين . ففي ليلة النصف من شعبان 1323 وهو يوم صيام

5 – محمد بن علي دينية : **مجالس الانبساط** ، ص 306 .
6 – وثائق خاصة : وثائق الزعيمي .
7 – كناش فرج رقمه 789 ص 104 . خ.م.

حسب السنة أحيت أسرة التاجر محمد فرج الليلة في الزاوية التهامية حضرها الفقراء حيث أطعموا الطعام، وقد صرفت ثلاثة ريالات 8 وفي مرة أخرى وزعت المال على الفقراء الذين أتوا لقراءة اللطيف في ثلاثة أضرحة هي ضريح مولاي ابراهيم، وضريح مولاي المكي وضريح سيدي الحسن، وانفقت تسعة ريالات وثلاثة بلايين على ذلك في 19 رجب 1325 9 – وفي 19 ربيع الأول 1327 كلف آل فرج شخصا يدعى علي مرسيل بتوزيع الصدقة في الزاوية الناصرية 10 .

وكانت المناسبات العائلية من أعراس وعقائق ومآتم مثلا فرصا للإحسان الى الفقراء، وهذه التقاليد التي مازالت سارية المفعول تمثل نوعا من التوازن الاجتماعي كان سائدا في القرن الماضي لكنه لا ينفي ثبوت تفاوت فئوي كان الأعيان لا يراعون فيه سوى مصالحهم عندما تتهيأ الفرصة.

ومن ضمن صور الإحسان إلى العامة أنهم ساعدوا بعض الأشخاص للحصول على موارد لعيشهم إما عن طريق توظيفهم في بعض الأسلاك المخزنية البسيطة وإما عن طريق منحهم على سبيل القرض رؤوس أموال صغيرة لاستثمارها في التجارة.

فعن الحالة الأولى قصد محمد الموساوي وهو من عامة الرباط العباس بن عبد القادر الفاسي كاتب الصدارة للحصول على وظيفة مخزني في مسقط رأسه الرباط فأرسل الكاتب إلى القائد محمد السويسي يطلب منه استخدامه قائلا : « ... وبعد فإن حامله السيد محمد الموساوي الرباطي المخزني طلب منا الكتابة لك في شأنه لتستخدمه معك في جملة المخازنية فساعدناه. وعليه فإن كانت فيه أهلية فذلك لابأس به في مساعدته، وتحقيق أمله. وعلى المحبة والسلام في 12 ربيع الثاني 1316» 11 .

---

8 – أيضا ص 106 .

9 – كذلك ص 106.

10 – كذلك ص 110 .

11 – وثائق السويسي وثائق خاصة .

أما عن الحالة الثانية فقد عمر آل فرج حانوتا في زنقة القنصل الألماني لفائدة شخص يدعى الصغيور العوفير ، واستفاد من النصف من الأرباح [12] .

وهكذا نرى بأن علاقة الأعيان بالعامة في الظاهر كانت علاقة المحسن إلى المحتاج . ولا تشير الوثائق إلى حالات نزاع نشب بين الطرفين ، ولا يظهر أن ذلك وقع في مدن أخرى ، فالنزاع الذي لنا أمثلة عنه كان ينشب بين العامة وأحد ممثلي السلطة باعتباره من المخزن لا باعتباره من الأعيان . وهذا ما حدث قديما في قضية عشعاش في عهد المولى سليمان ، وما حدث بفاس في قضية بنيس في عهد المولى الحسن ، ولا يظهر أن مثل هذه الحالة تكررت في الرباط خلال القرن الماضي حسبما جادت به الوثائق .

2 – أعيان الرباط وأعيان بعض المدن المهمة :

الغاية من هذا العنوان بيان أوجه التشابه ونقط الإختلاف بين أعيان الرباط وأعيان مدن كان لها القسط الأوفر في صنع تاريخ المغرب خلال القرن الماضي . ولعل هذه المقارنة تزيد من تحديد وضعية أعيان الرباط في المكان الحقيقي لهم . لكن قد تكون هذه المقارنة خالية من العمق إذا اعتبرنا أن تحديد أعيان المدن الأخرى وفهم أدوارهم وحصر أصنافهم لمما يتطلب دراسة تماثل هذه الدراسة عن أعيان الرباط . غير أنه يجوز القول إن فاس وتطوان وهما المدينتان المراد عقد مقارنة أعيانهما بأعيان الرباط تحظيان بما يعرف بهما وبأعيانهما بصفة تكفي لإجرائها .

وقد يقال : لماذا فاس وتطوان دون غيرهما ؟ ويمكن أن نجيب بأن الدافع إلى ذلك هو توفر بعض المؤلفات والمخطوطات عن فاس مثل كتابات لوتورنو Le Tourneau وكتب تراجم أعيانها [13] ، ووجود كتاب ضخم عن تطوان هو **تاريخ تطوان** لمحمد داود ، زيادة على ما

---

12 – كناش 800 ص 31 .

13 – مخطوطات عن فاس ، مخطوط السلمي ، بلحاج ، وغيرهما .

يبدو من مظاهر مبدئية للتشابه بين المدن الثلاث ذات الأصل الأندلسي لقدامى سكانها وكونها مدنا حضرية أمدت حسبما تقوله الوثائق بعدد من موظفى المخزن وبأمهر تجار البلاد ، ويمكن لهذا التشابه أن يشمل مدنا أخرى مثل سلا ، ولكن نقتصر على المدن السالفة ، لأن ما قيل عن الرباط يمكن أن ينطبق على جارتها سلا بسبب الموقع الجغرافي ووحدة تاريخها على الرغم مما كان بينهما من تنافر لم تسنح الفرصة للإشارة إليه سابقا .

1.2 – أعيان فاس وأعيان الرباط

تمكننا المخطوطات والمطبوعات الحجرية عن فاس ، إضافة إلى كتابات لوتورنو وغيره ، من أخذ نظرة عن تشكيلة المجتمع الفاسي خلال القرن الماضي [14] .

ونلاحظ أن فاس زودت المخزن بكبار الموظفين في المالية والإدارة ونبغ منها أكبر عدد من التجار الحاذقين والأمناء إضافة إلى ما عرف عنها من دور علمي بفضل القرويين جعل علماءها كبار أساتذة المغرب وقضاته وفقهائه ، ولم يقتصر مجال وجود أعيان فاس على مدينتهم إذ تفرقوا في شتى أنحاء البلاد وخارجها ، واستوطنت جماعة من التجار الفاسيين الشرق ومصر على الخصوص [15] كما يشير أندري ريمون André Raymond ، والسودان زيادة على بعض الموانئ الأوربية . فنقطة الشبه الأولى أن الرباط وفاس مسقطا رأس الكثير من موظفي المالية والديوانة وأمناء المراسي والمستفاد وكذلك رجال القضاء ، ولذلك نجد أسماء البيوتات الفاسية والرباطية والتطوانية والسلاوية في كل موانئ البلاد والمدن الداخلية .

ونقطة الشبه الثانية تهم التجار ، فإذا كانت أسر تجارية فاسية مثل بناني وبنشقرون وبرادة والتازي ولحلو وغيرها قد اشتهرت في كافة البلاد ، فإن أسرا مثل فرج والعوفير والأزرق والباشا لم تكن أدنى

---

14 – قام نورمان سيگار NORMAN CIGAR بدراسة المجتمع الفاسي ولكن خلال القرن الثامن عشر في هسبريس تمودا 79/1978 ص 93 إلى ص 168

15 – ANDRE RAYMOND: Artisans et commerçants au Caire au 18e siècle, Damas, 1973

منها شهرة وتجارة . زد على ذلك أن هناك أسرا فاسية استوطنت الرباط نهائيا واشتغلت بالتجارة فأصبحت رباطية موطنا وقرارا.

ربما كان العلماء والتجار بفاس الصنف المهم من أعيانها في تشكيلة المجتمع الفاسي خلال القرن الماضي . أما رجال السلطة بها فلم يكونوا في غالب الأحيان خلال الفترة المدروسة من الأسر الفاسية بأكملهم وإنما من الأسر التي عملت مع المخزن في العاصمة أمثال البخاريين أولاد امبارك وغيرهم من المنتمين لقبائل الگيش مثل أولاد أبا محمد وخاصة من الوصفان . ويقول لوتورنو Le Tourneau إن المخزن لم يكن يختار عامل فاس من الفاسيين بل كان يعين على رأس المدينة بدويا فظا له خبرة في الجيش أو في القبائل ، وفي سنة 1890 كان العامل بفاس من قبيلة بالغرب سماها المؤلف بغاددة وكان خلفه من أصل ريفي [16] . ولكن كبار موظفي المدينة الآخرين غالبا ما كانوا من الأسر الفاسية مثل أمين الأمناء ، والقاضي والمحتسب والناظر ففي بداية القرن العشرين كان محتسب فاس من عائلة التازي [17] .

ولكي نتمكن من إجراء مقارنة دقيقة ، ربما كان الرجوع إلى كتب التراجم افيد في هذا المضمار . ومن حسن الحظ أن هناك نموذجين يمكن الإعتماد عليهما ، الأول هو سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني ، وهو كتاب طبع على المطبعة الحجرية في بداية القرن الحالي، أما الثاني فهو مخطوط الاغتباط بتراجم أعلام الرباط لمحمد بوجندار ، وقد اعتمدنا عليه مرارا متعددة كما يظهر في الهوامش . ويمكن القول إن العناصر الغالبة في أعيان فاس ، انطلاقا من كتاب سلوة الأنفاس ،

---

16 – Le Tourneau : La vie quotidienne à Fès. Casablanca, 1947 p 44.
لوتورنو يقصد البغاددة من ذرية بوشتى بن البغدادي الجامعي الذي كان سنة 1880 عاملا حتى توفي سنة 1893 وهوليس من الغرب ولكن من أولاد جامع جوار فاس . وقد خلفه مباشرة علي بن الجيلالي الراشدي . أما الخليفة الريفي فهو عبد الرحمان بن عبد الصادق الريفي وقد أصبح سنة 1902 عاملا على فاس أيضا . أنظر مصطفى بوشعراء **الإستيطان** ج 3 صفحات 1146 - 1147 و 1148 .

17 – المرجع نفسه
كان عبد الله بن خضراء السلاوي أحد قضاة فاس الثلاثة في أوائل القرن العشرين.

هو العلم والشرف أو الصلاح والتصوف والجذب ، وقد تجتمع كل هذه الصفات في شخص واحد وعلى كل جعل الكتاني هذه الصفات مقياسا لمن يستحق الذكر من الأعيان ، وقد نجد الشروط نفسها عند بوجندار وربما اتفق الرجلان في تنحية التجار من لوائح الأعيان وخاصة المحميين منهم ولكن نجد فروقا بين أعيان المدينتين ، فأعيان الكتاني أغلبهم من الشرفاء والصلحاء الذين ظلوا موجودين إلى بداية القرن الحالي حيث حكى المؤلف ما روي عنهم من مناقب وكرامات .

وقيمة هذا التصنيف تظهر في أهمية وظائف المدينة ودورها في تشكيل أنواع خاصة من الأعيان بها . وذلك أن وجود ضريح مولاي إدريس الأزهر وأمهات الزوايا بفاس وكبريات العائلات الشريفة ، سواء المنتمية إلى الأدارسة أو الآتية من الشرق مثل العراقيين والصقليين ، هو ما يفسر تعدد الشرفاء بفاس واهتمام الكتاني بهم إضافة إلى أنه ينتمي إليهم هو بالذات .

كما أن أهمية علماء فاس التي أبرزها الكتاني راجعة إلى كون المدينة موطن جامعة القرويين ، لذلك كان عددهم غزيرا في تراجمه ، بينما كان الشرفاء والعلماء في الرباط أقل عددا من فاس من جهة أولى وكان علماء الرباط أقل رتبة من علماء فاس من جهة ثانية إذ غلبت عليهم ثقافة « العدول » عوض ثقافة كبار العلماء ، إلا في حالات قليلة ، وكان صلحاء الرباط أقل اتصافا بالجذب والكرامات وأدنى إغراقا في « علوم الحقيقة » .

وإذا ابتعدنا عن المؤلفين السابقين فإننا نجد دورا كبيرا للظروف الجغرافية في تشكيل عناصر خاصة من الأعيان كما أسلفنا الذكر في مناسبات سابقة ، إذ أن رؤساء البحر المرتبطين بوقوع الرباط على المحيط الأطلنتي كانوا أعيانا مرموقين لم يوجد أشباههم بفاس ، التي وجد بها الرماة مثلا .

أما من حيث التكوين العرقي فإن سكان المدينتين تشابهوا في وجود الجالية الأندلسية ، على الرغم من قدم سكناها بفاس وحداثة

حلولها بالرباط . لكن العادات والتقاليد الأندلسية كثيرة التماثل فيهما معا .

أما الجالية الثانية فهي الأسر التي انحدرت من أهل الذمة وأسلمت في قرون مختلفة ، ولنا أمثلة عن إسلام بعضها في القرن الماضي [18] وكانت بعض الأسر الفاسية والرباطية وبالتخصيص أسر الشرفاء تتحاشى المصاهرة مع أسر الإسلاميين.

ومن المهم الإشارة إلى أن الجاليتين الأندلسية وجالية الإسلاميين، ساهمتا بحظ وافر في تاريخ المدينتين ، إذ قدمتا أفضل العناصر النشيطة في الحياة العلمية والإقتصادية والإدارية ، وكذلك كان منهم المتصوفة ، فقد انصهروا انصهارا تاما في المجتمعات التي عاشوا فيها ، زيادة على بروز أعيان كبار منهم .

ومن أوجه تشابه أعيان المدينتين أيضا ، كون مسيري شؤون المدينة استمر اختيارهم من الأسر العريقة فيهما ، وطبق تقاليد إسلامية موروثة منذ القدم ، لهذا تبدو الصبغة الحضرية لجهازي الحسبة والنظارة وأمانة الحرف في كل من فاس والرباط حيث كان المحتسب والناظر والعريف أو أمين الحرفة يختارون من أعيان المدينة . وهذه التنظيمات المدنية شبيهة بما كان يوجد في المدن الإسلامية الشرقية .

ونظرا لوجود هيأة كبيرة من الحرفيين في المدينتين فإن أعيانهم كان لهم دور كبير في الأحداث السياسية لهما فما أشبه ثورة خرازي الرباط على عاملهم أشعاش في عهد المولى سليمان بثورة الدباغين بفاس على الأمين بنيس في عهد المولى الحسن ، ويكاد يظهر من خلال النصوص التاريخية أن تدبير هذين المتمرين كان من ورائه أعيان لهم نفوذ على قسم كبير من سكان الحاضرتين .

---

18 – Sebti Abdel-Ahad : Aristocratie citadine et discours savant au Maroc précoloniale, Thèse de doctorat du 3ème cycle. Université de Paris 7. 1984 p. 200. (Thèse dactylographiée)
وأيضا روايات شفوية .

2.2 – أعيان تطوان وأعيان الرباط

إذا كانت مدينة الرباط تختلف عن فاس في الموقع الجغرافي فإنها يجمعها مع تطوان وقوعهما على الساحل على الرغم من اختلاف المحيط الأطلنتي عن البحر المتوسط ، الذي تشرف عليه تطوان على بعد قليل . فقد كان لهذا الموقع المتشابه آثار متشابهة تاريخيا ، إذا استقبلت المدينتان خلال بداية القرن السابع عشر أفواج المهاجرين الموريسكيين ، وإن كانت تطوان قد عرفت هجرة الأندلسيين في عدة فترات قبل ذلك ، وبالتخصيص بعد سقوط غرناطة سنة 1492 . وعلى كل حال كان لهذه الهجرات نتائجها الديموغرافية والاجتماعية والحضارية في التقاليد والعادات اليومية للسكان ، وهذا ما لوحظ في فاس أيضا .

وكان لتاريخ الجهاد في تطوان (الذي قاده هؤلاء الموريسكيون في البحر منذ حلولهم وتأليفهم لجماعات مثل آل النقسيس الذين كونوا إحدى القوات السياسية التي وجدت في الفترة الفاصلة بين حكم السعديين وحكم العلويين) المظاهر ذاتها للتاريخ الجهادي للرباط عندما أسست « جمهوريات » أبي رقراق . وقد أوجد الجهاد البحري سواء في الرباط أو تطوان مجاهدين ظلت أسماؤهم تذكر إلى الثلث الأخير من القرن الماضي . فعقد بيعة السلطان مولاي الحسن ضم لائحة الأعيان المبايعين من مجاهدي البحر [19] .

لكن الاختلاف في هذا المضمار هو أن تطوان استقبلت بعد احتلال الجزائر 1830 عددا من المهاجرين الجزائريين كان منهم رؤساء للبحر الذين لعبوا دورا كبيرا في اقتناص عدد من السفن الأوربية وتفوقوا في الحقيقة على نظرائهم التطوانيين ، في حين استمر مدة طويلة صيت الرؤساء في الرباط كما أسلفنا الذكر . وعندما أحيى المولى عبد الرحمان سنة الجهاد سنة 1250 أمر باختبار ثلاثين من بحرية أهل تطوان ، وألحقهم بخدمة مركبين جهاديين للرئيسيين بريطل وبرگاش [20].

19 – محمد داود : **تاريخ تطوان** . ج 6 . ص 160 .
20 – أيضا ، ج 7. ص 21 .

ومن جهة ثانية إذا ألقينا نظرة على لوائح أمناء المراسي المغربية خلال الفترة المدروسة وجدنا أن التطوانيين منهم احتلوا رتبة مهمة من حيث العدد ، ضمن زملائهم الفاسيين والرباطيين والسلاويين .

لقد كان بروز الأمناء سواء في تطوان أو الرباط أو غيرهما من أهم سمات التغيير الإداري في القرن الماضي ، فأصبحوا شخصيات كلفهم المخزن بالتفاوض مع الأجانب ، وأسند إليهم المهام السياسية والدبلوماسية الخطيرة . ومن الأمثلة على ذلك مَحمد بن عبد الله الخطيب الذي تقلد أمور دار النيابة خلال القرن الماضي ، وعبد الكريم بن مَحمد بريشة التاجر والأمين والسفير وكلاهما تطواني زيادة على أن الأمناء التطوانيين كزملائهم الرباطيين والفاسيين اشتغل جلهم بالتجارة سواء قبل تقلدهم للمناصب المخزنية أو بعدها . فمن الأمثلة على ذلك كان مَحمد الخطيب تاجرا وقام بعدة عمليات تجارية في وهران وأوربا [21] قبل أن يتقلد منصبه كنائب للسلطان بطنجة .

ومن أهم أوجه التشابه بين أعيان المدينتين أن العمال والباشوات فيهما انتسبوا في الغالب إلى أسرهما الكبرى ، ومن جهة ثانية احتلت أسرة تطوانية واحدة منصب العمالة لمدة طويلة كما وقع في الرباط بالنسبة لأسرة السويسي ، فقد بقيت أسرة أشعاش في عمالة تطوان من عهد مولاي سليمان إلى سنة 1281 من الجد إلى الحفيد فبعد عبد الرحمان أشعاش ولي ابنه محمد سنة 1241 وبعد هذا الأخير خلفه حفيده عبد القادر سنة 1261 [22] .

وكان محتسبو المدن الثلاثة وقضاتها ونظارها من عائلاتها المحلية لا غير . والأمثلة كثيرة عند المؤرخ داود بالنسبة لتطوان [23] .

ومن أوجه التشابه أيضا أن بعض الأعيان استمرت فيهم الوظائف الكبرى بدون انقطاع ، بمعنى أن دورهم لم ينته بانتهاء مدة عملهم في وظيفة أولى تقلدوها . ومن الأمثلة على ذلك أن عبد الرحمان أشعاش الذي تولى قيادة الرباط في عهد مولاي سليمان عينه السلطان المولى

---

21 – كذلك، ج 8 . ص 289 .

22 – كذلك ج 6 . ص 56 . و ج 3 . ص 266 .

23 – كذلك ، ج 6 ص 160 .

عبد الرحمان أمينا بطنجة ، وبعد أن كان محمد السويسي عاملا على الرباط بعد أشعاش عينه نفس السلطان ناظرا بها .

وبعد أن كان عبد القادر أشعاش أمينا أصبح عاملا على تطوان ، ونفس الأمر حدث لكل من الأمينين الصديق بركاش وعبد الرحمان بركاش اللذين أصبحا عاملين .

ومن الخصائص التي جمعت بين أعيان المدينتين أيضا أن بعض فقهائهما وقضاتهما لم يكونوا محافظين إلى حد التزمت ، لذلك تعاطوا التجارة التي ندد بها في أواخر القرن الماضي فقهاء آخرون ، وقد رأينا أن القاضي أحمد بن المامون البلغيثي رد عليهم بالأحاديث والآيات القرآنية مفندا أقوالهم الجامدة . وهكذا تعاطى الفقيه أفيلال التطواني المتوفى سنة 1304 للتجارة مع أنه كان من رجال العلم والأدب، وقد تاجر سنة 1264 و 1267 و 1270 [24] كما تعاطى فقهاء تطوانيون آخرون للنشاط التجاري .

ومن أوجه التشابه أيضا أن من بين أعيان المدينتين مئات العدول، [25] ومنهم الكثير ممن تضلع في الفقه وأدرج في فئة الفقهاء والمفتين.

وهكذا نجد أن أعيان المدن الثلاثة تكونوا من نفس العناصر تقريبا باستثناء الأعيان ذوي الخصوصيات المتعلقة بكل مدينة على حدة ، بسبب الموقع الجغرافي أساسا ، وهكذا يمكن القول إن أعيان المدن الحضرية هم الذين برزوا بخصائص ميزتهم عن باقي العوام ، وكونوا النخبة التي جمعت بين أيديها السلطة والعلم والمال والتجارة . وهذه الشروط وجدت لدى عائلات محدودة ، وربما جمع بعض الأفراد منها كثيرا من هذه الامتيازات ، وقد رأينا أن مظاهر الاختلاف فرضت نفسها على الرغم من وجود عدة نقط للتشابه داخل فئة الأعيان في الرباط والملاحظة ذاتها تنطبق على فئة أعيان البلاد بكاملها .

---

24 – كذلك ، ج 7. ص 177 .
25 – المرجع نفسه . ص 242 .

خلاصة وخاتمة

كان من المناسب – للتعرف على أدوار الأعيان ولإعطاء الأمثلة عن حياتهم أو ممتلكاتهم أو علاقاتهم المختلفة – من البدء بدراسة جغرافية وتاريخية للمدينة التي عاشوا فيها خلال القرن الماضي . وقد أظهرت هذه الدراسة أن حاضرة الرباط اضطلعت بوظائف مختلفة ، وبينت الوثائق الأهمية الاقتصادية والاستراتيجية والعسكرية التي حظيت بها ، كما كان من الضروري التطرق إلى الدراسة السكانية لمعرفة أصناف السكان المحليين والمهاجرين ، القدامى منهم والطارئين ، زيادة على أهل الذمة والأجانب المستوطنين .

ولوضع فئة الأعيان في مكانها اللائق كان لابد من القيام بمحاولة الإلمام بالفئات الاجتماعية المختلفة والمتساكنة في المدينة وظروف عيشها ، ولأجل ذلك أيضا كان من اللازم محاولة الإطلاع على التقسيم المورفولوجي للمدينة في الفترة المدروسة .

أما الدراسة الخاصة بالأعيان وهي قلب الموضوع فقد أظهرت وجود صنف من الأعيان في النصف الأول من القرن المدروس ، يعد استمرارا لفئة وجدت في المدينة منذ الهجرات الأندلسية ، وهي فئة رؤساء البحر . لكن سرعان ما انتهى درور هذا الصنف في أواخر عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام وحل فيها أعيان آخرون في الوقت نفسه عندما نقل السلطان جيش الأودايا إلى القصبة التي سميت باسمهم والتي احتضنت رؤساءهم الذين أصبحوا في المدينة من الشخصيات اللامعة وضمن تشكيلة أعيانها . وفي عهد السلطان المذكور كان الاستئناف التجاري الناتج عن انفتاح المغرب على أوربا قد جعل طبقة التجار تغتني وتتقرب من السلطة ، فأصبحت تكون فئة جديدة من الأعيان ، وجدتها ليست نابعة من طبيعة أفرادها كتجار ، وإنما من الحظوة وثوارت الثروة واقتناء الممتلكات ، وهي مكاسب ازدادت في النصف الثاني من القرن .

ومن أهم أعيان المدينة كبار موظفيها الذين انتموا إلى عائلات عريقة بالمدينة نفسها ، سيطرت على السلطة لمدة طويلة ، سواء كانوا

عمالا أو قضاة أو محتسبين أو نظارا ، كما أظهرت ذلك جداولهم التي احتوت على أسماء من تقلد منهم هذه الوظائف في العهد السالف أي خلال القرن الثامن عشر أو في العهد المدروس (القرن التاسع عشر) ، وقد ظهر في الفصل السابع نوع من التغير في طبيعة أعيان السلطة ، وخاصة العمال الذين لم يعودوا يأتون من القبائل أو من المدن الأخرى ، وإنما من داخل المدينة نفسها بل ومن أسر محدودة ، وذلك راجع الى العلاقات الجديدة التي ربطت بين السكان وسلاطين الفترة . وبتتبع أحداث المدينة أمكن التعرف على ما كان لأعيانها أيام السلطان المولى عبد الرحمان من يد في الانتفاضات الحضرية ، وكذلك على مواقف بعضهم من الأجانب ، وخاصة القناصل الممثلين لدولهم فيها .

وفي النصف الثاني من القرن ازدادت بعض المظاهر المرتبطة بالأعيان المذكورين ترسخا ، مثل استمرار العائلات الرباطية في السلطة بالمدينة ، واحتكار بعضها وظائف خاصة دون غيرها ، فانفرد آل السويسي بالعمالة مدة طويلة ، ووليت أسرة غنام النظارة عدة عقود على سبيل المثال .

وبإقامة جداول خاصة بأعيان السلطة أمكن الإلمام بمدى تكرار الأسماء العائلية نفسها في مختلف المناصب الكبرى ، كما أمكن عقد مقارنات مفيدة بين خصائصها في النصف الأول من القرن وخصائصها في النصف الثاني منه .

ومن الأعيان صنف العلماء الذين تحدثت عنهم بعض كتب التراجم المحلية أكثر من غيرهم ، وبينت نماذج منهم مدى مكانة بعضهم وموقفهم من المخزن ، وموقف المخزن منهم ، وإلى جانبهم برز عدد من الأشراف والمرابطين تمتعوا بنفوذ داخل المدينة ، وكانوا من جملة أعيانها .

وإذا كان وجهاء الأودايا قد بدأوا يقومون بدورهم في النصف الأول من القرن ، فإن هذا الدور ازداد في النصف الثاني منه كما يتبين في الفصل الحادي عشر ، ويتجلى ذلك في اقتسامهم نفوذ منطقة الرباط

مع عـاملهـا ، وفي دور التـهدئة الذي قـامـوا به فـي القـبـائل المجـاورة للمدينة وفي حراسة الطرق المؤدية إليها .

ومن جـهـة ثانيـة برز نوع جـديد من الأعـيـان وهـم الأمنـاء ، وهو صنف أتت جدته من تعدد أفراده في الرباط كمـا في مدن كبرى أخرى في البـلاد كـمـا صـدرت هذه الجـدة من تكوين الأمنـاء لفـئـة غنيـة من العـائلات العـريقـة إضـافـة إلى أنهم - بحكم وظيفـتـهم- من ذوي الحل والعقد داخل مدينتهم وفي كثير من الأحيان خارجها . ولاحظنا التصاق الأمناء بـالتـجـار الكبـار فـقـد عين المخـزن عـددا من هؤلاء التـجـار الرباطيين في وظيفة الأمانة بمختلف أشكالها ، وفي النصف الثاني من القـرن برز التجـار الكبار أنفسهم في هـاته الحـاضرة بثـرواتهم ، ويبين الفصل الثاني عشر تزايد أهمية هؤلاء التـجار ، وتظهـر فـيه أمـثلة من العـائلات التـجـارية الرباطيـة الكبـرى انطلاقـا من وثائقـهـا وأوراقـهـا وكنانيشها الخاصة .

وبمـا أن الرباط تخـرج منهـا عـدد مهم مـن موظفي المخـزن الكبـار الذين عملوا خـارج مدينتهم من قـضـاة وأمنـاء وسفراء ووزراء فقد أمكن إفراد فصل خـاص بهؤلاء الأعيان خارج الحاضرة المذكورة .

وفي الفـصل الرابع عـشر وقـفنا على مـواقف أعـيـان الرباط من التسرب الأوربي من منتصف القرن إلى حلول الحمايـة ، وقد تناول هذا الفصل الحديث عن وضعية السكان الأجـانب في المدينة ، ومدى أهمـية المستوطنة الأوربية بها ، كما نص على أسمـاء عدد من أعيان المحميين وقدم أمثلة عن تصرفاتهم ، وتقرب بعض أفراد عائلات السلطة من الأجانب .

وتنـاول البـاب الأخـير دراسة سوسيولـوجية لفئة الأعيـان ، فـاهتم الفـصل الأول منه بـالعناصـر التي اشتـركـوا فيـهـا وبمحـاولـة استـخـراج المقـومات التي توحدهم وتجعل منهم صنفـا له طبيـعة واحدة ولكن هذا الفـصل اهتم أيضـا بعنـاصـر الاختـلاف التي أظهرت وجـود تفـاوت كبير في مستويات هذه الفئة وفي طبائعها وميولها وثقافتها وممكناتها .

واهتم الفـصل الأخـير بدراسـة نقطـتين ، الأولى تخـتص بعـلاقـة

الأعيان مع العامة الرباطية في محاولة لرصد مدى التنافر أو الانسجام بين الطائفتين .

أما النقطة الأخيرة فقد بينا فيها أوجه التشابه بين أعيان الرباط وأعيان مدينتين كان لهما عدة مظاهر مشتركة مع مدينتنا ، وهما فاس وتطوان وذلك في محاولة لحصر خصوصية الأعيان الرباطيين .

وهكذا تبين من هذه الدراسة أن فئة الأعيان انحصرت في بيوتات ظلت أسماؤها مترددة في الحقيقة منذ الهجرات الأندلسية ، وقد ضمت عائلات ذات أصل أندلسي وأخرى من أصل محلي ، فتقلدت أهم الوظائف وبرز منها كبار الأغنياء بالتجارة والممتلكات ، وظهر فيها العلماء أي كل من لهم رأسمال مادي ورأسمال رمزي . غير أن بعض الأصناف من فئة الأعيان أمثال التجار والأمناء وعائلات السلطة بدأت منذ القرن التاسع عشر تتميز بتلك الصبغة البورجوازية التي تقوت بعد الحماية ، فكان منها كبار الملاك سواء داخل المدينة أو خارجها ومكنتهم التجارة من اكتساب عادات وأذواق وميولات مقتبسة من أوربا، وأصبح بعضهم يمتلك في ضواحي الرباط أراضي فلاحية شاسعة، وكانت الحمايات القنصلية خلال الفترة المدروسة من أهم وسائل الحفاظ على الثروات والمكتسبات التي استمرت بعد حلول الحماية سنة 1912 . وهذه الفئة هي التي عمل الفرنسيون على تقريب بعض أفرادها منهم عن طريق تعيين أعضاء المجلس البلدي الذي كانت الرباط أول مدينة خضعت لتنظيمه عندما أصبحت أولى البلديات في البلاد مع فاس ، كما أن هذه الفئة هي التي غشى أطفالها مدارس أبناء الأعيان فدرسوا اللغة الفرنسية ، وسافر بعضهم بعد ذلك إلى أوربا وخاصة فرنسا لاستكمال دراسته . وهم الذين كونوا الفئة التي برز منها الكثير من رواد الحركة الوطنية .

ويمكن القول أخيرا إن أغلبية العائلات التي تكرر ذكرها في هذا البحث ما زالت بارزة الأدوار إلى يومنا هذا ، بل هي من أهم عناصر البورجوازية الرباطية .

الملاحق

أولا : الوثائق

1

ادام الله العز والنصر والتمكين ، والظفر والتأييد والفتح المبين لمولانا الامام سيدنا أمير المؤمنين ، ابن مولانا أمير المؤمنين

السلام التام ورحمة الله على مقام مولانها المؤيد الغالب بالله

أما بعد ، فليكن في شريف علم مولانا المنصور بالله أنه ورد علينا أمره الشريف أسماه الله أن نخيط مناصر للنساء مثل العدد الذي وجهنا لحضرة سيدنا العلية بالله ، فامتثلنا ففصلنا أربعمائة منصورية من المركان الخام يخلط نصفها بالحرير ونصفها بالفليرة ، أمين سلا يقف على النصف ، وأمين الرباط يقف على النصف ،

وأمس تاريخه كتب لنا خديم سيدنا العباس الزموري نفولة مضمنها : « اجعلوا للنجل الأسعد ، مولانا أحمد قبتين : إحداهما ثمان عشرة خرطة ، والثانية من ستة وثلاثين خرطة و وخزائن ثلاثة طراحية». وقد شرعنا في خياطتها يوم التاريخ ترد علينا منه نفايل مقضيات نهوض مولانا أحمد .

نسأل من مولانا صالح دعاه ، متعنا الله برضاه آمين والسلام،

في 9 من قعدة الحرام عام 1253 .

خدام سيدنا وأمناؤه :

محمد السويسي

والحاج عبد الرحمان مدينة

والحاج العربي معنين

والحاج محمد فرج

وفقهم الله بمنه آمين

الأصل من محفظة 14. خ.م.

2

طابع السلطان المولى عبد الرحمان

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي

وفقك الله والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد وصلنا كتابك مخبرا بأن أهل الرباط عينوا الرايص عاشور للسفر مع من تعين من أهل العدوتين ليتعلم أمور الجهاد صحبة «الأسكونة» التي أمرنا بسفرها ، فتمارض لأن العلم الذي عنده إنما هو بالقول دون الفعل ، ولم يتقدم له سفر في البحر ، فأخروه ووجهوا الحاج أحمد والحاج وتوجه في «الأسكونة» على كبر سنه

وتكلمتم معه ومع الرايص بريطل بما أردناه من سفر المعنيين من العدوتين من تعلم أمور الجهاد فأجبنا بأن ذلك لا يحصل إلا في مركب قرصان .

وقد اختبرا مركب برگاش فألفياه قريبا للإصلاح في أيام قلائل ، ويكفيه من البحرية والطبجية أربعون ، ووافقهم ذلك على أمرنا الشريف، فقد أذنا في ذلك ، وليس فيه إلا الخير .

وها نحن كتبنا لخديمنا السويسي بأن يوجه الرايس بريطل لحضرتنا العالية بالله ، ويصحب معه الإقامة التي يحتاج إليها في سفره ، وتشافهه بما أشرتم به وتوجهه ، وأمرنا بتوجيه العشرين من البحرية والستة من الطبجية وتكلموا ثم ما بقي للأربعين من أهل طنجة والعرائش .

فبوصول كتابنا هذا إليك أسرع في مباشرة المركب المذكور ، وبوصول البحرية والطبجية إليكم رتبوا لهم المونة المعلومة ، واشرع في تهيئة الكومنية التي تكفي المسافرين في المركب بحيث إذا أقدم الرايص بريطل يجدها ميسرة أو على وجود والسلام .

في 5 جمادى الأولى عام 1257 .

<u>الأصل من محفظة 7. خ.م.</u>

3

طابع السلطان المولى عبد الرحمان

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد فقد عينا المركب الجهادي المعروف «الأسكونة» التي رئيسها الحاج أحمد والحاج للتقرصين بكوشطة الريف على من يسق من مراسيه شيئا سرقة ، إذ ذلك كله على وجه الكنطربنض .

وقد قدمنا لك الأمر بعدم كرائها ، إذا قدمت ، فزدها أربعة طبجية وثمانية بحرية بمكاحلهم من العرائش وأصيلة وطنجة ، يصير ما فيها واحد وعشرون بالرايس وكمانية شهر .

أمرنا الشامي بتوجيه ثلاثة قناطير وربع كسكس مع ربع خليع وخابية زيتون ونصف حمل بين خالص وأرز مع كمانية قرصان بريطل، وأمرنا أشعاش بتوجيه خمسة قناطير غير ربع بشماط مع قفة عطر أيضا يصحب ذلك كمانية قرصان بريطل .

فادفع له من هناك من كل واحد من الخل والزيت والسمن وربع قنطار ، وبدل الزيتون لحم البقر على قياس هذا . وعند العزم ادفع القدائد للأحد والعشرين الذين به عشرة ريال لكل واحد ، والزيادة لأصحاب المراتب : فللرئيس خمسين مثقال ، ولباش رايس عشرين مثقالا ، ولكل واحد من أليكانجي وباش طبجي ورايس عسه عشرة مثاقيل . وقد أمرنا خديمنا أشعاش أن يحد له الكمانية عند رأس كل شهر إن تيسر دخوله لمرسى تطوان ، وإن لم يتيسر دخوله لها قم بتجديده له مرسى طنجة والعرائش إن دخل لأحدهما على ما قدرنا له ، ومهما جددت لهم الكمانية فزدهم من الكسكس خمسة قناطير غير مربع، والسلام.

في 21 جمادى الأولى عام 1257 .

الأصل من محفظة 7. خ.م.

4

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد

خدامنا أهل الرباط ،

وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله تعالى ،

وبعد ، كنا عفونا عما فرط من سفهائكم العفو الجميل ، واعتقدنا عدم مواخدتكم بالقليل منه والجليل ، ظنا منا أن العفو يكسبهم صلاحا ، ويزيدهم بصيرة في الطاعة وفلاحا ، فيسلكون السبيل الأقوم ، ويصلحون ما يأتي بما تقدم ، فلم ننشب أن بلغنا عودهم للتحزب على الفساد، وكثرة الاجتماع على الغي والعتاد ، وأنهم يفعلون ويفعلون ، ولما نهوا عنه يرجعون ، ورفع إلينا ذلك صلحاؤهم متبرئين ، من قبح أفعالهم متنصلين ، بما شاهدوا من أحوالهم ، فرأينا الإغضاء عن ذلك يثير فتنة أطم ، ويجر إلى ما هو أعظم ، وإن نقض العهد منهم أتى ، وجر الوبال لأنفسهم منهم تأتى ، فأمرنا بالقبض على أعيان فسادهم سدا للذريعة ، واتباعا لما حكمت به الشريعة ، ليسكن المساكين تحت ظلال الأمن والعافية ، ويظفر الضعفاء بالأماني الوافية ، ويعلم المفسدون أن العقاب بالمرصاد ، وأن من عصا يقومه الأدب المعتاد ، وقد ولينا عليكم خديمنا الأمين الحاج عبد اللطيف فرج ، وأسندنا إليه أموركم الخاصة والعامة وبسطنا لديه التصرف عليكم ، فاسمعوا له وأطيعوا في جميع ما يأمركم به من أمور خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، آمين . ومن حاد عن نهج الصلاح فلا يلومن إلا نفسه ولا يضر إلا رأسه .

ظهير رحماني أورده محمد بن الحسن الحجوي في مخطوطه **اختصار الابتسام** ، خ.م. رقم 114، ص 426 ، غير مؤرخ.

5

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

وبعد فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من وظائف العمال، وآكد ما كلفوا به من الأعمال . قال سبحانه : « الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور» .

وقد بلغنا شيوع الفساد ببلدكم رباط الفتح ، وأعظمها التجاهر بشرب أم الخبائث ، واجتماع أهل الفساد عليها ، وظهور ما ينشأ عنها من الفتنة بالقتل والجراح والتعرض في الطرق . ومن شرب الخمر أتى كل معصية ، وارتكب كل جريمة ، لأنها أم كل خبيثة .

فبوصول كتابنا هذا إليك قم على ساق الجد في تغيير هذا المنكر بالبحث عن مدمن الخمر ، وإراقته ، وكسر أوانيه ، وعقاب من وجد ذلك عنده ، وإقامة الشرع على من أوتي به سكرانا ، وإن علمت أن ذلك يخرج من عند أهل الذمة فتشدد في منعه ومن ظهر عليه منهم يزجر بالقبض والذعيرة حتى تحسم هذه المادة . وهذا إنما ينشأ من التساهل في اجتماع الأحداث والتعامي عما يصدر منهم في بعض الأوقات فاشدد وطأتك على أهل الفساد ، وشردهم من خلقهم وكل من ظهر عليه أدنى شيء نكل به لتلزم العامة حدها وتهاب سطوتك . فإن الصلابه في الدين، والشدة على المفسدين من شأن عمال الخير وولاة العدل ، ليعيش أهل الدين والضعفاء في راحة وسكينة . وافتتاح الأمر بالشدة على أهل الجرائم والتنكيل بهم موجب لسكون الخوف والرهبة في القلوب ، ومنجح للسعي فيما يوصل الى المطلوب . وقد قال عمر رضي الله عنه في وصيته : «يصلح لهذا الأمر الشديد في غير عنف ، ولين في غير ضعف » فإنك طالب علم ، تغار لله ولدينه ، فلا تنتهك حرماته، وقد قلدناك ووليناك لتقوم بحجة الله ، وتحمل الناس على طاعة الله :

قد رشحوك لأمر لو فطنت له   فاربأ بنفسك لا ترعى مع الهمل

ظهير رحماني غير مؤرخ أورده محمد بن الحسن الحجوي في **اختصار الإبتسام** . ص 428 .

6

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

سيدنا الفقيه الأود ، وكاتب سيدنا الأسعد ، ودود الأخيار ، سيدي محمد الصفار.

سلام عليك ورحمة الله وبركاته ، عن خير مولانا نصره الله،

وبعد فليكن في كريم علمك أنه ورد علينا بابور فيه قنص لفرانصيص ، فرسى بباب المرسى ثلاثا بل أربعا وعشرين ساعة ، فلما لم يظهر عليه القارب لهيجان البحر أعلم بإخراج مدفع ، وتوجه للدار البيضاء ، فنزل بها وأخرج أحد عشر مدفعا ، فلم يجاوبوه لعدم وجود من يباشر .

ثم بعد ظهر أمس تاريخه جاءنا نائبه معلما بقدومه عشية اليوم المذكور ، وأنه كتب له يطلب منا نتلقاه بمثل ما نتلقاه في البحر، فأذنت لثمانية من رؤساء المجاهدين يتلقون بباب العلو من المدينة . فلما حان الغروب ولم يظهر على أثره خرج ولدنا عبد السلام في عشرة خيل من أصحابنا . فلما أبطأوا علي ألحقت بهم الخيل الطوافة ، أخذا بالحزم والاحتياط ، فتلقاه ولدنا مع من معه بالأقواس ، والخيل الطوافة تلقوه بين الأبواب ، فدخلوا معه بعد العشاء ، عدا بعض من أصحابنا تأخر مع رامته : تسع بغال وخمسة عشر جملا إلى تسع ساعات من الليل.

ثم من الغد يوم تاريخه بعث إلي يطلب مني الملاقات ، فأذنت له بعدما أحضرت بعض رؤساء البحر ، فقدم إلينا فدفع لنا كتابا من عند أمين سيدنا السيد مَحمد الخطيب بالإيصاء عليه ، وقبوله بما هو العادة

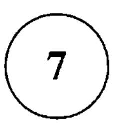
الجـارية مع نواب الأجـنـاس ، فطلب مني القنصـو أن تخـرج أحـد عـشـر مدفعا جوابا لأحد عشر الذي أخرج بالدار البيضاء ، ولم يجاوب عليها، فشاورت رؤسـاء البحر الحاضرين المجلس ، فقالوا : «لابأس بذلك » . فأجبناه لما طلب ، وذلك فيما بيننا وبين سلا ، وهذا ما حق به الإعلام، وعلى المحبة والسلام ،

في الثامن من جمادى الأولى عام سبعين ومائتين وألف .

محمد السويسي

وفقه الله.

الأصل في محفظة 10 .ج 1 ، خ.م.



الحـمـد للـه الذي هدى وألـهـم ، وعلم الانسـان مـا لـم يكن يعـلم ، وأسبغ على الخلق من أياديه الظاهرة ، ووالي عليهم من آلائه المتواترة، وأبرزهم إلى الوجود بعد العدم ، أنشاهم على وفق الحكمة في أرضه حينا يتقلبون ، واستخلفهم فيها فهم بأنواع مواهبه ينعمون ، وأفاض عليهم مالا يحصي من النعم .

أحمده حمد من علم أنه الله الهادي لكلمته ، لاإله إلا الله المنزه عن النظراء والشركاء والأشباه ، الباقي القديم الذي لا يلحقه فناء ولا عدم ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا ومولانا محمد سيد العرب والعجم ، المبعوث لسائر الأمم ، ومنتهى الجود والكرم ، وأفضل من تأخر وتقدم ، القائل : «تناكحوا تناسلوا ، فإني مكاثر بكم الأمم » صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ينابيع العلوم والحكم والأنجم الزواهر في الظلم ، صلاة وسلاما نجد بركتهما يوم تزل القدم .

أما بعد، فعلى الألفة والبركة ، في السكون والحركة ، واليمن والإفضال ، والسعادة والإقبال ، انعقد النكاح بين مَحمد ابن القائد

السويسي وبين الحاج أحمد بن أحمد بلفريج . فالأول عقده لنفسه ، والثاني عقده عن الدرة المصونة ، اللؤلؤة المكنونة ، السعيدة الميمونة، فاطمة بنت المرحوم بمن الله سبحانه السيد أحمد مرسيل ، بكرا عذراء حلا للنكاح عارية من موانعه ، وهي إلى نظر بلفريج المذكور ، وخالها الأبر السيد الطيب ابن السيد التهامي مرسيل بعهد من والدها المذكور ، حسبما بغيره بشهادة الغير ، على صداق مبارك أحله الله وطيبه بقوله جل وعلا : «وآتوا النساء صدقتهن نحلة» ، جملته مائتان (اثنتان) من المثاقيل سكية التاريخ ، أشهد بلفريج المذكور ، بحوز الصداق المذكور، في قفطان طيسان بمائة مثقال وأربعين مثقالا ، وكسوة حرير بستين مثقالا وأمة اسمها طرنجة . تعاقدا على الكتاب والسنة ، عقده عليها بلفريج المذكور ، بمحضر خالها المذكور ، وموافقته على ما ذكر . وقبل الزوج ذلك ورضيه ، والله يجمع بينهما في عافية .

عرفوا قدره ، وشهد به عليهم من أشهدوه به بأتمه وعرفهم ليلة رابع ربيع الثاني عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف .

عبد الله محمد بن ابراهيم

لطف الله به ووفقه

وعبد ربه أحمد بن محمد الغازي

لطف الله به ووفقه

الأصل من وثائق خاصة بأسرة السويسي

8

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

مولانا الذي أشرقت الدنيا ببهجته ، واستنارت العلوم بمحيا طلعته ، تاج الملوك والسلاطين ، وخليفة رب العالمين ، سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، أعز الله مقام مولانا وأدام علاه ، وسلام على مقام سيدنا العالي بالله ،

وبعد أداء ما يجب علينا من تقبيل حاشيته البساط الشريف ، العلي القدر المنيف ، فننهي إلى الأعتاب الشريفة أيد الله رفعتها أنه ورد علي كتاب سيدنا أسماه الله يأمرني فيه أن أقوم على ساق الجد في إكمال خدمة الماء ليصل إلى محله الذي أريد له ، لكونه قارب الكمال ، ولأن عدم إكماله وإيصاله لمحله ، مظنة فساد عمله .

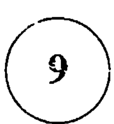
فليكن في كريم علم مولانا أنه لم يكن عندي إذن من قبل سيدنا في الدخول في أمر الماء . وحين ورد علي هذا الكتاب الشريف بعد أربعة وثلاثين يوما من تاريخ كتابته امتثلت الأمر طائعا وقمت على ساق الجد في ذلك ، وخرجت مع الأمناء والعدول إلى محل الخدمة ، وسردنا الخدامين الذين هناك فألفيناهم مائة وخمسين : خمسون من العبيد وخمسون من عسكر الطبجية ، وخمسون من أهل درعة ، وجعلت وظيفة على نفسي أن أخرج كل يوم لمعاينة الخدمة ، ويخرج العدل الذي معي في صائر الدار العلية لتفريق الخدمة ، وأوجه بطاقة الأمناء بعدد الخدامين ، ويوجه القائد محمد بن عبد العزيز بطاقته كذلك ، وهو الذي يتولى قبض الدراهم من الأمناء ، ويباشر تفريقها بيده ، كما كان قبل ذلك .

ونحن على قدم الاجتهاد في الخدمة بسعادة مولانا إن شاء الله وعنايته ، وعلى خدمة مولانا وطاعته ، طالبين منه صالح الدعاء لنا ولأولادنا ، متعنا الله برضى سيدنا أمين ، والسلام .

في 28 من ربيع الأنور عام 1283.

أحمد غنام

الأصل من وثيقة في حوزة الفقيد الأستاذ عياش



الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
السيد الذي ألقى إليه الفضل مقاليده ، والماجد الذي حقق الله عزه وتأييده ، الفقيه الجليل الماجد الصدر الأصيل ، الوزير البركة سيدي موسى ، حفظ الله مجادتك ، وأكد خير سعادتك ، وسلام على مقامك العالي ، أدام المولى رفعته على مدى الأيام والليالي ، عن خير مولانا نصره الله وأعز أمره ،

وبعد فقد ورد علي كتاب من حضرة سيدنا أسعده الله، مضمنه أن الشريف سيدي محمد ابن مولاي الحبيب يتشكى بأن السيد الحاج محمد الزبدي بني دار وجعل لها سراجم مشرفة على دور أبناء عمه ، بحيث منعت النساء من منفعة السطح ، وأنه رفع إلي الأمر في ذلك ، فلم أفعل فيه شيئا ، وأن سيدنا يأمرني بأن نخبره ما السبب، وهل ذلك الضرر الذي يمنع محدثه شرعا أم لا ؟

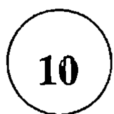
فكتبت إليه أعزه الله بأن السيد الحاج محمد الزبدي بنى دار وجعل لها سراجم كما ذكر ، وكون الشريف المذكور رفع الأمر إلي خلاف الواقع ، سامحه الله ، فإنه لم يرفع الأمر إلي ، وما كلمني هو ولا غيره في ذلك بكلمة . ولو رفع الأمر إلي لسلكت طريق الشرع ، إذ الناس في الحق سواء ، وتلك السراجم ليست من الضرر الذي يمنع محدثه ، لكونه لا يتكشف منها على ما في الدار والأسطوان . ،أما التكشف على السطوح فلا أثر له ، والمسأله من الوضوح بمكان .

وهـا كتـاب سيدنـا بـذلك يوافيك صـحـبـة الكتـاب، ولا تنسنا مـن صـالح دعـائك وعلى محبتك ، والسلام .

في رجب 1290

محمد بن ابراهيم

الأصل في ملف 46 . خ.م.



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

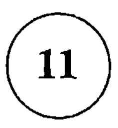
أدام الله العز والظفر والتمكين ، والفتح المبين ، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، وبعد تقبيل حاشية البساط الشريف ، وأداء ما يجب لعلي قدره المنيف ،

فيوافي حضرة مولانا أدام الله عزها حساب مستفاد رباط الفتح في شهر المحرم الفارط ، وقدره بعد حط صائره 9333 مثقال وأوقيتان وأفلس أوجب أعلام سيدنا سائلين مولانا رضاه والسلام

في 2 صفر الخير 1297

أمين مستفاد رباط الفتح : عبد الخالق فرج

الأصل في محفظة 21 . خ.م.



خديمنا محمد بركاش،

وبعد ، وصل كتابك بإيابك من بلاد البلجيك والفرنصيص والألمان، وملاقاتك مع من أمرناك بالملاقاة معة وترتيبك كل فرقة من المتعلمين لتعلم ما عينت لـه ، وشرائك العشرة آلاف من العدة ، وتوجيهك كنطردتها لحضرتنا الشريفة ، ومباشرتك أمر بطريات المدفع ، وشرائك

مكينة القرطوس بستة عشر ألف ريال وستمائة ريال ، وشرائك مهراسا حادث الاختراع يسمونه باسم الذي سميت بثمانمائة ريال ، وفي الإثر يرد ، وتوجهك للرباط بقصد تفقد أحوالك ريثما يرد عليك جوانبا الشريف بما يكون عليه عملك في التوجه لحضرتنا العالية بالله أو غيره، واتفاقك مع ولد التاجر كروب المذكور على أن يكون بطنجة في أواخر شهر غشت العجمي الذي هو شهر تاريخه ليأتي معك لحضرتنا ، أو تقدم لها قبل ذلك ، وصار بالبال .

أما كنطردة التي ذكرت أنك وجهتها فلم تصل . فعلى يد من وجهتها ؟ فبينه.

- وأما المهراس المذكور فقد أصبت في شرائه وسلمناه، ووافقنا عليه

وأما توجهك لطنجة بقصد الإتيان مع ولد المذكور فقد أذنا لك فيه، حيث دنا أجل مجيئه لها الذي اتفقت عليه معه. فتوجه لها وآت معه لحضرتنا الشريفة ، فمرحبا بكم .

وثمن مكينة القرطوس هل هو الذي كنت أخبرت به أولا ؟ أو فيه زيادة أو نقصان ؟ وهل هذه المكينة تخدم القرطوس والفلوس النحاسية جامعة مانعة لا تتوقف في خدمة ذلك على غيرها ؟ أو على تقطيع وتدوير ما تخدمه من ذلك ببر النصارى ونحوهما ؟

فبين ذلك بيانا شافيا لا يبقى معه إشكال ، والسلام .

في 23 شوال 1301 .

الأصل من كناش 121. ص 174. خ.م.

12

نسخة من ظهير حسني

خديمنا الأرضيين الأمينين الحاج العربي فرج ، والطالب أحمد بن الطاهر بناني،

وبعد وصل كتابكم مخبرين بأنكم بعدما أعلمتم بوصولكم لطنجة وملاقاتكم مع باشدور الألمان ، وما لاح لكم من حاله أتى إليكم لرد ما هو معلوم من عادتهم ، ولم يزالوا يظهرون التأخير للشغل المقصود معهم قصد استراحتكم وتعظيما لجنابنا المعتز بالله زيادة على مقابلتهم لكم بالجميل رعاية لمقامنا العالي بالله ، وطلبتم الدعاء لكم بالتيسير والتسهيل ، وصار بالبال ،

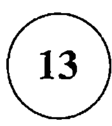
أما ما ظهر لكم من الملاحظة والاعتناء ومخائل الخير فالكل من الله سبحانه ، نسأله جل علاه أن يحملنا على ما عودنا من جميل بره وامتنانه ، ومتوالي فضله وإحسانه.

وأما طلبكم الدعاء بتسهيل المقصد ، وتحصيل المراد ، فالله يصلحكم ويلهمكم الرشاد، ويفتح على أيديكم أبواب الخيرات ، ويتمم بفضله الصالحات ، فطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر .

والسلام

في 28 ربيع الثاني 1303 .

من الكناش 370 .خ.م.



الحمد لله وحده ،

خديمينا الأرضيين الحاج العربي فرج ، والطالب محمد راغون وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله ،

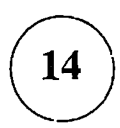
وبعد وصل كتابكم بوقوع المراجعة بينكم وبين باشدور الألمان

في شروط التجارة المشتملة على سبعة عشر فصلا ، المحوزة للباشدورين المشار إليهما التي كنتم وجهتم نسخة منها لحضرتنا الشريفة ، وطلبتم منهم في بعض تلك الفصول ما بينتم ، والبعض منها ألفيتموه موافقا للشروط المعقودة مع غيرهم ، وصار بالبال .

فقد وجهت لكم نسخة الشروط المذكورة التي وجهتم منبها بهامشها على ما تقتضيه المصلحة مما أشرتم إليه وغيره، فالعمل عليها ، والسلام

في 10 رجب عام 1303 .

<u>من وثائق خاصة بعائلة فرج</u>



خديمنا الأرضى الحاج العربي فرج ،

وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله ،

وبعد ، فقد أخبر الخديم الطريس أن الألمان سلموا نسخة شروط المحبة لهم ، وقبلوها عدى مسألتين منها ذكروا أن مصلحتهما عائدة على رعيتنا السعيدة ، وإن اقتضى نظرنا الشريف إبقاء هاتين المسألتين على ما هما عليه فهم قابلون لهما ، فأمرناه ببيان هاتين المسألتين لينظر فيهما ، وإن ألفيت فيهما المصلحة التي ذكروا يساعدون عليهما ، وإلا فتبقيان على ما هما عليه .

وعليه فبوصول كتابنا هذا إليك عجل بالتوجه إلى طنجة بقصد التوقيع معهم بخط يدك على نسخة الشروط المذكورة .

وقد كتبنا للخديم الطالب محمد راغون بمثل هذا ،

والسلام

في 5 محرم 1304 .

<u>من الوثائق الخاصة بعائلة فرج</u>

15

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

أدام الله العز والنصر والتمكين، والظفر والفتح المبين، لسيدنا ومولانا أمير المؤمنين، مولانا الحسن ابن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين، مولانا محمد، وعلى مقام سيدنا أزكى السلام ورحمة الله تعالى وبركاته، وتحياته ورضوانه، وبعد أداء ما يجب علينا لسيدنا من الإجلال، وتقبيل ثرا النعال. فينهى لشريف علم سيدنا أن الشريف سيدي محمد بن عبد السلام العلوي تزوج على بركة الله بالشريفة ابنة عمه لال فاطمة بنت مولاي الطيب. كما تزوج على بركة الله الشريف سيدي شدود بن إسماعيل بالشريفة ابنة عمه لال فاطمة بنت مولاي قدور العلوي، وأراد كل منهما الزفاف بأهله.

فنامل من كرم سيدنا وفضله أن ينعم على الزوجين والزوجتين بما جرت به عادة سيدنا الكريمة من الإنعام وعلى الشرفاء أمثالهم. جعل الله البركة في عمر سيدنا وفي أيامه، وأعطاه خير الدنيا والآخرة، ومتعنا والمسلمين بدوام عافيته وطول عمره آمين، والسلام.

في متم جمدى الأولى عام 1307.

عبد الله بن المامون

لطف الله به

الأصل في محفظة 304. خ.م.

16

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

أيد الله مولانا أمير المؤمنين ، ناصر الملة والدين ، المجاهد في سبيل رب العالمين ، وقامع آل الزيغ المعتدين ، وسلام على مقام سيدنا الأسمى ، وجنابه الأحمى ، ورحمة الله وبركاته.

فبعد تقبيل حاشية البساط السعيد ، وأداء ما يجب لعلي جناب مولانا من التشريف والتعظيم والاحترام ، ننهي لكريم علم مولانا المعتنى بالله أنني كنت طلبت من سيادة مولانا الشريفة المطهرة أن يغير بكلمته الشريفة على الخديم السويسي يشد عضده في القبض على فرار إخواني الذين بأعراب رباط الفتح وبالأوداية ، وبفضل قضية أخي الذي كان قتله ولد الباشا الرباطي . ولما وفاه الأمر الشريف قبض على والد الرجل القتيل ، ذكر أن لا يمكنني به إلا بأمر شريف ، لكونه اشترط على الرجل الرباطي القاتل ولده أن لا يبرئه من دمه حتى يجعله معه في حماية الطليان ، وهو كان شيخ حياة والدي رحمه الله ، وفر ولازلت ذمته عامرة بكلائف المخزانية السعيدة ، طالبا من سيادة مولانا الشريفة المطهرة أن يمكنني به ليؤدي ما بذمته ، ويعمر محله بالقبيلة ، وأن يشد العضد في قضية فرار إخواني ، والمؤاخذ بدم أخي أن يدفع المرهون للسجن حتى يفاصل دمه وبه يجب الإعلام

وإني على أتم خدمة مولانا الشريفة ، طالبا رضاءه ، والسلام

في 17 شعبان الأبرك 1310

خاتم مستدير كتب بداخله : خديم المقام العالي بالله :

لحسن بن بوعزة اليعشي ،

وفقه الله

الأصل في محفظة 105. خ.م.

17

الخليفة الطالب الصديق برگاش

وبعد ، وصلنا كتابك بأن الأمر الشريف كان صدر للعامل بأن تكون معه يدا واحدة فيما يفرضه على أهل البلد من الكلف ، وفي إجراء أهل الظهائر الشريفة على مقتضاها . ولما حل إبان ذلك أمر أمينات الحرف بتضعيف المفروض عادة لأجل التهنئة ، وفرقت البطائق عليهم على يدكما ، عدى التجار ذكر لك أنه يبقى بينه وبينهم ، فأحضر ستة من أصحاب الظهائر، فطالبهم بالهدية قاصدا تلطيخهم ، فأجابوا بالإمتثال، إلا واحدا استفهم هل يعطي أصحابها ، فقال له : « الكل يعطي » .

ثم أمر بأن من امتنع منهم يشهد عليه . وبعد ذلك أطلعك على كتاب شريف بتوجيه أخيه نائبا عنه في التهنئة ، وتذاكرتما في الهدية. ولما افترقت معه وجه على الأمينات ، وحاز منهم ما جمعوه من أهل الحرف، ولم يطلعك عليه، وسكت عن أصحاب الظهائر، فخشيت أن يشتكي بهم ، وأعلمت بالواقع . وصار بالبال بعد إطلاع العلم الشريف .

فأجاب أيده الله بأن العمل يبقى جاريا في ذلك عما كان عليه حياة أخيه وأياما من ولايته هو بعده ، وذلك أن هدايا الأعيان يكلف بها أمين يصير العادة المقررة فيها ، وإن كانت زيادة عليها كتوجيه أخيه والمادحين في المولد يزاد صائرهم وتقويم سفرهم ، وما اجتمع صائرا في ذلك يقسطه الأمين على الحرف وأهل التجارة : كل على نسبته ، وما يحمله وما يعين لأهل الظهائر الشريفة يقسطونه فيما بينهم على عادتهم في ذلك والأمين يطلعكما معا على حساب المدفوع في المقضيات التي بيد الموجهين ، مع بيان فرضه على كل حنطة ، ولا يتولى أمر ذلك هو بنفسه ، ويوجه أصحابه لقبضه .

وأما هدية التجار الخاصة بهم التي تكون للتهاني وخارجة عن

هدية الأعياد فلتجتمع أنت وهو مع جلهم وكلموهم فيها ، ويزاد في الصائر تقويم سفرهم ويعرفون ما اجتمع في ذلك بينهم على نسبتهم . والمعينون للسفر مع النادر ممن بيدهم التحرير لا يلزمون إلا بما طابت أنفسهم به.

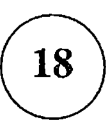
وقد كتب له سيدنا أيده الله بأن تكون معه في ذلك كله يدا واحدة ، ويطلعك على تفصيل الصائر ومصرفه ، وتفصيل المال المفروض له ، وينصب أمينا ثقة تتوافقا عليه يتمش معكما على العمل المذكور ، ويكون يدفع نسخة من حساب فريضة وصائر كل عيد لكل واحد منكما بلفظ ما بالأخرى .

كما كتب له بإحضار رجل من التجار ، فإن كانوا قوموا هدية التهنئة ودفعوها فيطلعك على داخلها وصائرها . والأربعة الذين يقدموا منهم يبينوهم لك حيث كان هو المتسبب في ذلك ليتوصل لغرضه فيك . وإن كانوا لازالوا ، يبينون لك السبب ، وينهضون لتقديمها على نحو ما ذكروا .

على هذا العمل عن أمر مولانا الشريف ، والسلام

في 3 محرم 1314 .

الأصل في كناش 776. خ.م.



18

المحتسب الحاج عبد الخالق فرج ،

وبعد فيأمرك مولانا أعزه الله أن تكلف أمين القيسارية بالرباط بتقييد أنواع السلع الرومية كلها بأسمائها من عينات المركان والمرزاية والشيت ، وعينات الشقق ومن عينات الملف والتوبيت والطلس وسائر الحرير المخرومة ، وكذلك أنواع الحرير الشعرة ، وما ذكر كله ببيان الثمن يرضات البيسة ، كل عينة كانت من أربع وعشرين

أو من ست وثلاثين أو أكثر أو أقل، وكذلك الشقق التي من عشر يرضات أو من اثني عشر أو من أكثر ، كل شقة ويرضاتها وثمنها ، وما يباع بالقالة من سائرها .

ما ذكر يبين عينته ، وثمن القالة فيه ، والحرير الشعرة يبين نوعه، وثمن الرطل بما يباع به الكبير منه . كما يكلف أمين العطارين بتنفيذ جميع أنواع العطرية الرومية وأثمانها للقنطار فيما يباع به الرطل فيما يباع به .

كما يأمرك دام علاه أن تحض كلا على التشبت في ذلك ، والتوعد على ما يقع فيه من التساهل كما ذكر عند التقييد ، وعلى أن تباشر كل منهما من غير شهرة ، ويكون كل واحد منهما يعمل تقييدة ، عند رأس كل شهر ، وخد بالحزم في توجيه التقييدين على بيان ما ذكر لشريف الحضرة ، مع تقييدتي كل شهر عند انسلاخه ، والسلام .

في 14 محرم 1316 .

الأصل في كناش 432. خ.م.

19

المحتسب عبد الخالق فرج ،

وبعد فقد وصل كتابك عما قدمته من تقاعد القائد محمد السويسي على الدراهم المشتركة بينك وبين محاجيرك أولاد أخيك ، ووجه لك الكتاب الشريف يأمره بالفصال طي جوابك ، فمكنته منه فانتظرت تنفيده أو جوابه عنه فلم يفعل ، وأنهيناه لسيدنا ، فصار بباله الشريف .

وقد كنا أجبناك بما أجابك به من كونه لا حجة لك عليه فيما تدعيه عليه من ذلك ، وإن كانت فيؤديك ما تضمنته ، وأمضى سيدنا ذلك .

وعليه فإن كانت عندك الحجة عليه وامتنع من أداء ما فيها فطير الإعلام لينفد ذلك من راتبه الشهري بحول الله ، وعلى المحبة ، والسلام

في 29 جمادى الثانية عام 1317 .

الأصل في كناش 734 خ.م.

20

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ولدنا الأعز الأرضى الشريف سيدي بوبكر الزعيمي

أمنك الله ورعاك ، والسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا نصره الله،

وبعد وصلنا كتابك الأعز وأفادنا سلامتكم وعافيتكم ، الحمد لله على ذلك ، ونطلب الله يفتح عليك وعلى إخوانك كلهم فتح العارفين بالله وسلم على والدتك وأختك وعلى زوجها ولدنا مولاي الحاج بنعاشر الحسوني ، وجميع أولاده ، وجميع إخوانك الإماء كلهم . ومنا يسلم عليك عزيزك . والياسمين دار سيد عبد السلام الخياط كلهم ، وسيدي أحمد العلمي وداره .

أنت ياولدي اجتهد في القراءة غاية ، ولا تقصر . وأما نحن فالمخزن مهيأ للحركة ، لاجلوس عنده بفاس ، الله يجمع الشمل على أحسن حال . وسلم منا على الفقيه البركة الصالح صاحب الفتح إن شاء الله السيد محمد بن العربي ، ولا بد ، والسلام

في 23 شوال عام 1320 .

أحمد الزعيمي

لطف الله به .

من وثائق القاضي أحمد الزعيمي

21

الحمد لله وحده ۏصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ولدنا الأعز الأرضى الفقيه سيدي محمد الزعيمي

أصلحك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير سيدنا أيده الله ونصره ،

وبعد فهذا زائد على ما قدمنا لك من الجديدة ، وفي ذلك كفاية . نطلب الله يكون وصلكم ذلك وأنتم بخير ، ووصلكم الصندوق الموجه لكم على يد برق الليل . وزدناك هذا نعلمك أننا بمراكشة ، وقد خرجنا إلى المحلة بقبيلة شيشاوة ، ورجعنا منها ، ونحن بصدد الخروج من إيالة القائد السيد المدني الاكلاوي بحول الله ، ونطلب الله يقضي الغرض بمنه آمين .

وسلم على أختك خدة ، وقل لها زوجها سيدي بنعاشر يكتري دارا صغيرة بالرباط لتنزل فيها صهرته منانة حدادة ، فإنها قادمة للرباط ، وإن شاء تسكن معها فطومة وزوجها بلقاسم . وأما دارنا فلا تصلح لهم لذلك ، فإني على نية إصلاحها والسكنى بها إن شاء الله ، وهي في الأثر ترد عليه قبلنا مع ولدها ، وسلم على سيدي عمر ، وسيدي علال وسيدي بوبكر ، وسيدي عثمان ، وعلى إخواتك ، وعلى السيدة الجليلة الشريفة لال الزهراء ، الله يرضى على الجميع ، أمين ، والسلام .

في 8 شعبان الأبرك 1323 .

أحمد الزعيمي

لطف الله به .

<u>من وثائق القاضي أحمد الزعيمي</u>

22

خديمنا الأرضى القائد الحاج الطيب الصبيحي ،

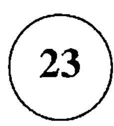
وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله

وبعد فقد بلغ شريف علمنا أن أمناء العدوتين المستخدمين وقع منهم تهور كبير وتلبيس وتدليس في مدخول المرسى ، واشتهر ذلك عنهم حتى نشره أصحاب الجوازيط في جرائدهم .

وعليه فنأمرك بالبحث عن حقيقة الواقع في ذلك ، والتنقيب عليه من طرقه حتى يتحقق لديك حالهم ، وما هم عليه ، وأطلع شريف علمنا بذلك ، والسلام

في 29 حجة الحرام 1323 .

الأصل بالخزانة الصبيحية ، ملف رقم 3 من 251 إلى 400 .



الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله

ولدينا الأعزين الأرضيين الشريف سيدي بنعاشر الحسوني ، والشريف الفقيه سيدي محمد الزعيمي ،

أصلح الله حالكما ومآلكما ، وسلام عليكما ورحمة الله ، عن خير مولانا أيده الله

وبعد فقد وصلنا لطنجة بالسلامة والعافية في أمن وعافية ، لله الحمد وله المنة ، وذلك يوم الثلاثاء 26 من شهر تاريخه ، بعدما أقمنا بالدار البيضاء يوما وليلة . وقد نزلنا إليها ووصلنا رحمنا ونحن الآن بطنجة بالدار التي عينت لنا للنزول. وقد وصل عبد الرحمان العفير في اليوم الذي وصلنا فيه نحن في الصباح ، وهو بعد الغروب ، ونطلب الله يكون سيدي محمد بخير وعلى خير ، ويسلم عليكم الأولاد ، وسلموا لنا

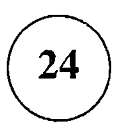
على الأهل جميعا ، وادفع هذه البطاقة طيه للسيد عبد القادر فرج العدل، وقل لأمينة تحوز الدراهم كلها بالعدول ، وبعدما تحوزها تردها إلى السيد مجمد جسوس بقصد أن يخرجها لنا يطرة ، وادفعوا للعدول ريالين أجرتهما ، ولابد ولابد ، ونفذت لكم عشرين ريالا بقصد الصائر وخنشة من السميد ، كما نفدت عشرة ريال تدفع بالعدول لخالتك على يد السيد عبد القادر فرج بعد هذا بعشرة أيام . واكتب لنا مع كل بوسطة البروس ، ولابد وقد اجتمع الأمناء ، وبعد يوم العيد نجلس بمحل الخدمة بحول الله في محل السيد محمد ملين ، والسلام،

في 28 رمضان عام 1324 .

أحمد الزعيمي

لطف الله به

من وثائق خاصة بأسرة الزعيمي



24

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

أسعد الله أيام سيدنا ومولانا الوالد الأحظى الأريب ، الماجد الفقيه الأجل العلامة الأديب ، البارع الفهامة سيدي الحاج أحمد الزعيمي ،

أمنك الله

وبعد فقد طال علينا كتابك وتشوشنا غاية ، نطلب الله تكون بخير ويكون الكتاب بالطريق وعليه فنعلمك وأن الدار البيضاء وقعت فيها الفتنة ، أهل الشاوية دخلوها وقتلوا منها من النصارى تسعة ، فيهم صبنيول وبروس وفرانصيص ، وهرسوا تلك البابور الذي في البر وغيره ، وذلك كله على شيء ، منها أن المسلمين كانوا يخدمون مع النصارى في السكة بالأجرة ، فإذا به لم يخلصوهم في أجرتهم ، فجعلوا هذا الفتن .

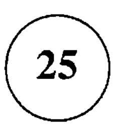
وأما أهل الرباط فإنهم بعدما سمعوا هذه الأخطار صاروا يكيلون القمح والشعير ، والغلاء كثر ، وصار الفاخر بريال . وأما أهل الرباط كيتكلمون في أن زعير غاد يدخلون البلاد ليقاتلوا الملاح والنصارى في الرباط ولا يغيروا المسلمين والأمر لله ، والله ينزل علينا اللطف الخفي آمين . ونطلب من سيدي وأفضاله أن يوجه لنا ما أكدنا عليه قبل هذا ، فإن أرباب تلك الدراهيم صاروا يقولون عليهم في كل نهار ... .

في 21 جمادى الثانية عام 1325 .

محمد الزعيمي

وفقه الله ، آمين

من وثائق خاصة بأسرة الزعيمي



خدامنا الأرضيين أعيان أهل رباط الفتح وكبرائهم

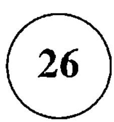
وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،

وبعد ، وصل كتابكم شاكرين إنعام الله عليكم بالدخول فيما دخل فيه أهل الهدى ، وإبراز ماكان خفيا في ضمايركم إلى أن بدا ، باتفاقكم على عقد بيعتنا الشرعية ، الجارية على الرسم المحكم والوجوه المرعية، وأن وفدكم المصحوب بها وارد في الأثر على حضرتنا الشريفة ، وصار بالبال

أما إلهام الله إياكم للتمسك بطاعتنا الشريفة والاشتمال بملاحف رعايتنا المنيفة ، فقد استقبلتم به قبلة ترضى ، وعجتم به كذا إلى سند الرعي الذي ينفذ حكمه من الصالحات ويمضى ، وحمدنا الله لكم حمد مسرور بتدارك الألطاف ، معتقدا لإلحاق التالي بالمقدم في قياس الملاحظة والمجازاة التي لا يعوقها بحول الله انحراف ، أصلحكم الله وأثابكم ، ووفق الكل لما يحبه ويرضاه . وأما الوفد القادم فمرحبا به ،

ألحفه الله بأردية السلامة ، والسلام
في 2 شعبان 1326 .

<u>من وثائق فرج .</u>



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
خدامنا الأرضين كافة أهل رباط الفتح ، المحروس بالله
وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله
وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الأرضى القائد عبد النبي السويسي، وأسندنا إليه النظر في أموركم على أن يسلك في عمله مسلك الخدام الصالحين ، ويتحلى في أحواله بحلية العمال الناصحين ، ويتدرع الحزم والتيقظ في حفظ المصالح المخزنية ، ويحسن السيرة في أحكامه وأعماله على الوجوه المرضية .
فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا لما أوليناه من أوامر خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، ووفق الجميع لما فيه رضاه ، والسلام
24 شعبان الأبرك عام 1326 .

<u>من وثائق السويسي</u>

27

خدامنا الأرضين جماعة الولالدة والمعاضيد والأعشاش وأولاد زيد والمغاني والفقراء أولاد سيدي موسى بن علي من أعراب حوز الرباط

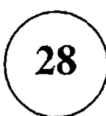
وفقكم الله ، وسلام عليكم ورحمة الله

وبعد فقد ولينا عليكم خديمنا الأرضى القائد عبد النبي السويسي الرباطي ، وأسندنا إليه النظر في مصالحكم .

فنامركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من أوامر خدمتنا الشريفة ، أسعدكم الله به وأسعده بكم ، والسلام .

في 24 شعبان عام 1326 .

من وثائق السويسي



خاتم السلطان المولى عبد الحفيظ

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

خديمنا الأرضى القائد عبد النبي السويسي

وفقك الله ، وسلام عليك ورحمة الله

وبعد ، وصل كتابك مع من وجهتهم للنيابة عنك في حضور عيد الأضحى الذي أشرق الله سعده في أفق البركات صبحا برسم القيام بواجب التهنئة ، والجريان في حقوق النيابة والهدية على العوائد السنية،

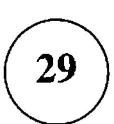
فلقد وردوا على حضرتنا الشريفة ، واشتملوا بملاحق ظلالنا الوريفة ، وحضروا مشاهد الجلوة والتكبير ، واستروحوا من نفحات

رضى الله ما يقصر عنه التعبير ، ونالوا بمواقف التهاني صوالح الأدعية ، وأدوا ما حملوا من الهدية ، وخفقت عليهم بين جمهور المسلمين خوافق النصر من البنود والألوية ، وحصلوا من خاطرنا الشريف غاية الأمنية إلى أن ودعوا بسلام آمنين ، وانصرفوا مأجورين فائزين

أصلحك الله وإياهم ، ورضى عنك وعنهم ، والسلام

في 16 من حجة عام 1326 .

من وثائق السويسي



الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

محبنا الأجل الأرضى خديم مولانا القائد السيد عبد النبي السويسي

أمكنك الله ، وسلام عليك ورحمة الله ، عن خير مولانا نصره الله

وبعد ، وصل كتابك مخبرا بما تشكى به عليك أهل العراصي بشالة من أن العسكر يحتطب لهم منها ، وحصل لهم بسبب ذالك الضرر ، وأن جلهم متلبس بالحمايات والمخالطات ، طالبا الكلام مع ضباطهم في كفهم عن ذلك .

فقد كلمناهم في ذالك ، فأجابوا بأن عسكرهم إنما يحتطب من الوادي الذي هو مباح لكل واحد ، ومن وجدوه يحتطب في عرصة فليأتوا به إلينا حسبما تكلمنا معك في ذالك غير ما مرة ، وإن كان الوادي الذي يحتطب العسكر منه فيه الضرر عليهم فاعلمنا ، وعلى المحبة ، والسلام.

في 9 محرم الحرام فاتح عام 1327 .

أحمد ولد أب محمد

لطف الله به

من وثائق السويسي

30

July 15 - 1909

My dear Sir,

By request of Mr Vice-Consul Meroutros of Rabat, I beg to introduce to you Mohamed Furj, scribe of vice-consulate of Rabat who is visiting Mazagan and Tangier on business affaire of his properties. Mr. Mohamed Furj's uncle was scribe to the Rabat vice-Consulate, he perished in the "Sardinia" disaster of Malta.

Believe
Your sincerely
Madden
The British Consular Officer at Mazagan

من وثائق عائلة فرج .

فيما يلي ترجمتها بقلم الأستاذ مصطفى بوشعراء .

15 يوليوز 1909

عزيزي السير،

بطلب من السيد فيروتسوس النائب القنصلي بالرباط ،أتشرف بأن أقدم لكم محمد فرج كاتب النيابة القنصلية بالرباط ، الذي يقوم الآن بزيارة للجديدة وطنجة في شأن قضية أملاكه .

وكان عم السيد محمد فرج كاتبا للنيابة القنصلية بالرباط ، وقد مات غرقا في كارثة السفينة «ساردينيا» بمالطة

وصدقني
المخلص الوفي لكم
مادن
الوكيل القنصلي البريطاني بالجديدة

ثانيا : فهرس الأعلام

فهرس الأعلام البشرية ×

× حرف «ج» يرمز إلى كلمة الحاج

– ت –

– ج –

– ل –

– م –

— ن —

– ص –

– ض –

– ع –

– ق –

– س –

فهرس القبائل والأجناس والطوائف والأمم

× أسقطنا اسم (الرباط) لوجوده في جل الصفحات

ثالثا : فهرس الوثائق

رقم الوثيقة	الصفحة	الموضوع
1	311	رسالة قائد الرباط وأمناء العدوتين إلى السلطان المولى عبد الرحمان بشأن الإشراف على تفصيل وخياطة ملابس وخزائن لدار المخزن
2	312	ظهير رحماني إلى العامل بوسلهام بن علي بشأن الجهاد البحري وتعيين بريطل الرباطي لقيادة مركب جهادي بقصد تدريب شبان العدوتين على تعلم (أمور الجهاد)
3	313	ظهير رحماني إلى العامل ابن علي بشأن تعيين مركب يسمى الأسكونة لمحاربة التهريب بساحل الريف وتجهيزه بطاقمه وبمؤونته ودفع أجور طاقمه برئاسة رئيس رباطي
4	314	ظهير رحماني إلى أهل الرباط يحدرهم من التحزب والزيغ وتحدي القائد ويخبرهم بتعيينه عبد اللطيف فرج قائدا عليهم .
5	315	ظهير رحماني إلى قائد الرباط بشأن انحراف بعض الرباطيين عن الجادة كشرب الخمر وما نشأ عنها من اقتراف بعض الآثام ويأمره بإظهار الحزم والشدة في معاملتهم
6	316	رسالة محمد السويسي الى محمد الصفار بشأن ورود سفينة إلى ساحل الرباط وإخباره بملاقاته بالقنصل الفرنسي وما جرى بينهما بخصوص القواعد المعلومة في استقبال السفن الأجنبية
7	317	عقد صداق محمد ابن القائد السويسي على ابنة أحمد مارسيل في 4 ربيع الثاني 1283
8	319	رسالة الناظر أحمد غنام الى السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بشأن إيصال الماء إلى أحد المراكز ومباشرة العمل على يد العسكر والطبجية والعبيد ودور الأمناء والعدول في ذلك
9	320	رسالة من نائب قاضي الرباط الي الوزير موسى بن أحمد بشأن قضية خلاف بين أحد الشرفاء وأحد رجال المخزن بسبب ادعاء الأول تضرر أبناء عمه من بناء الثاني لداره التي أشرفت نوافذها عليهم .
10	321	رسالة أمين مستفاد الرباط الى السلطان المولى الحسن بشأن حساب مستفاد الرباط عن شهر محرم 1297

11	321	نسخة من ظهير حسني إلى الخديم محمد بركاش بشأن سفره الى بلدان أوربية بخصوص شراء الأسلحة واصطحاب شباب مغاربة للتدريب العسكري ومجيئ أحد الصناعيين الألمانيين الى المغرب للملاقاة مع السلطان .
12	323	نسخة ظهير السلطان المولى الحسن الى خديمه الحاج العربي فرج وأحمد بن الطاهر بناني بشأن ملاقاتهما مع السفير الألماني بطنجة وارتياحه لرعاية الألماني للمقام السلطاني
13	323	نسخة ظهير للسلطان المولى الحسن الى الحاج العربي فرج ومحمد راغون بشأن مباحثات جرت بينهما وبين السفير الألماني بخصوص التجارة بين المغرب وألمانيا في رجب 1303
14	324	نسخة ظهير حسني في 5 محرم 1304 الى الحاج العربي فرج يفوض له إقرار أو حذف مادة من شروط معاهدة مع ألمانيا حسبما تقتضيه مصلحة البلاد ويأمره بالتوجه إلى طنجة ليوقع على نسخة الشروط .
15	325	رسالة الشريف عبد الله بن المامون الى السلطان المولى الحسن يطلب الإنعام على بعض أبناء وبنات عمومته بمناسبة زواج بعضهم
16	326	رسالة القائد بوعزة اليعشي إلى السلطان المولى الحسن يشتكي فيها من فرار بعض أقربائه من قبيلته ويطلب مساعته على إرجاع أحدهم الذي كان قائدا ، وبذمته مال المخزن ، خصوصا وأنه أراد الدخول في الحماية الإيطالية طلبها من قاتل ابنه وهو المحمي الإيطالي ولد الباشا الرباطي كمقابل لتبرئته من دم ولده .
17	327	رسالة مخزنية بأمر من السلطان المولى عبد العزيز الى الخليفة الصديق بركاش حول اختصاصاته مع عامل الرباط والعمل فيما يتعلق باقرارهما للكلف المخزنية وفرض الهدايا على أهل الحرف بالرباط والقواعد المرسومة في استخلاصها ، ووجوب إطلاعه من طرف العامل على قوام هدية التهنئة .
18	328	رسالة مخزنية وردت على المحتسب عبد الخالق فرج بأمر السلطان المولى عبد العزيز ليتكلف بالأشراف على تقييد أنواع السلع الأجنبية وخصوصا الأثواب بالقيسارية وتبيان

		أثمانها وأثمان ما يباع من العطرية بالرطل الكبير ويأمره بتكليف كل من أمين القيسارية وأمين العطارين بتقييد ذلك في مبتدإ كل شهر وإرسال تقييدتي كل شهر انصرم
19	329	رسالة مخزنية بأمر من المولى عبد العزيز إلى المحتسب عبد الخالق فرج بشأن تقاعس القائد محمد السويسي عن تنفيد مال له ومال محاجيره أبناء أخيه ، ويطلب منه الإدلاء بالحجة على ذلك .
20	330	رسالة عائلية من أحمد الزعيمي كاتب البنيقة بفاس الى ولده أبي بكر ينصحه بالاجتهاد في التحصيل والدراسة ويخبره بتهيؤ المخزن للحركة (مؤرخة في شوال الى 1320)
21	331	رسالة عائلية من المرسل نفسه الى ولده محمد يخبره بإرسال سلع الى العائلة من مراكش كما يعلمه بأحواله وبأنه رجع مع الحملة المخزنية من قبيلة شيشاوة وأن المخزن عازم على الخروج الى إيالة القائد المدني الكلاوي . كما يأمره بإنجاز أمور عائلية .
22	332	رسالة عزيزية الى قائد سلا يأمره فيها بالبث فيما نسب إلى أمناء العدوتين من غش وتدليس واطلاعه بحقيقة الأمر
23	332	رسالة أحمد الزعيمي الى ابنه وصهره يخبرهما فيها بوصوله الى طنجة ليتسلم عمله الجديد بها خلفا لمحمد ملين بعد رمضان 1324 ويأمر ابنه بأن يرسل اليه بطرة بعد استلام زوجته مالا من بعض المتعاملين معه كما يأمره بأن يراسله مع كل بريد بروسي ويخبره أنه نفد مبلغا معينا لعائلته بالرباط كصائر شهري .
24	333	رسالة محمد الزعيمي إلي أبيه أحمد يخبره بقلق العائلة عليه أثناء حادثة الدار البيضاء وفتنة الشاوية سنة 1907م ويخبره بتخوف أهل الرباط من امتداد الفتنة الى مدينتهم.
25	334	ظهير من السلطان المولى عبد الحفيظ إلى أعيان أهل الرباط بشأن دخولهم في بيعته وترحابه بالوفد الرباطي الموجه اليه بهذا الصدد .
26	335	ظهير حفيظي الى أهل الرباط بشأن تعيين عبد النبي السويسي قائدا عليهم مؤرخ في 24 شعبان 1326.

27	336	ظهير حفيظي إلى قبائل أحواز الرباط يخبرهم بتعيين عبد النبي السويسي قائدا عليهم في التاريخ نفسه .
28	336	ظهير حفيظي إلى القائد عبد النبي السويسي بشأن توجيه القائد لوفد ينوب عنه لحضور عيد الأضحى والقيام بواجب التهنئة ويخبره بوصول الوفد وقضائه وقتا ممتعا وحيازته رضى السلطان .
29	337	رسالة أحمد ولد أبا محمد الى القائد عبد النبي السويسي بشأن شكوى أهل عراصي شالة من الجيش بسبب احتطابه منها وتلبسه بالحمايات (في 9 محرم 1327)
30	338	رسالة الوكيل القنصلي البريطاني بالجديدة إلى القنصل البريطاني بطنجة بخصوص تقلد محمد فرج وظيفة كاتب النيابة القنصلية بالرباط خلفا لعمه وأنه حل بالجديدة لمباشرة أعماله وتجارته بها .

رابعا : فهرس الخرائط والصور

1 – الخرائط

2 – الصور :

خامسا : البيبليوغرافيا

أولا : الوثائق

1 – المراسلات المخزنية

أ – الخزانة الملكية بالرباط

عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام

– محفظة التعيينات والإعفاءات . الرقم 3
– محفظة الأمن الداخلي والخارجي . الرقم 4
– محفظة الجبايات والرسوم والمكوس . الرقم 6
– محفظة الموانئ والملاحة . الرقم 7
– محفظة الشؤون الاقتصادية والمالية ، الأملاك المخزنية والجماعية . الرقم 8
– محفظة التجارة الداخلية والخارجية . الرقم 9
– محفظة الحمايات القنصلية . الرقم 10
– محفظة السفارات . الرقم 11
– محفظة ظهائر التوقير والاحترام . الرقم 13
– محفظة مواضيع متنوعة . الرقم 14

عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان

– محافظ أرقامها 36 – 37 – 38 – 39 – 40 – 41 – 42 – 43 – 44 – 45 – و 46

عهد المولى الحسن

– محافظ أرقامها 16 – 17 – 18 – 19 – 20 – 21 – 22 – 23 – 24 – 25 – 26 – 27 – 28 – 29 – 30 – 31 – 32 – 33 – 34 – 35 – 36 – 41 – 42 – 43 – 47 – 48 – 49 – 50 – 51 – 101 102– 105 – 107 – 200 – 201– 202 – 203 – 204 – 205 – 206 – 250 - 252 – 300 – 301 – 304 – 400 – 401 – 402 – 403 – 405 – 407 – 450– 452 – 456 – 500 – 502 – 503 .

ب – الخزانة الصبيحية بسلا

ملفات 1.2.3.4.5.6.7. : من سنة 1320 إلى سنة 1327.

ج – الخزانة العامة بالرباط

وثائق برگاش : ميكر وفيلم . رقمه 2171 .

2 – كنانيش الخزانة الملكية بالرباط

عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام :

– كناش ظهائر رحمانية ومكاتيب وزارية . رقمه 3208 .

عهد السلطان محمد بن عبد الرحمان :

– كناش أملاك المخزن بالرباط سنة 1271 . رقمه 44

عهد السلطان المولى الحسن :

– كناش مستفادات مرسى العدوتين بين 1299 و 1300. رقمه 651 .

– كناش نسخ الرسائل الصادرة عن السلطان إلى خدامه في شؤون مختلفة سنة 1301. رقمه 121 .

– كناش الرسائل الصادرة عن السلطان إلى جهات مختلفة سنة 1301 . رقمه 123 .

– كناش خلاصة الرسائل الصادرة عن السلطان إلى بعض الأمناء سنة 1301. رقمه 345 .

– كناش خلاصة الرسائل الصادرة عن السلطان إلى جهات مختلفة سنة 1303. رقمه 371 .

– كناش رسائل السلطان إلى بعض خدامه من قواد وأمناء سنة 1303 . رقمه 370 .

– كناش ما يدفع في مرسى العدوتين من الرواتب والأكرية سنة 1304. رقمه 377 .

– كناش كشف المراسلات الصادرة والواردة على السلطان في أمور متنوعة مع خلاصة لبعضها سنة 1306 . رقمه 154 .

– كناش خلاصة مكاتيب التوقيع الشريف المجاب عنها على يد الفقيه السيد محمد الصنهاجي سنة 1307 . رقمه 166 .

– كناش مستفادات مرسى الدار البيضاء 1308 – 1309 . رقمه 178 .

– كناش مستفادات مرسى العدوتين في 1308 و 1309 . رقمه 365 .

– كناش مستفادات مرسى العدوتين في 1310 و 1312 . رقمه 206 .

عهد المولى عبد العزيز :

– كناش تقييد المكاتيب الموجهة للأمين التازي ما بين 1311 و 1326 . رقمه 752 .

– كناش الداخل من مستفاد الدار البيضاء على يد أمينها السيد أحمد بن محمد فرج. رقمه 806 .

– كناش رسائل صادرة عن السلطان في شأن تعيين بعض الأمناء سنة 1314 . رقمه 229.

– كناش مستفادات مدينة الرباط 1312 و 1318: رقمه 220.

- كناش حركة الريف وإعفاءات وتعيينات في 1314 و 1315. رقمه 199 .
- كناش أملاك المخزن سنة 1315. رقمه 231 .
- كناش خلاصة المكاتيب الصادرة باسم السلطان إلى جهات مختلفة ما بين 1317 و 1314 رقمه 776 .
- كناش خلاصة المكاتيب الصادرة عن السلطان إلى جهات مختلفة من البلاد سنة 1316. رقمه 439 .
- كناش كشف وخلاصة الرسائل الصادرة عن السلطان إلى جهات مختلفة من البلاد سنة 1317. رقمه 442 .
- كناش كشف الرسائل الصادرة عن السلطان وتقييدات أخرى سنة 1317. رقمه 734 .
- كناش كشف الرسائل الواردة عن السلطان المتعلقة بالأمن الداخلي من 1316 إلى 1319. رقمه 242 .
- كناش مستفادات مرسى العدوتين بين 1316 و 1317. رقمه 703 .
- كناش خلاصة وكشف الرسائل الصادرة عن السلطان إلى جهات مختلفة من المغرب في مواضيع متنوعة ما بين 1315 و 1316. رقمه 432 .
- كناش حسابات مختلفة تخص عائلة فرج ما بين 1312 و 1316. رقمه 803 .
- كناش المكاتيب الموجهة للعمال والقواد والأمناء ما بين 1319 و 1322. رقمه 763 .
- كناش أملاك المخزن في مدينة الرباط ونواحيها سنة 1323. رقمه 266 .
- كناش الموسوقات والموضوعات في ثغر الرباط ما بين 1323 و 1324. رقمه 636 .

عهد المولى عبد الحفيظ

- كناش تقييد السلع الصادرة والواردة على عائلة فرج وبيان مدخول أملاكها مع بعض الصوائر ما بين 1321 و 1329. رقمه 802 .
- كناش مداخيل وصوائر عائلة فرج ما بين 1322 و 1338. رقمه 798 .
- كناش إحصاء أملاك عائلة فرج ومداخيلها ما بين 1326 و 1342. رقمه 800 .
- كناش الداخل والخارج من الحوت الشابل على عائلة فرج 1330 – 1331. رقمه 801 .
- كناش صائر الأحباس الكبرى على يد عبد الخالق فرج . رقمه 819 .

3 – الوثائق الخاصة :

أ – وثائق فرج

– مراسلات خاصة

– كناش الأمين العربي فرج

ب – وثائق السويسي

ج – وثائق برگاش

د – وثائق القاضي أحمد الزعيمي

4 – الوثائق المنشورة

أ – دورية الوثائق الملكية : المطبعة الملكية . الاجزاء 4.3.2.

ب – رسائل شريفة لنهليل .

ج – فومي : مراسلات مغربية مختارة . باريز 1900 .

ثانيا : الكتب المخطوطة :

– ابن زيدان عبد الرحمان :

العلائق السياسية للدولة العلوية . خ.م. رقمه 3178 .

النهضة العلمية على عهد الدولة العلوية . خ.م. رقمه 3177 .

– أكنسوس محمد بن أحمد المراكشي :

الجيش العرموم الخماسي . خ.ع. رقمه 965 د

– البلغيتي أحمد بن المامون : **بيان الخسارة في بضاعة من يحط من التجارة** .

ميكرو فيلم . رقمه 1233 . خ.ع.

– بلحاج أحمد بن محمد بن حمدون :

الدرر الجوهرية في مدح الخلافة الحسنية : خ.م. رقمه 512 .

الدرر الابريزية في مدح الخلافة الحسنية : خ.م. رقمه 4107 .

– بوجندار محمد :

الاغتباط بتراجم اعلام الرباط . خ.ع. رقمه 1287.

– الحجوي محمد بن الحسن :

اختصار الابتسام : خ.ع. رقمه ح 114 .

دفتر تقاييد تاريخية أيام مولاي عبد العزيز ومولاي عبد الحفيظ .خ.ع. رقمه ح 128

الدكالي محمد بن علي :

الإتحاف الوجيز المهدى للمولى عبد العزيز : خ.ص. رقمه 8777 .

أرجوزة **أشرف الملا ببعض أخبار الرباط** وسلا .خ.ص. رقمها 11 د

– دينية محمد بن علي : **مجالس الانبساط بشرح تراجم علماء الرباط** . خ.م. رقمه 779 .

– الزياني أبو القاسم : **الترجمان المعرب...** خ.ع. رقمه 658 د .

– السباعي محمد بن ابراهيم : **البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد مآثر السلطان مولانا الحسن** . خ.ع. رقمه 1346 .

– السايح محمد بن عبد السلام : **الغصن المهصور بمدينة المنصور** . خ.ع. رقمه 481 .

– الضعيف محمد بن عبد السلام : **تاريخ الضعيف** . خ.ص. رقمه 6206 .

ثالثا : الكتب المطبوعة (بالعربية)

– ابن ابراهيم العباس المراكشي : **الإعلام بمن حل بمراكش واغمات من الأعلام** .الجزآن الأول والثاني . فاس 1936 .

– ابن خلكان . شمس الدين : **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** : تحقيق د . احسان عباس . دار صادر، بيروت 1968.

– ابن زيدان عبد الرحمان :

إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس : الأجزاء الخمسة – الرباط 1933 .

العز والصولة في نظم الدولة . جزآن : المطبعة الملكية 1961

الدار الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة – المطبعة الملكية .

– بوجندار محمد :

مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح . مطبعة الجريدة الرسمية : 1345

تعطير البساط بذكر تراجم قضاة الرباط . مطبعة الجريدة الرسمية ، 1345 .

الاغتباط بتراجم أعلام الرباط . تقديم د. كريم عبد الكريم – الرباط 1987 .

– بورك (ادموند) : **العلماء المغاربة بين 1860 و 1912**. تعريب محمد بن عبود وعبد العزيز السعود ، في مجلة البحث العلمي ، عدد 31 . الرباط 1980 .

– بوشعراء مصطفى : **الاستيطان والحماية بالمغرب** . المطبعة الملكية الرباط ج 1 ، 1984،ج 2 ، 1987 . 1988 ج.4 ، 1989 .

– التوزاني نعيمة : **الأمناء بالمغرب في عهد السلطان مولاي الحسن** ، منشورات كلية

الآداب بالرباط . يناير 1979 .
- التوفيق أحمد : **المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر** (اينولتان 1850 - 1912) منشورات كلية الآداب بالرباط . طبعة 1983 .
- الجراري عبد الله :
من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين (جزآن) - الرباط ، 1969 .
شيخ الجماعة العلامة أبو إسحاق التادلي الرباطي - مطبعة النجاح، الدار البيضاء ، 1980.
شيخ الجماعة العلامة محمد المكي البطاوري الرباطي ، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء 1978.
العلامة الرياضي محمد المهدي متجنوش . مطبعة النجاح ، الدار البيضاء، 1982 .
الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السايح . مطبعة النجاح ، الدار البيضاء، 1979 .
شذرات تاريخية من 1900 إلى 1950 . مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 1976.
- الجراري عباس :**ا لعالم المجاهد عبد الله بن العباس الجراري** . مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1985.
- حجي محمد : **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** .المطبعة الوطنية الرباط 1964 ، الطبعة الأولى .
- الخطيبي عبد الكبير :
المراتب الاجتماعية بالمغرب قبل الاستعمار ، في ا لمجلة المغربية للاقتصاد والاجتما ع، العدد 2 سنة 1975
- الخمليشي عبد العزيز : **تجارة الرقيق في المغرب في القرن 19**، في مجلة دار النيابة عدد 7 صيف 1985
.- داود محمد : **تاريخ تطوان** (الأجزاء : 3 ، 6 ، 7 ، 8) المطبعة الملكية . الرباط 1399 .
- السويسي عبد الله : **تاريخ رباط الفتح** ، الرباط 1979 .
- الشابي مصطفى : **النخبة المغربية في القرن التاسع عشر**، في مجلة كلية الآداب بالرباط العدد 8 ، سنة 1982 .

– الصديقي محمد بن سعيد : **إيقاظ السريرة لتاريخ الصويرة** ، مطبعة دار الكتاب ، الدار البيضاء . 1961 .

– الضعيف محمد : **تاريخ الدولة السعيدة** ، تحقيق أحمد العماري ، دار المأثورات ، الرباط ،1986 .

– الفاسي عبد الحفيظ : **المدهش المطرب** . الرباط 1931 .

– لاروك بيير : **الطبقات الاجتماعية** . ترجمة جوزيف عبود ، منشورات عويدات . (سلسلة زدنا علما) . بيروت 1980 .

– المنوني محمد : **مظاهر يقظة المغرب الحديث** ، منشورات وزارة الأوقاف ، يناير 1973

– الناصري أحمد بن خالد : **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، دار الكتاب ، الدار البيضاء 1956 (ج. 8 و ج . 9)

رابعا : كتب مرقونة

– رزوق (محمد) ، **الأندلسيون وهجراتهم خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر** ، (أطروحة دولة) كلية الآداب ، الرباط ، 1987 .

– الضعيف محمد : **تاريخ الدولة السعيدة** ، تحقيق محمد البوزيدي الشيخي. د.د.ع. ، كلية الآداب ، الرباط ، 1985 .

خامسا : المراجع باللغة الفرنسية

Bibliographie et archives

وثائق وزارة الخارجية الفرنسية Ar. A.E.F.

- Correspondances consulaires et commerciales de 1793 à 1901

- Rabat. Tome 1. de 1846 à 1872

- Maroc. Tome 31. de 1837 à 1842

- Maroc. Tome 32. de 1843 à 1848

- Tanger de 1848 à 1851

- Correspondances Politiques

- Les numéros 25, 26, 27, 47, 51, 53, 58, 69

- Mémoires et documents de 1848 à 1882

- Correspondances Politiques (nouvelle série) C.P.C. - N.S. : les numéros 21, 25

وثائق وزارة الحربية الفرنسية

- 18 cartons, de (carton 3H1 à carton 3 H 18) (de 1805 à 1912)

الكتب المنشورة بالفرنسية :

- ABBOU (I) : **Musulmans Andalous et judeo-Espagnols, Casablanca 1953.**
- ARNAUD LOUIS : **Au temps des Mahallas ou le Maroc de 1860 à 1912, Casablanca, 1952.**
- AUBERT (A) : **Les pays Zaïers. in B.E.S.M. N° 86-87. nov. 1960, Février 1961. pp. 261-206.**
- AUBIN EUGENE : **Le Maroc d'aujourd'hui, A. Colin. Paris, 1904.**
- AYACHE GERMAIN : **Etudes d'Histoire Marocaine , S.M.E.R., Rabat 1979.**
- BEAUMIER AUGUSTE : **Description sommaire du Maroc, Paris, 1868.**
- BOURDIEU PIERRE : **Le sens pratique, édition de minuit, 7, Rue Bernard Palissy 1980.**
- BRIGNON (J.) et autres : **Histoire du Maroc, Hatier Paris et Casablanca, 1967.**
- BRUNOT LOUIS : **Textes arabes de Rabat, in Hesperis 1931.**
  Proverbes et dictions arabes de Rabat, in Hesperis 1928.
  La mer dans la tradition et les industries indigènes de Rabat et Salé, Paris 1920.
- BULLETIN DU COMITE DE L'AFRIQUE FRANÇAISE, les volumes allant de 1907 à 1912
- CAILLE JACQUES : **La ville de Rabat jusqu'au protectorat Français . Paris, 1949.**
  - La petite Histoire de Rabat, Casablanca , n.d.
  - La mission de Léon Roche à Rabat 1845, Casa, 1947.
- CHAMPION PIERRE : **Rabat et Marrakech, 6 Rue de Tournon. Paris, 1927.**
- CHAMPION VICTOR : **Enquête sur la situation des métiers et des industries indigènes de Rabat, in bulletin officiel N° 223 et 224, 29 Janvier et 5 Fév. 1917.**
- CHENIER LOUIS : **Recherches Historiques sur les maures et Histoire de l'empire du Maroc , T.3 auteur Bailly, Roger et à**

l'impr.Polytype 1787.
Journal du consulat général de France au Maroc 1767- 1779, Casablanca 1943.
- CIGAR NORMAND : Société et vie politique à Fès sous les premiers Alaouites 1660-1830, in Hesperis Tamuda, 1978-79, p. 168.
- COUSTE. J. : Les grandes familles indigènes de Salé . Rabat 1931.
- DECROUX PAUL : La vie Municipale au Maroc , Lyon 1932.
- DE LA MARTINIERE HENRI : Souvenirs du Maroc. Paris 1919.
- DEMEERSMAN A. : Catégories sociales en Tunisie au 19 siècle d'après la chronique de Ibn Abi d. Diaf, in bulletin de l'I.B.L.A. N°17, 1967.
- DYE FAH : Les ports du Maroc ; leur commerce avec la France, in bulletin de la Société de géographie commerciale de Paris,1908.
- ERCKMANN JULES : Le Maroc Moderne, Paris 1885.
- J. GOULVEN : Les Mellahs de Rabat-Salé, Paris 1927.
- GOUVION MARTHE et EDMOND : Ayane Al Maghrib Al Aksa, Alger 1938.
- GUILLEN PIERRE : L'Allemagne et le Maroc 1870-1905 , Paris 1967.
- JACQUIN PIERRE : L'action Française au Maroc. Paris 1911.
- JULIEN CHARLES . A. : Le Maroc face aux imperialismes. Paris 1978.
- KENBIB MOHAMED : Protection et nationalisme 1904-1905, in Hesperis Tamuda 1979 . p. 173.
Structures traditionnelles et protection diplomatique dans le Maroc précolonial, Paris 1981.
- LAHLOU ABDELWAHAB : Note sur la Banque et les moyens d'échanges à Fès avant le Protectorat, in Hesperis, 3ème trimestre 1937.
- LAROUI ABDELLAH : Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocain, Paris 1977.
- LAZAREV GRIGORI : Les concessions fonciers au Maroc, in Annales Marocaines de sociologie , Rabat 1968, pp. 99.135
- LECLERC RENE : Le commerce et l'industrie à Fès, in bulletin du comité de l'Afrique Française, Paris 1905.
- LE TOURNEAU (R) : Fès avant le protectorat, Casablanca , 1947.
Les villes de l'Afrique du Nord, Alger, 1958.

- MASSIGNON LOUIS : **Enquête sur les corporations d'artisans et de commerçants 1923/1924.** in Revue du monde Musulman n° 58, année 1924.

- MAURAN (DR) : **Le Maroc d'aujourd'hui et demain**, Rabat, 1909.

- MERCIER (L). : **L'Administration marocaine à Rabat**, in Archives Marocaines, Vol. VII, 1906.

Les mosquées et la vie religieuse à Rabat, in Archives Marocaines Vol. VIII 1906.

Notes sur la mentalité religieuse dans la région de Rabat et de Salé. in Archives Marocaines Vol. VI.1906.

- MIEGE J.L. : **Le Maroc et l'Europe** T. 2.3.4. Paris 6. 1962.

Documents inedits sur l'artisanat de Rabat et Salé au milieu du 19 siècle in B.E.S.M. n° 82 Octobre, 1959.

La marine marocaine au 19ème siècle. in bulletin de l'enseignement public du Maroc. n° 237. Oct. Nov. Déc. 1956.

Enquête sur le Maroc agricole en 1867 in B.E.S.M. 1956 Vol. 20 N° 26.

- MISSION SCIENTIFIQUE DU MAROC:

Villes et tribus du Maroc T.1 et 2, affaires indigènes et service de renseignement. Paris 1918.

- MOUETTE (G.) : **La captivité du sieur Mouette dans les Royaumes de Fez et de Maroc**, éditions : Tours / A. Mane

- NARCISSE COTTE : **Le Maroc comtemporain**, Paris 1866.

- RAYMOND ANDRE : **Artisans et commerçants au Caire au 18e siècle**, Damas 1973.

- THARAUD (Frères) : **Rabat ou les Heures Marocaines**, Paris 1918.

- WEISGERBER (DR) : **Au seuil du Maroc Moderne**, Rabat 1947.

THESES DACTYLOGRAPHIEES:

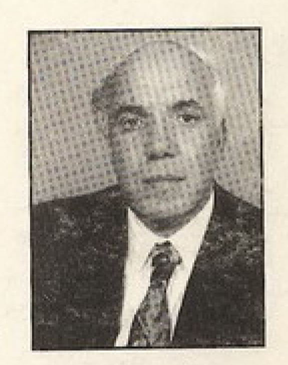
- CHABBI MUSTAPHA : **Quelques grandes familles du Makhzen d'après Ibn Zidane**, mémoire de D.E.S., faculté de lettre de Rabat université Mohamed V, 1973.

- KENBIB MOHAMED : **Les protections étrangères au Maroc au 19e siècle, début**

du 20e siècle - Thèse de doctorat du 3ème cycle université de Paris VII. 1980.

- SEBTI ABDEL. AHAD : **Aristocratie citadine et discours savant au Maroc précolonial,** Thèse de doctorat de 3ème cycle, université de Paris 7, 1984

فهرس المواد



عبد الإله الفاسي

من مواليد مدينة سلا وذلك في 15 يوليوز 1948 ، كان تعليمه الإبتدائي بها وفي سنة 1960 انتقل مع أسرته للسكنى بالرباط وفيها أتم دراسته الثانوية وبعد إحرازه على الباكلوريا سنة 1966 التحق بكلية الآداب بالمدينة نفسها وأحرز سنة 1970 على الإجازة في الإجتماعيات وعلى دبلوم المدرسة العليا للأساتذة ، وعين أستاذا للسلك الثاني بمدينة الدار البيضاء وعاد سنة 1973 إلى العدوتين ليستأنف عمله في سلك التدريس بسلا الى حدود 1979 وبالرباط إلى حدود 1983 ، وفي هذه السنة اجتاز مباراة أولى للإنخراط في سلك تكوين المفتشين ومباراة ثانية للإلتحاق بسلك تكوين المكونين ولما نجح فيهما معا اختار الشعبة الثانية التي تخول للمرشحين فيها التدريس بالجامعة بعد سنتين من التكوين . أحرز سنة 1985 على شهادة الدراسات الجامعية العليا في التاريخ المعاصر وعين أستاذا مساعدا متدربا بكلية الآداب بالقنيطرة وفي سنة 1988 أحرز على دبلوم الدراسات العليا في التخصص نفسه ، درّس بمدرسة تكوين الأطر بين سنة 1991 و سنة 1994 . مازال يشتغل بكلية الآداب المذكورة بجامعة ابن طفيل .

تم طبع هذا الكتاب
بمطابع الأطلس – الرباط
رقم الايداع القانوني : 82/1996